



المنارات الدينية

إعداد
شعبة التبليغ في
قسم الشؤون الدينية



المناسبات الدينية

إعداد

شعبة التبليغ

في

قسم الشؤون الدينية



أسم الكتاب: المناسبات الدينية

إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس: ١٧×٢٤

عدد الصفحات: ٤٨٠

عدد النسخ: ٢٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لا يخفى أن المناسبات الإسلامية التي مرَّ بها الإسلام والمسلمون هي نافذة صغيرة نطل من خلالها على هذا الإرث الحضاري الضخم، وهؤلاء الأشخاص الذين انتشرت بسواعدهم رسالة الإسلام العظيمة رغم أعدائهم ومناوئهم الذين كانوا يحاولون بأي شكل من الأشكال أن يطفئوا نور الله بأفواههم أو أيديهم.

وعن طريق هذه النافذة يمكن للإنسان المسلم أن يطلَّ على حضارته وتأريخه الإسلامي الغني بالعبء والدروس، ليجسدها في واقعه المعاصر أو يجعلها خطأً مستقبلياً.

إن حضارة الإسلام بكل تلونها واختلافها وبكل انتصاراتها ونكباتها هي دروس للإنسانية تستفيد منها لواقعها وتغني به الحضارة الإنسانية جمعاء فهي لكل البشرية، نبراساً للهداية ومشعلاً ينير طريق السائرين.

ولابد لنا كمسلمين ونحن في صدد تربية أجيالنا المختلفة أن لا ننسى تاريخنا وحضارتنا فتأمل فيها ونعلمها لأبنائنا، ليعيشوا واقعهم مستحضرين لما ضيهم غير منسلخين عن حضارتهم كما يراد لهم في خضم هذا الكم الهائل من الإعلام والثقافة المستوردة التي تشوه الإسلام وتنفرد الناس منه.

فنحن في هذه المحاولة نريد أن نستقي من دروس الماضي أحسنها وأصحها لتكون منارةً للأجيال، وهي بعد ذلك شاملة لكل المناسبات على مدار السنة، وبذلك يمكن أن تكون زاداً للمحاضرين والمربين في المجال الإسلامي، لتوعية الأمة وتسليط الضوء على مفاصل مهمة من تاريخها.

كانت هذه المحاولة مبادرة من شعبة التبليغ في العتبة العلوية المقدسة في تزويد أئمة المساجد والحسينيات بزاد معرفي ينطلقون من خلاله لتثقيف مرتادي تلك المساجد والحسينيات التي تخصهم، فكانت تطبع منفردة في كل مناسبة بشكل شهري وتوزع على المؤمنين في أنحاء العراق كافة على شكل فولدرات يسهل قراءتها وتوزيعها.

وكان الابتداء في هذا العمل في (١) شوال سنة ١٤٣٤، حيث كان أول فولدر عمل به من هذه السلسلة هو فولدر زكاة الفطرة، وتوالت الفولدرات بعد ذلك لما أمكن استقصاء النظر فيه من المناسبات، فكانت الخطة التي وضعتها شعبة التبليغ، هي اختيار المناسبات حسب كتاب مواقيت الأهلة الصادر عن مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) ولكن موزعة على سنتين، فاخترنا من المناسبات للسنة الأولى مجموعة وللسنة اللاحقة مجموعة أخرى.

وبعد أن انتهت دورة كاملة من المناسبات، أي: إلى شوال من سنة ١٤٣٥ ارتأينا أن تجمع هذه الفولدرات في كتاب واحد مبوب ومفهرس، ليكون مرجعاً لكل من يهتم بالتاريخ الإسلامي من محاضرين وخطباء بحيث يكون سهل التناول ومرتباً على حسب التاريخ وحسب الموضوع.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل نافعاً للمؤمنين، وفي نفس الوقت خالصاً لوجهه تعالى، لينفع به القائمين عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

شعبة التبليغ

٢٠ / ربيع الأول / ١٤٣٦



مناسبات الشهر

شهر محرم الحرام



١هـ بداية السنة الهجرية

١٠هـ واقعة الطف

٢٥هـ شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

١٦

بداية

الشمسة الهجرية



المناسبات الدينية في شهر محرم

بداية السنة الهجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

التاريخ الهجري أول تقويم عربي:

لم يكن للعرب قبل الإسلام تقويم خاص بهم، وإنما اعتمدوا في تأريخهم للأحداث على وقائع تاريخية مشهورة مثل: بناء الكعبة وحرب الفجار وعام الفيل، وربما أرّخ كل إقليم أو قبيلة بحدث خاص، وحتى فترة قريبة عندما كانت الأمية منتشرة بين الناس كانوا يؤرخون بوقائع مميزة، فيقولون ولد فلان يوم الثلجة الكبرى أو عام الجراد وما شابه ذلك.

بداية التاريخ عند العرب:

بدأ العمل بالتقويم الهجري وسارت العرب عليه على عدة مراحل في تأريخهم للأحداث، فأول من أرّخ هم بنو إسماعيل النبي على نبينا وآله وعلينا، فأرخوا بنار نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام، ثم أرخوا من بنان الكعبة المشرفة، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي، ثم أرخوا من حادثة الفيل، ثم اعتمد التاريخ الهجري بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة. ولا يختلف أحد في أن الهجرة النبوية الشريفة كانت في شهر ربيع الأول وقد وصل رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ إلى يثرب، حيث إنها سميت بالمدينة المنورة بعد أن دخلها ﷺ، ونورها بنور وجهه الكريم بعد أن مكث في قباء أياما قليلة بانتظار التحاق الإمام علي عليه السلام، والذي تأخر لتأدية بعض الأمانات المودعة عند النبي ﷺ إلى أصحابها من أهل مكة وغيرهم، وأحضر معه ركب الفواطم المهاجرات معه.

وفي كل تلك السنوات التي مضت من تأريخ العرب باختلاف الأحداث التي

أرخوا بها كانت بداية السنة عندهم هي من شهر محرم الحرام، وذلك لكونه من الأشهر الحرم الأربعة التي يحرم فيها القتال لدى العرب ويأمن الناس بعضهم البعض، ولكونه الشهر الأول بعد انقضاء موسم الحج وختام مواسم الأسواق عندهم التي تكثر في أيام الحج ورجوع الناس إلى ديارهم.

ويتكون العام الهجري من اثني عشر شهراً قمرياً، ومنذ ذلك الوقت أخذ التقويم القمري شكله وهيئته النهائية ولا تزال إلى يومنا هذا، وعلى أساسه تم ضبط العبادات من زكاة وخمس وصوم وحج.

وقد وضعت أسماء الشهور العربية في مطلع القرن الخامس الميلادي، وأول الشهور العربية محرم، وسمي بهذا الاسم لأنه أحد الأشهر الحرم التي حرم القتال فيها.

وثانيها صفر، وقيل عن سبب التسمية إن ديار العرب كانت تصفر أي تخلو من أهلها للحرب، وقيل: لأن العرب كانت تغير فيه على بلاد يقال لها الصفرية، وقيل: لترك العرب أعداءهم صفراً من الأمتعة وقيل: لاصفرار مكة من أهلها.

ثم ربيع الأول وربيع الآخر: سميا بهذا الاسم في فصل الربيع وظهور العشب. ثم جمادى الأولى: وكان يسمى قبل الإسلام باسم جمادى خمسة، وسمي جمادى لوقوعه في الشتاء، وجمادى الآخرة وكان يسمى قبل الإسلام باسم جمادى ستة. ثم رجب وكان العرب في الجاهلية يعظمون هذا الشهر بترك القتال، ولا يستحلونه فيه، واسمه من رجب الشيء أي هابه وعظمه، وقيل: رجب أي توقف عن القتال.

وبعد شعبان، وسبب التسمية تشعب القبائل في هذا الشهر وبسبب الإغارة بعد قعود العرب عنها في رجب.

ثم يأتي رمضان، وكان يسمى قديماً ناتق ولما غير الاسم وافق زمن الحر والمرض، والرمضاء هي شدة الحر، ويقال: رمضت الحجارة إذا سخنت بتأثير

أشعة الشمس.

ويليه شوال وسبب التسمية أن الإبل كانت تشول بأذناها أي ترفعها طلباً للإخصاب، وقيل: شوال ارتفاع درجة الحرارة وإدباره. ثم ذو القعدة، وقيل: إن العرب كانوا يقعدون فيه عن الأسفار، وقيل: قعودهم عن القتال لأنه من الأشهر الحرم. وآخر شهور السنة الهجرية ذو الحجة وهو شهر الحج، وكان العرب قديماً يقيمون فيه حجهم إلى الكعبة.

النبي محمد ﷺ هو أول من أرخ بالسنة الهجرية:

يدعي البعض أن التدوين بدء في زمن عمر بن الخطاب كما عن ابن كثير نقلاً عن الواقدي قال: وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة عشرة أو سبع عشرة أو ثمان عشرة - كتب عمر بن الخطاب التاريخ وهو أول من كتبه، وقيل: إنه أشار علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرون على عمر أن يؤرخ من هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة لظهوره لكل أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث فاستحسن عمر ذلك والصحابة، فأمر عمر: أن يؤرخ من هجرة الرسول صلى الله عليه وآله.

وروي عن سعيد بن المسيب، أنه قال: ((جمع عمر الناس فسألهم: من أي يوم يكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وترك أرض الشرك، ففعله عمر))^(١).

ولكن هذا خلاف الكثير من الروايات الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو أول من بدأ التدوين بالتاريخ الهجري وليس عمر، كما ذكر ذلك بن حجر في فتح الباري، روى الزهري: ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة مهاجراً أمر بالتاريخ، فكتب في ربيع الأول))^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٢٥٣، وفي تاريخ اليعقوبي مثله وكنز العمال ومستدرک الحاكم والکامل لابن الأثير نقلاً عن علي والخلفاء: ص ٢٤٠.

(٢) فتح الباري: ج ٧، ص ٢٠٨، إرشاد الساري: ج ٦، ص ٢٣٣، التنبية والاشراف: ص ٢٥٢.

ونقل السيوطي عن مجموعة بخط بن القماح ذكر فيها: ((أن بن الصلاح قال: ذكر أبو طاهر، محمّد بن محمّش الزيايدي في تاريخ الشروط: أن رسول الله ﷺ أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران وأمر علياً عليه السلام أن يكتب فيه: أنه كتب لخمسة من الهجرة، قال: فالمؤرخ بهذا إذن رسول الله ﷺ))^(١).

الشريعة تبدأ سنتها بالأحزان واللوعة وتختتمها بالأفراح:

تتجدد أحزان الشيعة مع تجدد كل عام فيبدؤون سنتهم الهجرة بحزن وألم بذكرى فاجعة كربلاء الأليمة والتي تجسد بين طيات أحداثها كل معاني التضحيات من أجل الإسلام، من قبل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه المستشهدين بين يديه.

وتختتم - الشيعة - السنة الهجرية في نهاية شهر ذي الحجة بعيد الولاية وتنصيب الإمام والخليفة من بعد النبي ﷺ.

كذلك نجد الدعوة الإسلامية تمت وختمت بنفس المناسبة عندما أنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

فالشيعة تعيش كل عام حياة الدعوة الإسلامية منذ بدايتها إلى نهايتها مع النبي الأكرم وآله الكرام (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وذلك من خلال إحيائها لجميع المناسبات الإسلامية على مر أيام السنة، منذ أيام الحزن والألم العشر الأوائل من محرم الحرام، إلى أن تختتم سنتها بسرور وبهجة باحتفالها بمناسبة عيد الغدير الأغر.

وبذلك نكون مصداقاً لما ورد عنهم عليه السلام من أن شيعتهم يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم، ونكون ممن اختارهم الله وخصهم لأن يكونوا من شيعتهم ومحبيهم وذلك بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: ((إن الله تبارك وتعالى

(١) الشارح في علم التاريخ للسيوطي: ص ١٠.

(٢) سورة المائدة: آية ٣.

أطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا
ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منّا وإلينا))^(١)
ونكون ممن حَضِي بدعاء الإمام الصادق عليه السلام، فإنه رفع يده ودعا لمن أحيا
أمر أهل البيت عليهم السلام قائلا: ((رحم الله من أحيا أمرنا))^(٢).
وأخيرا نتضرع إلى الله تعالى وندعوه - ونحن بجوار وصي خاتم الأنبياء أمير
المؤمنين عليه السلام - : اللهم قد أقبل علينا عام جديد نسألك من خيره ونعوذ بك
من شره، ونستكفيك فواته وشغله، وفقنا اللهم لما يرضيك جنبنا معاصيك،
واجعله عام خير وبركة على جميع بلاد المسلمين، إنه سميع مجيب، والحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) الخصال: ص ٦٣٥.

(٢) الأمالي: ص ١٣٥.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية



وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

١٠ محرم الحرام



المناسبات الدينية في شهر محرم

واقعة الطف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

كربلاء قضية متجذرة في الوعي الإسلامي، ساهمت في تشكل الوعي الحركي الثائر على الظلم والفساد، وباتت مع تقادم الزمن أكثر رسوخاً في وجدان الأمة، وبعبارة أخرى: إنها واقعة قفزت فوق الزمان والمكان مستمدة من نور مشكاة النبوة رمزيتها، ومن لون البذل عنفوانها، فاستحالت نهجا يحمل شعلة متوقدة تسمو بالإنسان في آفاق العزة والكرامة، وتعبّر في مدلولاتها عن محورية الصراع الدائر بين الحق والباطل، بين الاستكبار والاستضعاف، وبين رمز العدالة والتفاني في الله ورمز الاستغراق في حطام الدنيا الفانية.

في كل سنة لنا ذكرى مع أجواء عاشوراء، وفي كل سنة نستعيد في وعينا وحياتنا كربلاء، وقيمة عاشوراء وكربلاء أن لها لقاء في كل زمان ومكان مع الأمة، تمدّها وتعطيها من حيويتها، وتدفعها إلى المواقع المتقدمة في مسيرة الحياة الكريمة فتعيش الأمة آفاق الإمام الحسين عليه السلام تلك الآفاق الواسعة الرحبة، فالحسين عليه السلام كان ينظر من خلال آفاق جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عاش الرسالة في كل آفاقها الواسعة.

ومن هنا كان يُطرح دوماً وفي كل موسم لعاشور - كَتَبِيَانِ لأهمية ثورة كربلاء ودورها الرائد - شعار أن الإسلام «محمدي الوجود حسيني البقاء» نظراً لأهمية الدور الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام من خلال ثورته، فقد استطاع هذا الإمام العظيم أن يعيد تصويب المسار، بعد أن بدأ الانحراف السريع نتيجةً لإبعاد الإسلام عن ساحة الحياة، أو على الأقل بتحويله إلى شكل ورسم بلا مضمون، وهذه الصورة عبّر عنها الحسين عليه السلام آنذاك عندما قال: إن هؤلاء

القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحزّموا حلاله، وإني أحق بهذا الأمر^(١).

ولنطرح بجرأة سؤالين هامين يطرحان من قبل مخالفين شيعية أهل البيت بصيغة إشكال، ونحن نرى طرحهما وجيهاً ولا نمانع منه إذا كان الطرح مقدمة للإجابة عنها:

الأول: لماذا يبالغ الشيعة في أهمية واقعة عاشوراء، ويجددون ذكراها عاماً بعد عام، وقد وقعت حوادث مشابهة لغير الإمام الحسين عليه السلام فلماذا لم يحتفوا بها هذا الاحتفاء؟.

الثاني: لماذا يتم إحياء هذه المناسبة بالحداد والحزن والبكاء، وما هو المسوغ الشرعي لذلك؟.

ونجيب على السؤال الأول بما يلي:

١- المعارف الشيعية تُثبت أهمية استثنائية لذوات أهل البيت عليهم السلام، وأنهم الكَمَل من البشر ولولاهم ما وجد الخلق، وحينئذ فمن الطبيعي أن يكون استشهادهم محلّ عناية واهتمام خاصين.

٢- الإمام الحسين عليه السلام - بحسب السنة والشيعة - شخصية الإسلام الأولى في عصره، وأقوال النبي صلى الله عليه وآله فيه تحكي عن مقام شامخ فلا غرو في إجلاله إجلالاً خاصاً.

٣- إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام من حيث الهدف الإلهي والدوافع الموضوعية والأساليب والنتائج من أنقى الحركات الإلهية، وأهم نتائجها تحرير الأمة من أسر الخوف والركون إلى الدعة وإدانة أبدية للباطل والظلم بمستوى شخصية الإمام الحسين عليه السلام بحيث استوعبت التاريخ إلى يوم القيامة، وتصحيح المسار الإنحرافي الذي بدأ مؤشره البياني بالارتفاع كلما تقدم الزمان، وإعادة الأمة إلى

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

المسار النبوي أو إعادة المسار النبوي إلى الحضور.
 ٤- أريد لهذه التضحية العظيمة أن تكون شاهداً شاخفاً على تقديس العدالة ورفض الظلم والفساد ومصدر إلهام للمصلحين.
 وكما خلد القرآن الكريم جهاد الأنبياء وتضحياتهم وجعلها درساً يتلى كل يوم في الشرائع السماوية، من ذلك الحركة التوحيدية لإبراهيم الخليل عليه السلام التي جعلها الله عز وجل شعائر عبادية يؤديها الرساليون يحيونها ويعيدون حضورها ويستلهمون من دروسها هكذا ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ولهذه الأسباب أصرّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على تخليدها.

والجواب على السؤال الثاني:

إن إحياء كل حدث بحسبه فالحدث المحزن يتم إحياءه بالحزن والبكاء والحداد، وقد حزن النبي صلى الله عليه وآله لمقتل الحسين عليه السلام وبكى عليه في مواطن عديدة وأوقات مختلفة، وقد دل على ذلك روايات مستفيضة رواها عدد من الصحابة وبعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله فإذا كان البكاء جائزاً مرة؛ فما المانع أن يجوز مرات ومرات، وأن يجوز كل عام؟ لا نجد في ذلك أي مانع، وهذا أنموذج من الروايات:

١- عن أم سلمة قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا ذات يوم في بيتي، قال: لا يدخل علي أحد، فانتظرت فدخل الحسين، فسمعت نشيح رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي، فأطلت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وآله يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت، قال: أفتحبه؟ قلت: أمّا في الدنيا فنعم، قال: إن أمتك تقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وآله فلما أحيط بحسين حين قتل، قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، فقال: صدق الله ورسوله كرب وبلاء))^(١).

٢- روي عن أم سلمة أنها قالت: ((كان الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يدي

ورسول الله ﷺ في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأوماً بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله ﷺ: ودیعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله ﷺ وقال: ويح كرب وبلاء، قالت: وقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم))^(١).

٣- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة: ((أن رسول الله ﷺ أجلس حسينا على فخذه فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: هذا ابنك؟ قال: نعم، قال: أمتك ستقتله بعدك، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، قال: إن شئت أريتك تربة الأرض التي يقتل بها، قال: نعم، فأتاه جبريل بتراب من تراب الطف))^(٢).

٤- عن سلمى قالت: ((دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك؟ قالت رأيت رسول الله ﷺ - تعنى في المنام - وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله؟ قال شهدت قتل الحسين أنفا))^(٣).

وهناك الكثير الكثير من الروايات المستفيضة التي تؤكد على إخبار النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على هذه الواقعة، وما ذلك إلا لأهميتها البالغة التي استدعت تبليغها من قبل جبرائيل ورسول الله وأهل بيته عليهم السلام.

من أسباب خلود واقعة الطف:

واقعة كربلاء لا تضاهيها أية واقعة أخرى في خلودها وبقائها حية في الأذهان، وفي مدى شمولها واتساعها الزمني، ولم يبق تيار متلاطم على مدى التاريخ مثل عاشوراء.

وقد أكدت هذه الحقيقة أم المصائب زينب عليها السلام في خطبتها في مجلس يزيد

(١) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٨٩.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: ج ٦، ص ٢٤٩.

(٣) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٣.

حيث قالت: ((فكِدْ كيدَكَ واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين))^(١). وسر ذلك يكمن في جملة من القضايا منها:

١ - إلهية العمل: فالعمل الذي أقدم عليه الإمام الحسين عليه السلام وأدى إلى استشهاده كانت دوافعه والنوايا الكامنة وراءه لله وفي سبيل الله، وكل ما كان الله يكتب له الخلود والبقاء، فنور الله لا ينطفئ، والجهاد في سبيل الحق يبقى ممتداً على الدوام، والقيام في سبيل الله لا تنسى وقائعه ولا ينطفئ نوره، لأن صبغته إلهية ونوره ربّاني.

٢ - دور سبايا أهل البيت في كشف الحقائق: كل ثورة تستلزم مساعداً ولساناً، دماً ورسالة، عملاً وإعلاماً، وخطب الإمام السجاد وزينب عليهما السلام والبقية الباقية من واقعة كربلاء أثناء سبيهم كان لها دور مهم في فضح حقيقة العدو وإفشال إعلامه الكاذب، وتوعية الناس على حقيقة الثورة وبيان شخصية أبي عبدالله الحسين عليه السلام وشهداء الطف، وهذا ما جعل الأمويين عاجزين عن إسدال الستار على جرائمهم أو محوها من الأذهان.

٣ - الإحياء والذكر: تأكيد أهل البيت عليهم السلام على إحياء فاجعة الطف من خلال إقامة مجالس العزاء والنياح والبكاء وقراءة الأشعار والمراثي، وكذلك من خلال التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أغلب المناسبات الدينية والسجود على تربته، وهذا كله أدى إلى بقاء مدرسة الطف وواقعة كربلاء ومظلومية الحسين حيّة في الأذهان وباقية على الدوام.

إذن فالذكر والبكاء والشعر والعزاء والمراثي... لها دور مهم في تخليد ملحمة الطف.

٤ - كيفية الواقعة: إن واقعة عاشوراء بذاتها وما حصل فيها من تضحيات،

والفداء بأقصى وأمثل ما يمكن، وذروة العنف والقسوة التي مارسها جيش ابن زياد ضد سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه وأهل بيته وما تحملوه من أذى وعطش وسبي، غاية في الغرابة والمظلومية، كل هذا قد جعل تلك الواقعة الفريدة خالدة على مرّ العصور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
(١٨)

شهادة الإمام زين العابدين

((عليه السلام))



المناسبات الدينية لشهر محرم

شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

الإمام السجاد عليه السلام:

انه صاحب (زبور آل محمد) الذي صعد بأفئدة العارفين إلى محال حرم الله ومدارج معرفته، وهو صاحب الخلق الرفيع الذي تحن إليه نفوس المؤمنين وتهتدي بنوره، وهو الذي ضرب أروع الأمثلة في الخشوع والتبتل والانقطاع إلى الله حتى لقب بزین العابدين، وهو صاحب السبق في الدفاع عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام وبيان أسبابها ونتائجها، وهو صاحب العين التي ما جفت دموعها على مصيبة أبيه وأهل بيته وأصحابه في يوم العاشر من المحرم.

انه الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمه (شاه زنان) وقيل (شهربانويه) بنت كسرى يزجرد بن شهريار عظيم الفرس، ولد في الخامس من شهر شعبان سنة ٣٨هـ، أي قبل استشهاد جده أمير المؤمنين عليه السلام بستين.

لقد عاصر الإمام السجاد عليه السلام إمامة ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وشهد جميع الأحداث التي مرت على الإمامين الحسين عليه السلام، فكانت الآلام والمآسي التي مرت على سيدي شباب أهل الجنة لها ثقل عظيم على نفسه المقدسة وهو بعد لم ينهض بأعباء الإمامة، حتى كانت الواقعة المأساوية التي نزلت في أهل البيت عليهم السلام في يوم كربلاء، حيث شهدا الإمام السجاد عليه السلام بأم عينيه وهو مطروح على الأرض بجسد قد أنهكه المرض.

سيرة الإمام السجاد عليه السلام:

اشتهر الإمام السجاد عليه السلام بالعديد من الخصال العظيمة والمحامد الكريمة حتى إنه عليه السلام خرق بحسن تعامله مع الآخرين كل الموازين المتعارفة عند الناس، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نذكر نبذة يسيرة من ذلك العطاء الأخلاقي الثمر. عن عمرو بن ثابت: ((أنه لما مات علي بن الحسين عليه السلام فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار

سواد في ظهره وقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جُرب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة))^(١).

وروي زرارة في علي بن الحسين عليهما السلام قوله: ((لقد حج على ناقه عشرين حجة فما قرعها بسوط))^(٢).

وروي أيضا أنه قيل له: ((إنك أبرُّ الناس ولا تأكل مع أمك في قصعة وهي تريد ذلك؟ فقال عليه السلام: (أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقا لها))^(٣).

وروي أن رجلا شتمه فقال عليه السلام له: ((يا فتى إن بين أيدينا عقبة كؤودا، فإن جزت منها فلا أبالي بما تقول، وان أتخبر فيها فأنا شر مما تقول))^(٤).

وروي أن جارية كسرت له قصعة فيها طعام فاصفر وجهها، فقال عليه السلام: ((إذهبي فأنت حرّة لوجه الله))^(٥).

وروي أنه عليه السلام انتهى إلى قوم يعتابونه فوقف عليهم وقال لهم: ((إن كنتم صادقين فغفر الله لي، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم))^(٦).

وروي أنه عليه السلام كان خارجا فلقيه رجل فسبّه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال لهم عليه السلام: (مهلا كفّوا)، ثم أقبل على ذلك الرجل فقال: (ما ستر من أمرنا عنك أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟) فاستحيا الرجل، فألقى عليه السلام عليه خميصة (كساء) كانت عليه وأمر له

بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل.

عبادة الإمام السجاد عليه السلام:

نحن لا نزيد في وصف عبادة الإمام السجاد عليه السلام بأكثر من صفته التي اشتهر بها عبر التاريخ وهي (زين العابدين)، فقد ذكر عنه في هذا الأمر ما يحير اللب ويذهل العقل، ومن جملة ذلك ما روي أنه سقط له بن في بئر، فتفرّج أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه، وكان عليه السلام قائما يصلّي فما زال في محرابه، فقيل له في ذلك فقال عليه السلام: ((ما شعرت، إني كنت

(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٩٠.

(٢) الخصال: ج٢، ص٥١٨، ح٤ ذكر ٢٣ خصلة من الخصال المحمودة التي وصف بها علي بن الحسين عليهما السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٩٠، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٩٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الخصال: ج٢، ص٥١٨، ح٤ ذكر ٢٣ خصلة من الخصال المحمودة التي وصف بها علي بن الحسين عليهما السلام.

أناجي ربا عظيماً))^(١).

وروي عن عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام: ((كان أبي يصلي بالليل حتى يزحف إلى فراشه))^(٢) - أي انه عليه السلام كان لا يزال واقفا للعبادة والصلاة حتى يعسر عليه القيام لشدة الإعياء - وعن طاووس أنه قال: رأيت رجلا يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب، يدعو ويبكي في دعائه، فجنّته حين فرغ من الصلاة فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله رأيتك على حالة كذا ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله عليه السلام، والثاني: شفاعة جدك عليه السلام، والثالث: رحمة الله، فقال: (يا طاووس، أما إني بن رسول الله عليه السلام فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٣)، وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٤)، وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول: «إنها قريبة من المحسنين» ولا أعلم أنني محسن)^(٥).

جهاد الإمام السجاد عليه السلام:

لم يمثل الإمام في منهجه وسلوكه حالة الانعزال والتصوّف والرهبانية المتدعة، وإنما نجده قد اصطدم بالواقع وجاهد بالسيرة الحسنة والقول الصادق، حتى أحال من حوله إلى جماعات مهتدية زلزلت قلوب الظالمين وهزت عروشهم.

لقد وقف الإمام السجاد عليه السلام أمام السفاح عبيد الله بن زياد وقرع سمعه بكلمة الحق غير مُتعتع ولا وجل، فأفصح عن حكمة نبوية وشجاعة علوية عهدناها في سائر أئمة أهل البيت عليه السلام، وكان ذلك حين سأل عنه عبيد الله بن زياد بعد مجيء السبايا إلى الكوفة فقيل له: علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال عليه السلام: ((قد كان لي أخ يسمى علي بن الحسين قتله الناس) فقال بن زياد: بل قتله الله، فقال عليه السلام: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها)، فقال بن زياد: ولك جراءة على جوابي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه، فقالت زينب عليها السلام: (يا بن زياد إنك لم تُبق منا أحدا، فإن عزمت على قتله فاقتلني معه)، فقال السجاد عليه السلام: (اسكتي يا عمّه حتى أكلمه)، ثم أقبل على ابن

(١) بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٠٠.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٦، ص ٩٩.

(٣) سورة المؤمنون: آية ١٠١.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠٢.

زياد وقال: (أبالقتل تهددني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟) (١).

كما أنه عليه السلام احتك بالمجتمع وعاش معه بكل همومه وآلامه، لذلك نجد أن طبقات واسعة من الناس التفوا حوله ونهلوا من معينه، وقد بلغ من مراتب الشهرة بمكان بحيث يروى أنه لما حج هشام بن الحكم في حياة أبيه دخل إلى الطواف وجهد أن يستلم الحجر الأسود، فلم يصل إليه لكثرة زحام الناس عليه، فنصب له منبر إلى جانب زمزم في الحطيم، فجلس عليه ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أهل الشام، فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين عليه السلام يريد الطواف، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى عنه الناس حتى أتى الحجر فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فتتحوا عنه يميناً وشمالاً؟ فقال هشام: لا أعرفه - مخافة أن يرغب فيه أهل الشام- وكان الفرزدق حاضراً فقال للشامي: أنا أعرفه، فقال: من هو يا أبا فراس؟ فأنشد قصيدته الشهيرة التي كللت نور الحق ودفعت حجب الباطل:

ياسائلي أين حل الجود والكرم * عندي بيان إذا طلابه قديموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم

شهادة الإمام السجاد عليه السلام:

لم يزل الإمام السجاد عليه السلام يقارع الظالمين بالحزن والبكاء على الحسين عليه السلام تارة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي بسيرته تارة أخرى، حتى اشتد خوف سلاطين بني أمية من وجوده، فجعلوا يتحينون الفرص لكتف أنفاسه المقدسة حتى آل الأمر إلى الوليد بن عبد الملك - وقيل هشام بن عبد الملك - الذي دس إليه سماً في طعام أرسله إليه، فلما سرى السم في بدنه الشريف وتيقن حلول أجله أقبل على ولده أبي جعفر الباقر عليه السلام فأوصاه بوصايا، ثم قال عليه السلام: (واعلم يا بني أي مفارقك عن قريب فإن الموت قد قرب وقد بلغ الوليد مني مراده).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ((فضمّني أبي إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة - وذكر وصايا عدة من جملتها أنه قال: - (يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله) ثم أُغمي عليه ثلاثًا ثم فتح عينيه وقرأ: (إذا وقعت الواقعة) و(إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا) وقال: (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين))^(١) ثم فاضت نفسه المقدسة مظلوما مهضوما في الخامس والعشرين من المحرم سنة ٩٤ هـ على المشهور، فسلام عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين ما أضاء نهار وأظلم ليل ورحمة الله وبركاته.

شذرات من أقوال الإمام السجاد عليه السلام:

قال عليه السلام: ((من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس))^(٢).
 وقال عليه السلام: ((اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير))^(٣).
 وقال عليه السلام: ((كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك))^(٤).
 وقال عليه السلام: ((المؤمن من دعائه على ثلاث: إما أن يدخر له، وإما أن يعجل له، وإما أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه))^(٥).
 وقال عليه السلام: ((إن الله ليبغض البخيل السائل الملحف))^(٦).
 وقال عليه السلام: ((ثلاث منجيات للمؤمن: كف لسانه عن الناس، واغتيالهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودينه، وطول البكاء على خطيئته))^(٧).
 وقال عليه السلام: ((نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة له عبادة))^(٨).

(١) وفيات الأئمة: ص ١٧١ .

(٢) تحف العقول: ص ٢٧٨ .

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٨ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق: ص ٢٨٠ .

(٦) المصدر السابق: ص ٢٨٢ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) المصدر السابق .

زيارة الإمام السجاد عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ الْعَابِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ الْمُتَهَجِّدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الْمُتَّقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دُرَّةَ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ الْمُسْلِمِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فُرَّةَ عَيْنِ النَّاطِرِينَ الْعَارِفِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلْفَ السَّابِقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ وَصَايَا الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ضَوْءَ الْمُسْتَوْحِشِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الْمُجْتَهِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سِرَاجَ الْمُرْتَاضِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دُخْرَ الْمُتَعَبِّدِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِصْبَاحَ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِينَةَ الْعِلْمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَكِينَةَ الْحِلْمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِيزَانَ الْقِصَاصِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِينَةَ الْخَلَاصِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ النَّدَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ بَدْرَ الدُّجَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَوْاهُ الْحَلِيمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصَّابِرِ الْحَكِيمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَيْسَ الْبَكَائِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِصْبَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ، وَابْنُ حُجَّتِهِ، وَأَبُو حُجَجِهِ وَابْنُ أَمِينِهِ، وَأَبُو أَمْنَائِهِ، وَأَنَّكَ نَاصِحَتٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَسَارِعَتٍ فِي مَرْضَاتِهِ، وَخِيَّتٍ أَعْدَاءَهُ، وَسَرَرَتٍ أَوْلِيَاءَهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ عَبَدْتَ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ، وَأَتَّقَيْتَهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَأَطَعْتَهُ حَقَّ طَاعَتِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، فَعَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



مناسبات الشهر

شهر صفر الخير



١هـ واقعة صفين

٧هـ شهادة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

١٧هـ شهادة الإمام الرضا عليه السلام



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

١٩

واقعة صفين

١ صفر لسنة ٣٧ هـ



المناسبات الدينية لشهر صفر

واقعة صفين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
أصدر الإمام عليّ عليه السلام قراره بعزل معاوية عن الشام بمجرد أن تولى أمر الخلافة، إلا أن معاوية رفض الانصياع لقرار الإمام عليه السلام وأعلن العصيان، رافعا قميص عثمان على منبر دمشق، داعيا الناس إلى الثأر من قتلته، مشيرا بإصبع الاتهام إلى الإمام علي وشيعته ..

لقد حكم معاوية الشام سبعة عشر عاما مكن لنفسه فيها وارتبط مصيره بها وكانت بالنسبة له بمثابة دولة وليست ولاية.. ولأن الإمام عليه السلام كان يفقه حقيقة معاوية والاتجاه الذي يمثله والدور الذي سوف يلعبه، كان لا بد من أن يتبنى هذا الموقف تجاهه، فحقيقة معاوية أنه شيطان هذه الأمة، والاتجاه الذي يمثله هو الباطل، والدور الذي سوف يلعبه هو ضرب الإسلام النبوي، وأمام شخص كهذا لا تصح المساومات والمداهنات وأنصاف الحلول، لأنها سوف تكون على حساب الحق وسوف ينتج عنها دعم الباطل، من هنا كان السيف هو الحل الذي فرض نفسه، فلم يكن أمام معاوية سواه ليواجه به الإمام عليه السلام فهو لا يملك أية مقومات أخرى ليواجهه بها، فهو لا يملك الشرعية.. ولا يملك العلم.. ولا يملك الرصيد التاريخي..

معاوية يستشير عمرو بن العاص:

ولما أراد معاوية السير إلى صفين قال لعمرو بن العاص: إني قد رأيت أن نلقي إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمر عثمان، فإما أن ندرك حاجتنا، وإما أن يكفّ القوم عنّا، قال عمرو: إننا نكتب إلى ثلاثة نفر: راض بعلي فلا يزيد ذلك إلا بصيرة، أو رجل يهوى عثمان فلن يزيد على ما هو عليه، أو

رجل معتزل فلست بأوثق في نفسه من عليّ، قال: عليّ ذلك، فكتبا: ((أما بعد، فإنه مهما غابت عنا من الأمور فلن يغيب عنا أن علياً قتل عثمان، والدليل على ذلك مكان قتلتيه منه وإنما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قتلتيه فنقتلهم بكتاب الله، فإن دفعهم عليّ إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب، وأمّا الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا على أمرنا هذا وانفضوا من ناحيتكم فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد، هاب عليّ ما هو فيه))^(١).

الإمام عليّ عليه السلام يستشير المهاجرين والأنصار قبل المسير إلى الشام:

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ((أما بعد: فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم)).

فقام جملة من أصحابه وطلبوا منه الإسراع في المسير إليهم ودعوتهم إلى الرجوع لرشدهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال، وإن أبوا إلا الشقاق فليس لهم إلا الحرب.

ويروى أن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أخذ يظهر البراءة ويشتم أهل الشام، فأرسل إليهم عليّ عليه السلام: ((أن كفوا عما يبلغني عنكم، فأتوا إليه وقالوا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟ قال: بلى، قالوا: أوليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ قال عليه السلام: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتهم أعماهم وذكرتهم حاهم، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم، اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي

(١) وقعة صفين: ص ٦٢.

عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ كَانَ هَذَا أَحَبَّ إِلَيَّ وَخَيْرًا لَكُمْ))^(١).

خروج الإمام علي عليه السلام إلى النخيلة:

وأمر علي عليه السلام الناس بالخروج إلى المعسكر بالنخيلة واستخلف عقبة بن عمرو الأنصاري على الكوفة، وكان أصغر أصحاب العقبة السبعين، ثم خرج علي عليه السلام وخرج الناس معه.

وبلغ معاوية بن أبي سفيان وهو في دمشق مكان علي عليه السلام بالنخيلة ومعسكره بها فألبس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضب بالدم، وأجتمع حول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون لا تجف دموعهم على عثمان فصعد معاوية المنبر وخطب في أهل الشام، فقال: ((يا أهل الشام، قد كنتم تكذبوني في علي، وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتم غيره، وهو أمر بقتله، وألب الناس عليه، وأوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم، يا أهل الشام، الله في عثمان فأننا وليّ عثمان وأحق من طلب بدمه، وقد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً، فانصروا خليفتم المظلوم، فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغيّاً، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله)) ثم نزل، فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه.

ويروى أن علياً عليه السلام لما أراد الشخوص إلى النخيلة قال له مالك بن حبيب - وهو على شرطة علي عليه السلام - وهو أخذ بعنان دابته عليه السلام: يا أمير المؤمنين أخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال؟ فقال له علي عليه السلام: ((إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلا كنت شريكهم فيه، وأنت ها هنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم))^(٢)، فقال سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين، فخرج علي عليه السلام حتى إذا جاز حد الكوفة صلّى ركعتين.

(١) نهج البلاغة: ص ٣٣٣.

(٢) وقعة صفين: ص ١٣٣.

وصول الإمام علي عليه السلام إلى الرقة:

ثم سار أمير المؤمنين عليه السلام حتى أتى الرقة وجُلَّ أهلها العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوائهم إلى معاوية فغلقوا أبوابها وتحصنوا فيها، وكان أميرهم سماك بن مخزومة الأسدي في طاعة معاوية.

ولما نزل عليّ الرقة نزل بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي عليه السلام: إنَّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال عليّ عليه السلام: نعم فما هو؟ قال الراهب:

((بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيما قضى واطر أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله لا فظاً ولا غليظ، ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمدون الذين يحمدون الله على كل نشز وفي كل صعود وهبوط تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير والتسبيح وينصره الله على كل من ناواه، فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء، يخاف الله في السر وينصح له في العلانية ولا يخاف في الله لومة لائم، من أدرك ذلك النبي ﷺ من أهل هذه البلاد فأمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة))^(١).

ثم قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقك حتى يصيبني ما أصابك قال: فبكى عليّ عليه السلام ثم قال: ((الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار، ومضى الراهب معه وكان - فيما ذكروا - يتغدى مع

عليّ عليه السلام ويتعشى حتى أصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ عليه السلام: اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه ودفنه وقال: هذا منا أهل البيت واستغفر له مراراً^(١).

ويروي أنّ علياً عليه السلام قال لأهل الرقة: ((أجسروا لي جسراً لكي أعبر من هذا المكان إلى الشام)) فأبوا وقد كانوا ضموا السفن عندهم، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج، وخلف عليه الأشر، فناداهم فقال: يا أهل هذا الحصن إني أقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مديتكم حتى يعبر منها لأجردنّ فيكم السيف ولأقتلنّ مقاتلتكم ولأخربنّ أرضكم ولأخذنّ أموالكم، فلقي بعضهم بعضاً فقالوا: إنّ الأشر يفي بما يقول وإن علياً خلفه علينا ليأتينا منه الشر، فبعثوا اليه: إنا ناصبون لكم جسراً فأقبلوا، فأرسل الأشر إلى علي فجاء ونصبوا له الجسر فعبر الأثقال والرجال ثم أمر الأشر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق أحد من الناس إلاّ عبر، ثم إنه عبر آخر الناس رجلاً^(٢).

القتال على الماء:

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على الشريعة: ((قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة وتأخير محلة، أو روّوا السيوف من الدماء تُرووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين، ألا وإنّ معاوية قادمة من الغواة وعمس عليهم الخير، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنيّة))^(٣).

ويروي أن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نادى عمرو بن العاص، قال: ((ويحك يا ابن العاص حلّ بيننا وبين الماء، فوالله لئن لم تفعل ليأخذنا وإياكم

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ٥٩.

(٢) وقعة صفين: ص ١٥٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٥١.

السيوف، فقال عمرو: والله لا نخلي عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم، فيعلم ربنا أيننا اليوم أصبر، فترجّل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب عليّ عليه السلام وترجّل معها اثنا عشر ألفاً، فحملوا على عمرو ومن معه من أهل الشام، فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل عليّ عليه السلام سنابكها في الماء))^(١). فلما غلب عليّ عليه السلام على الماء وطرد عنه أهل الشام بعث إلى معاوية: ((إننا لا نكافيك بصنعك هلمّ إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء))^(٢) فأخذ كل واحد منهما بالشرعة مما يليه.

إعلان الحرب:

فلما انسلخ المحرم واستقبل صفر، وذلك في سنة (٣٧هـ)، بعث عليّ عليه السلام نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام مرثد بن الحارث الجشمي فنادى عند غروب الشمس يا أهل الشام، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم: إنا والله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم، ولا بقيا عليكم، وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم، ثم انسلخ، وإنا قد نبذنا إليكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، قال: فتحاجز الناس، وثاروا إلى أمرائهم^(٣).

تقييم معسكر معاوية:

روى نصر بن مزاحم بإسناده عن شيخ من بكر بن وائل، قال: ((كنا مع علي بصفين، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح، فقال ناس: هذا اللواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً، فقال: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة، فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: ما فيها يا رسول الله؟

(١) وقعة صفين: ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٠٢، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٢٥، بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٤٥٧.

قال: فيها أن لا تقاتل به مسلماً، ولا تقربه من كافر» فأخذها، فقد والله قربه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلا أنهم لم يدعوا الصلاة))^(١).

وروى بإسناده عن حبيب بن أبي ثابت قال: ((لما كان قتال صفين قال رجل لعمار: يا أبا اليقظان: ألم يقل رسول الله ﷺ: قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم))، قال: بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً))^(٢).

دور عمار بن ياسر في الحرب:

إن لعمار منزلة كبيرة عند النبي وآله (صلوات الله عليهم) لمواقفه المشرفة في الإسلام، لذلك روي عن النبي ﷺ، أنه قال: ((إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان))^(٣).

وأنه ﷺ قال له: ((إنك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية))^(٤).

وتقدم عمّار في يوم صفين فقاتل قتال الأبطال ثم رجع إلى موضعه فاستسقى وقد اشتد ظمؤه، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعسّ فيه لبن، فدفعته إليه، فقال: الله أكبر، الله أكبر، اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة، صدق الصادق، وبذلك أخبرني الناطق، وهو اليوم الذي وعدت فيه لأن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: ((تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشرها ضياع من لبن))^(٥)، ثم قال: أيها الناس، هل من رائج إلى الله تحت العوالي، والذي نفسي بيده لئنقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله، والله لو ضربونا حتى

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٧٦٦.

(٤) المصدر السابق: ج ٥، ص ٦٦٩، وصحيح مسلم: ج ٤، ص ٢٢٣٦.

(٥) وقعة صفين: ص ٣٤١.

يبلغوا بنا سعفات هَجَرَ لَعِمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ»^(١) ثم حمل فتوسط القوم، واشتبكت عليه الأسننة وحمل عليه ابن جيون السكوني وأبو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فطعنه، وأما ابن جيون فإنه احتز رأسه، وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة، وقبره بصفين وصلى عليه علي عليه السلام ولم يغسله.

خدعة رفع المصاحف:

لما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها: هذا حَكَمَ بيننا وبينكم فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: ينبغي لنا أن نقبل، فتكون فرقة بينهم، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل، فرفعوا نحو (٥٠٠) من المصاحف بالرماح، وقالوا: هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد أهله؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفار؟

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه، وأحبّ القوم المواعدة، وقيل لعلي: قد أعطاك معاوية الحق ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه، وكان أشدهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس، فقال علي عليه السلام: ((أيها الناس، إنه لم يزل من أمركم ما أحبّ حتى قرحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وإني كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتكم البقاء))^(٢)، ثم قال علي عليه السلام: ((ويحكم إنهم ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهاء ومكيدة))^(٣)، فقالوا له: إنه

(١) وقعة صفين: ص ٣٣٥.

(٢) الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص ٣٦٥

(٣) مروج الذهب: ج ٢، ص ٣٩٠.

ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله، فقال عليه السلام: ((ويحكم إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب، فقد عصوا الله فيما أمرهم به، ونبذوا كتابه، فامضوا على حقكم وقصدكم، وخذوا في قتال عدوكم، فإن معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدداً غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالاً ورجالاً فهم شر أطفال ورجال))^(١).

فقال الأشعث: إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، قال عليه السلام: ((ذلك إليك فأتته إن شئت))، فأتاه الأشعث فسأله، فقال له معاوية: نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله، وإلى ما أمر به في كتابه: تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ونبعث برجل، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملوا بما في كتاب الله ولا يخرجوا عنه، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله، وصوب الأشعث قوله وانصرف إلى عليه السلام، فأخبره بذلك، فقال أكثر الناس: رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج: رضينا نحن بأبي موسى الأشعري، فقال عليه السلام: ((قد عصيتُموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أؤيِّب أبا موسى الأشعري)) فقال الأشعث ومن معه: لا، نرضى إلا بأبي موسى الأشعري، قال عليه السلام: ((ويحكم! هو ليس بثقة قد فارقتني وخذل الناس عني وفعل كذا وكذا، وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمتته))، لكن الأشعث وأصحابه أصروا على اختيارهم فبعثوا إلى أبي موسى وكتبوا له القصة، وقيل لأبي موسى: ((إن الناس قد اصطلحوا، فقال: الحمد لله، قيل: وقد جعلوك حكماً، قال: إننا لله وإننا إليه راجعون))^(٢).

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ٣٩١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٠٤.

خاتمة المطاف:

وأخيراً تمّ الاتفاق بين الفريقين على التحكيم، الأمر الذي كان يحذّر منه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لكنه لم يجد بداً أمام إصرار أهل العراق. وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحيي الحكمان ما أحى القرآن ويميتا ما أمات القرآن ولا يتبعان الهوى، ولا يداهنان في شيء من ذلك، فإن فعلاً فلا حكم لهما، والمسلمون من حكمهما براء، وقال عليّ عليه السلام للحكمين حين أكرهه على أمرهما: ((على أن تحكما بما في كتاب الله، وكتاب الله كله لي، فإن لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما))^(١).

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض: يتبرأ الأخ من أخيه، والابن من أبيه، وأمر عليّ بالرحيل، لعلمه باختلاف الكلمة، وتفاوت الرأي، وعدم النظام لأموارهم، وما لحقه من الخلاف منهم وكثر الخلاف في جيش أهل العراق، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا، ولام كل فريق منهم الآخر في رأيه، وسار علي يئوم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام، وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) كنز العمال: ج ١١، ص ٣١٩، مروج الذهب: ج ٢، ص ٤٣٥.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٠٦

الله أكبر
حسنة الحسين عليه السلام

٧ صفر



المناسبات الدينية لشهر صفر

شهادة كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ولادته ونسبه عليه السلام:

إن الإمام الحسن عليه السلام ليس بحاجة إلى تعريف بشرف نسبه وطهارة مولده وسيرته العطرة وشمائله القدسية، فجدّه رسول الله ﷺ وأمين وحيه، وأبوه سيد الأوصياء وصاحب علم الكتاب، وأمّه أم أيها التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، ونجد لذلك أن الإمام الحسن عليه السلام كان مكرماً حتى عند غير شيعة أهل البيت عليهم السلام.

كانت ولادته المباركة في الخامس عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثة للهجرة، وقد نزلت تسميته من عند الله تعالى كما تشير إلى ذلك الروايات. وقد رويت الكثير من النصوص النبوية الشريفة التي تدل على منزلة الإمام الحسن عليه السلام الرفيعة وعظم شأنه، قال عليه السلام: ((... فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر))^(١)

وروي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك، قال: ((الحسن والحسين))^(٢).

وعن سعيد بن زيد بن نفيّل أن النبي ﷺ احتضن حسناً فقال: ((اللهم إني قد أحببته فأحبه))^(٣).

وقد كان الإمام الحسن عليه السلام يحمل الكثير من الصفات الروحية والجسدية

(١) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٥٣.

(٣) المعجم الكبير: ج ١، ص ١٥٢.

التي تربطه بجده الرسول الأكرم ﷺ، فقد روي عن صفوان بن سليمان أن النبي ﷺ قال: ((أما الحسن فأنحله الهيبة والحلم، وأما الحسين فأنحله الجود والرحمة))^(١).

سيرته ﷺ:

ضرب الإمام الحسن ﷺ المثل الأسمى في تجسيد المظاهر الأخلاقية للشريعة الإسلامية بأبهى صورها، بحيث صار القدوة الأصيلة التي يقتفي السالكون إلى الله أثرها ويتبعون سمتها وهداياها.

روي أنه ﷺ حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد معه، ولقد قاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى كان يعطي الخف ويمسك النعل، وروي أنه ﷺ مرّ على فقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز وهم يأكلون منها فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: ((إن الله لا يحب المتكبرين)) ولما فرغوا من الطعام دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم.

وقد ضرب لنا الإمام الحسن ﷺ أمثالا في الكرم والجود يحتذى بها، فقد روي أن الإمام الحسن ﷺ سمع رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف ﷺ إلى منزله وبعث بها إليه^(٢).

وجاء أعرابي وقبل أن يسأل حاجته قال ﷺ: أعطوه ما في الخزانة! فوجد فيها عشرون ألف درهم فدفعت إليه، فقال الأعرابي: يا مولاي، ألا تركتني أبوح بحاجتي، وانشر مدحتي؟ فأنشأ الإمام ﷺ يقول:

نحن أناس نوالنا خضل * يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا * خوفا على ماء وجه من يسأل
لو علم البحر فضل نائلنا * لغاض من بعد فيضه خجل^(٣)

(١) الخصال: ص ٧٨.

(٢) ذخائر العقبى: ص ١٣٧، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ٣، ص ٢٥٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٢.

ومما يروى في كرمه وسخائه الذي اشتهر به أن أعرابيا جاءه برقعة لحاجة قد كتب عليها:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم * تكفيك رؤية منظري عن مخبري
إلا بقايا ماء وجهه صنته * أفلا أبيع وقد وجدتك مشتري
فأعطاه عليه السلام مالا جزيلا وأجابه:

عاجلتنا فأناك وابل برنا * طلا ولو أمهلتنا لم نقصر
فخذ القليل وكن كأنك لم * تبع ماصته وكأننا لم نشتر
وقيل له يوما: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة؟ فقال عليه السلام: إني
لله سائل وفيه راغب وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وإن الله عودني
عادة، أن يفيض نعمة عليّ وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن
قطعت العادة أن يمنعني العادة وأنشد يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحبا * بمن فضله فرض علي معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل * وأفضل أيام الفتى حين يسأل
صلح الإمام الحسن عليه السلام:

يُعدُّ عصر الإمام الحسن عليه السلام من العصور التاريخية المهمة التي تميزت بكونها
فصلاً من الفصول التغييرية في حركة الأمة الإسلامية، ولا بد من أن ننظر بدقة
إلى هذا الفصل باعتباره يحمل أحداثاً ووقائع حية تتكرر أمثالها بصورة أو
بأخرى في الكثير من العصور والأزمنة.

إن التاريخ الإسلامي يذكر بأن الأمة في أواخر خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
قد بدأت تتوالى عليها الانتكاسات الداخلية الواحدة تلو الأخرى، وقد رويت
عدة من الخطب الشريفة للإمام علي عليه السلام يشكو فيها تلك الحالة بشكل واضح
وجلي، فإذا ما فهمنا ذلك جيداً نعلم الظروف النفسية والاجتماعية للأمة التي
استلم الإمام الحسن عليه السلام زمام قيادتها، وبالتالي فإن كل محاولات استنهاض
أصحابه وتحريضهم على مقارعة معاوية بن أبي سفيان قد باءت بالفشل

وخلّفت ردود أفعال مضادة نالت حتى شخص الإمام الحسن عليه السلام بالأذى، وقد بلغ الأمر إلى حد أن حاولت جماعات من الذين ينضون تحت حكومة الإمام عليه السلام قتله، مضافاً إلى التحاق قواد جيوش الإمام عليه السلام البارزين وجماعات من جنده بمعاوية تحت ضغط الإغراء بالمال والجاه.

ونظرة متأملة إلى الخطبة التي رويت عن الإمام الحسن عليه السلام - والتي فصل من خلالها ملابسات الأمور التي كانت تستخدم آنذاك في جسم الأمة الإسلامية - يتبين لنا بوضوح واقع الحال الذي ذكرناه آنفاً، قال عليه السلام: ((أما والله ما ثننا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيب السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم وكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تعدون قتيلين: قتيلاً بصفين تبكون عليهم، وقيلاً بالنهروان تطلبون بشأره، فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر، وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت، بذلناه في ذات الله، وحاكمناه إلى الله فنادى القوم بأجمعهم بل البقية والحياة))^(١).

في ظل تلك الظروف المعقّدة، وجد الإمام الحسن عليه السلام بنافذ بصيرته ومكنون حكمته أن البقاء على ذلك المنوال سيعرّض الأمة المسلمة إما إلى الاندماج في مذهب أهل الشام أو إلى الإبادة بسيوفهم، فأثر إقامة الصلح مع معاوية لتبقى الأمة - التي اتبعت أمير المؤمنين عليه السلام من قبل - محفوظة الكيان محتفظة بالبقية الباقية من ارتباطها بالإسلام الأصيل، على الرغم من أنه يعلم بالأذى الكبير الذي سيناله بسبب هذا العمل.

لقد نفذ السبط الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أروع المشاريع الإسلامية التي ترسم جانبا مهما من سياسة أهل البيت عليهم السلام العامة التي تقوم على الموازنة الحقيقية بين

(١) أعلام الدين للدليمي: ص ٢٩٢.

المصالح والمفاسد وتقديم الأهم على المهم، لذلك لا بد أن ننظر بشكل دقيق إليها لننهل من سيرته عليه السلام المنهج الحكيم الذي اتبعه هذا الإمام الهمام الذي عانى الأمرين في سبيل تطبيق ذلك الهدف السامي، وتعرض للأذى حتى من قبل بعض أتباعه الذين لم يفهموا علم الإمام ومقصده، على الرغم من أن رسول الله ﷺ قد فتح للناس منذ عهده الكريم باب الغيب على صلح الإمام الحسن عليه السلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام لكي يتبع الناس النهج السليم وليدوروا مع أهل البيت عليهم السلام حيثما داروا، قال عليه السلام: ((هذان إمامان قاما أو قعدا))^(١).

شهادته عليه السلام:

لقد علم معاوية بن أبي سفيان على أن الصلح الذي أقامه الإمام الحسن عليه السلام لم يكن في صالح طغيانه وجبروته ودوام ملكه، حيث وجد أن الأمة قد أخذت تقف على مواطن الصواب بعد انكشاف رياح الفتنة وزوال زبرج المظاهر، وكان الإمام الحسن عليه السلام يبصر الناس ويهديهم في كل ذلك، فأراد معاوية أن يكتم تلك الأنفاس المقدسة ويطمس ذلك النور الطاهر - ولكن يأبى الله إلا أن يتيماً نوره ولو كره الكافرون - وصار يتحين الفرص لقتل الإمام عليه السلام، فأرسل إلى زوجة الإمام «جعدة بنت الأشعث» ووعدا ومناها إن هي قتلت الحسن عليه السلام بالسم زوجها من يزيد، فاستجابت الملعونة لدعوة الشيطان وطمعت بالجاه والسلطان، فكانت تريبص بريحانة الرسول ﷺ الفرصة حتى قدمت له في ليلة شديدة الحر - وكان صائماً - طعاما فيه لبن ممزوج بعسل مسموم، فلما تناوله أحس بالسم، فالتفت إليها وقال: ((يا عدوة الله قتليني قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلفا، ولقد غرك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه))^(٢).

وروي أنه عليه السلام بقي ينازع الألم أربعين يوما حتى استشهد في السابع من شهر صفر سنة ٥٠ هـ، فمضى لربه مظلوماً مهضوماً قد أنجز ما أمره به ربه ووفاً

(١) عوالي اللئالي: ج ٣، ص ١٢٩.

(٢) الخرائج والجرائح للراوندي: ج ١، ص ٢٤٢.

بما عاهد عليه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ
أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية



شهادة الإمام الرضا عليه السلام

١٧ صفر



المناسبات الدينية لشهر صفر

شهادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين. سليل الدوحة المحمدية البيضاء، الراضي بالقضاء والقدر، غريب الغرباء، الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام: علي بن موسى عليه السلام. أبوه راهب آل محمد عليه السلام، صاحب المقامات المشهودة والخصال المحمودة، الذي بلغت به الكرامة مبلغا جعل الله زيارة قبره كزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين عليه السلام، روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: ((من زار قبر أبي ببغداد كمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليه السلام))^(١).

أما أم الإمام الرضا عليه السلام فهي نجمة، ويقال إن اسمها تكتم، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها، ولها من الله تعالى كرامة خاصة، فقد ورد أن حميدة - أم الإمام الكاظم عليه السلام - لما اشترت نجمة، رأت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: ((يا حميدة، هبي نجمة لابنك موسى، فإنه سيولد له منها خير أهل الأرض)) فوهبتها له، فلما ولدت له الرضا عليه السلام سماها الطاهرة.

ولد عليه السلام في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٤٨ هـ في المدينة المنورة، وقد ورد أن ولادته بحد ذاتها كانت كرامة من الله تعالى، بما يليق بعلو شأنه وعظيم منزلته، فقد روي عن أم الإمام عليه السلام: ((لما حملتُ بابني علي، لم اشعر بثقل الحمل وكنت أسمع في منامي تسييحا وتهليلا وتمجيذا من بطني، فيفزعني ويهولني فإذا انتبهت لم أسمع شيئا فلما وضعته وقع على الأرض واضعا يديه عليها رافعا رأسه إلى السماء يحرك شفثيه كأنه يتكلم، فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي: (هنيئًا لك يا نجمه كرامة ربك) فناولته إياه في خرقة

(١) الكافي: ج ٤، ص ٥٨٣.

بيضاء فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ودعا بقاء الفرات فحنكه به ثم رده إليّ فقال: خذيه فإنه بقية الله تعالى في أرضه))^(١)

محنة الإمام عليه السلام:

لقد مر الإمام الرضا عليه السلام في حياته بمرحلة حرجة جدا لم يمرّ بها غيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام جميعا، لأن سلوك المأمون العباسي كان يمتاز بالظلم المستور بالمكر والحيلة، إذ لم يكن يُظهر العداء لآل البيت عليهم السلام علانية أمام الملأ بسبب الظروف السياسية التي مرّ بها سلطانه.

فمن الخطوات المهمة التي سار بها المأمون لتدعيم أركان حكمه.. إجباره الإمام عليه السلام على تولّي ولاية العهد بعده، لمعرفةه بالمكانة العظيمة التي يجوزها الرضا عليه السلام في قلوب أتباعه، بل في قلوب عامة المسلمين.

ولما كان عليه السلام يأبى ذلك، فقد ألحّ المأمون عليه مرة بعد أخرى، حتى بلغ به الأمر أن هدده بالقتل إن رفض ذلك، فوافق الإمام عليه السلام مُكرهاً، وقد روي عنه في ذلك قوله: ((اللهم إنك نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أُكرهت واضطّرت، كما أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده، وقد أُكرهت واضطّرت كما اضطّر يوسف ودانيال عليه السلام، قَبِل كل واحد منهما الولاية من طاغية زمانه، اللهم لا عهد إلا عهدك، ولا ولاية لي إلا من قبلك، فوفقني لإقامة دينك وإحياء سنة نبيك محمد ﷺ فإنك أنت المولى والنصير، ونعم المولى أنت ونعم النصير))^(٢) فقبل الإمام بولاية العهد وهو باكٍ حزين، ولكن، استطاع الإمام الرضا عليه السلام أن يحوّل هذا الواقع المؤلم إلى وسيلة تفضح بغي المأمون ومكره، فقد اشترط في قبوله بالأمر أن لا يوليّ أحدا ولا يعزل أحدا ولا يغيّر رسما ولا سنة، ومن الواضح أن قبول منصب دون عمل إنما هو تصريح واضح بكراهته له، وأنه مجبر على تقبله، لأن من

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٩.

يسعى إلى تولي سلطانٍ ما لا بد أن يخوض أعماله، لا أن ينال اسمه فحسب. كما أن الإمام الرضا عليه السلام استطاع أن يحتك بأكبر قدر بالناس، فتعرفوا عليه عن كثب، وبخاصة في انتقاله إلى بلاد بعيدة عن حاضرة الإسلام الأولى - المدينة المنورة - ومما يدل على ذلك ما ورد عن إسحاق بن راهويه، قال: ((لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور، وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيدة منك، وقد كان قعد في العمارة فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها))^(١).

شهادته عليه السلام:

ولما انقلب مكر المأمون عليه بحكمة الإمام الرضا عليه السلام وتأييد الله تعالى له، وجد أن لا مفر إلا أن يكتم تلك الأنفاس الطاهرة ليأمن على دنياه وسلطانه، فاحتال لذلك باتباعه سنة آبائه الضالين، فدس السم للإمام عليه السلام في طعامه. روي عن محمد بن الجهم أنه قال: كان الرضا عليه السلام يعجبه العنب، فأخذ منه شيئاً فجعل في موضع أقمعه الإبر أياماً، ثم نزعت منه، وجيء به إليه فأكل منه وهو في علته فقتله^(٢).

وورد في خبر: ((إن المأمون أمر عبد الله بن بشير أن يطول أظفاره، وأخرج إليه شيئاً كالتمر وقال: اعجن هذا بيدك جميعاً، ثم أمر للرضا عليه السلام بالرمان، وأمر

(١) الأمالي: ص ٣٠٦.

(٢) المجالس السنية: ج ٥، ص ٦٠٤.

لابن بشير أن يعصره بيده، ففعل، وسقاه المأمون للرضا بيده))^(١).
 وروي عن أبي الصلت الهروي أنه قال: ((دخلت على الرضا وقد خرج من
 عند المأمون، فقال: (يا أبا الصلت قد فعلوها) وجعل يوحد الله ويمجده))^(٢).
 ارتحل الإمام الرضا عليه السلام إلى جوار ربه في السابع عشر من شهر صفر عام
 ٢٠٣ هـ مظلوما مهضوما، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

زيارة الامام الرضا عليه السلام:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّه
 سَيِّدُ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ، وَأَنَّه سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
 عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَسَيِّدِ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ صَلَاةً لَا يَقْوَى عَلَى إِحْصَائِهَا
 غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ
 الَّذِي أَنْتَجَبْتَهُ بِعِلْمِكَ وَجَعَلْتَهُ هَادِيًا لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَالذَّلِيلَ عَلَى مَنْ
 بَعَثْتَهُ بِرِسَالَتِكَ، وَدَيَانَ الدِّينِ بَعْدِكَ، وَفَضْلَ قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، وَالْمُهَيِّمَنَ
 عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فاطمة بنتِ
 نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَلِيِّكَ وَأُمِّ السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،
 الطُّهْرَةَ الطَّاهِرَةَ الْمُطَهَّرَةَ النَّقِيَّةَ النَّقِيَّةَ الرَّضِيَّةَ الرَّضِيَّةَ، سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
 أَجْمَعِينَ صَلَاةً لَا يَقْوَى عَلَى إِحْصَائِهَا غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
 سَبْطَيْ نَبِيِّكَ وَسَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْقَائِمِينَ فِي خَلْقِكَ، وَالذَّلِيلَيْنِ عَلَى مَنْ
 بَعَثْتَ بِرِسَالَتِكَ، وَدَيَانِي الدِّينِ بَعْدِكَ وَفَضْلِي قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ
 عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَبْدِكَ الْقَائِمِ فِي خَلْقِكَ، وَالذَّلِيلِ عَلَى مَنْ بَعَثْتَ بِرِسَالَتِكَ،
 وَدَيَانَ الدِّينِ بَعْدِكَ، وَفَضْلَ قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ
 عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَبْدِكَ وَخَلِيفَتِكَ فِي أَرْضِكَ بَاقِرِ عِلْمِ النَّبِيِّينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ
 عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَبْدِكَ وَوَلِيِّ دِينِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ
 الصَّادِقِ الْبَارِّ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ عَبْدِكَ الصَّالِحِ وَلِسَانِكَ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ٣٧٤.

(٢) المصدر السابق.

خَلَقَكَ النَّاطِقِ بِحُكْمِكَ وَالْحُجَّةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا الْمُرْتَضَى عَبْدِكَ وَوَلِيِّ دِينِكَ الْقَائِمِ بِعَدْلِكَ وَالِدَاعِي إِلَى دِينِكَ وَدِينِ آبَائِهِ الصَّادِقِينَ صَلَاةً لَا يَتَقَوَّى عَلَى إِحْصَائِهَا غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ الْقَائِمِ بِأَمْرِكَ وَالِدَاعِي إِلَى سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ عَبْدِكَ وَوَلِيِّ دِينِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الْعَامِلِ بِأَمْرِكَ الْقَائِمِ فِي خَلْقِكَ وَحُجَّتِكَ الْمُؤَدِّي عَنْ نَبِيِّكَ وَشَاهِدِكَ عَلَى خَلْقِكَ، الْمُخْصُوصِ بِكَرَامَتِكَ الدَّاعِي إِلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى حُجَّتِكَ وَوَلِيِّكَ الْقَائِمِ فِي خَلْقِكَ صَلَاةً تَامَةً نَامِيَةً بَاقِيَةً تُعَجِّلُ بِهَا فَرَجَهُ وَتَنْصُرُهُ بِهَا وَتَجْعَلُنَا مَعَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِحُبِّهِمْ وَأُوَالِي وَلِيَّهُمْ وَأُعَادِي عَدُوَّهُمْ، فَارْزُقْنِي بِهِمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنِّي بِهِمْ شَرَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ تَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَتَقُولُ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللَّهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَمُودَ الدِّينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ آدَمَ صِنْفَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ إِسْمَاعِيلَ ذَبِيحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ وَوَلِيِّ اللَّهِ وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بَاقِرِ عِلْمِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْآخِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْبَارِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاثَرَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ الشَّهِيدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَصِيُّ الْبَارِ التَّقِيُّ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا

أَبَا الْحَسَنِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

ثُمَّ تَنكَبُ عَلَى الْقَبْرِ وَتَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ صَمَدْتُ مِنْ أَرْضِي وَقَطَعْتُ الْبِلَادَ رَجَاءَ رَحْمَتِكَ فَلَا تُخَيِّبْنِي وَلَا تَوَدِّنِي بغيرِ قِضَاءِ حَاجَتِي، وَارْحَمْ تَقَلُّبِي عَلَى قَبْرِ ابْنِ أَخِي رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي يَا مَوْلَايَ أَتَيْتُكَ زَائِراً وَافِداً عَائِداً مِمَّا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَاحْتَبَبْتُ عَلَى ظَهْرِي، فَكُنْ لِي شَافِعاً إِلَى اللَّهِ يَوْمَ فَقْرِي وَفَاقَتِي فَلَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامٌ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ عِنْدَهُ وَجِيهٌ.

ثُمَّ تَرَفَعُ يَدَكَ الْيُمْنَى وَتَبْسُطُ الْيُسْرَى عَلَى الْقَبْرِ وَتَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنِّي اتَّقَرَّبُ إِلَيْكَ بِحُبِّهِمْ وَبِوِلَايَتِهِمْ، أَنْوَلِي آخِرَهُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَهُمْ، وَأَبْرَأُ مِنْ كُلِّ وَلِيَجَةٍ دُونَهُمْ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَكَ، وَأَتَمَّهُمْ نَبِيَّكَ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِكَ، وَسَخَرُوا بِإِمَامِكَ، وَحَمَلُوا النَّاسَ عَلَى أَكْتافِ آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي اتَّقَرَّبُ إِلَيْكَ بِاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا رَحْمَنُ.

ثُمَّ تَحْوَلُ عِنْدَ رَجْلَيْهِ وَتَقُولُ:

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، صَبَرْتَ وَأَنْتَ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ، قَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسُنِ.

ثُمَّ ابْتِهَلُ فِي اللَّعْنَةِ عَلَى قَاتِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَعَلَى قَتَلَةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلَى جَمِيعِ قَتَلَةِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ تَحْوَلُ عِنْدَ رَأْسِهِ مِنْ خَلْفِهِ وَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ تَقْرَأُ فِي أَحَدَاهُمَا يَسَّ وَفِي الْأُخْرَى الرَّحْمَنَ وَتَجْتَهِدُ فِي الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَآكْثَرَ مِنَ الدَّعَاءِ لِنَفْسِكَ وَلِوَالِدَيْكَ وَلِجَمِيعِ إِخْوَانِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَقِمِ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا شِئْتَ وَلِتَكُنْ صَلَوَاتُكَ عِنْدَ الْقَبْرِ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



مناسبات الشهر

شهر ربيع الأول



١هـ مبيت أمير المؤمنين عليه السلام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله عند هجرته.

٨هـ شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

١٠هـ زواج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من خديجة الكبرى

١٧هـ ولادة سيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله

١٧هـ ولادة الإمام الصادق عليه السلام

٢٢هـ غزوة بني النضير



قسم الشؤون الدينية
شعبة التليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٠٢٠

مبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله عند هجرته

١ ربيع الأول



المناسبات الدينية لشهر ربيع الأول

مبيت أمير المؤمنين عليه السلام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله عند هجرته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
تاريخ الإسلام الذي بين أيدينا يحمل وقائع كثيرة وأحداثاً مهمّة، لا يكفي بمطالعتها مطالعةً سطحيّةً عابرة، فإنّ وراءها عبراً وفي طياتها نداءات لمواقف اعتقاديّة خطيرة.

ومن تلك الوقائع والحوادث المهمة حادثة هجرة النبي صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة، واستخلافه عليّاً عليه السلام في مكانه، ودعوته إلى المبيت على فراشه، مع علمه صلى الله عليه وآله أنّ قريشاً تنوي قتله غيلةً بالهجوم على داره والانتقاص عليه في نومه، فماذا يفهم من ذلك لو أريد منّا أن نقرأ مثل هذه الحادثة التاريخيّة ببصيرةٍ وتفقهٍ؟!
التساؤل المتحير الذي طرحه التاريخ هو: لماذا أهمل أمر مبيت الإمام عليّ على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة، إهمالاً يراد به الابتعاد عن مقتضياته وأبعاده الحقيقية؟! لقد كان أمر المبيت محنةً عظيمة، وهو في الوقت ذاته كان فضيلةً شريفة، ولو أجال المؤمن فكره في تلك الفضيلة لتفرّعت له منها فضائلٌ عديدة ومناقبٌ متعدّد.

خطة قريش في اغتيال النبي صلى الله عليه وآله:

بعد أن فشلت جميع الطرق التي اتبعتها مشركو قريش في صدّ النبي صلى الله عليه وآله عن أداء رسالته الإلهية، استقرّ رأيهم على اغتياله صلى الله عليه وآله وهو على فراشه، وتعاقدوا على ذلك، وأن يضربوه بأسيافٍ كثيرة كلُّ سيفٍ ينتمي إلى قبيلةٍ من قريش، ليضيع دمه الشريف بين القبائل، فلا يقوى أهل عشيرته على المطالبة بدمه.

الوحي يخبر النبي صلى الله عليه وآله بخطة قريش:

أخبر جبرائيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله بخطة قريش، وأمره بالهجرة إلى المدينة المنورة، ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِبُوكَ

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١﴾.

دعوة الإمام علي للمبيت على فراش النبي ﷺ:

لما علم رسول الله ﷺ عن طريق الوحي الأمين بما تعاهدوا عليه من قتله غيلة، دعا أوثق الناس عنده، وأمثلهم في نفسه، وأبذلهم في ذات الله لمهجته، وأسرعهم إجابةً إلى طاعته، وهو علي بن أبي طالب ؑ وهو في عمر الشباب وفتوة الحياة، فقال له: ((يا علي، إن الروح هبط علي بهذه الآية آفنا، يخبرني أن قريشا اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنه أوحى إليّ ربّي عز وجل أن أهجّر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنه أمرني أن أمرك بالمبيت على مضجعي، ليخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وصانع)؟ فقال علي ؑ: (أو تسلّمن بميتي هناك يا نبي الله)؟ قال: (نعم)، فتبسم علي ؑ ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً بما أنبأه رسول الله ﷺ من سلامته (...)) (٢).

بعد ذلك نزل قوله عز وجل في حق علي ؑ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال لعلي ؑ: ((نم علي فراشي واتشح ببردتي الحضرمي الأخضر فثم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم)) (٣).

نعم، دعاه إلى أن يعرض نفسه المقدسة لأشفار السيوف التي تحملها أيدي الغيظ على الرسول ﷺ والرسالة، فأجاب علي ؑ إلى ذلك سامعاً مطيعاً، طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته، موطناً نفسه على القتل. ولا نعلم فوق بذل النفس درجةً يلتمسها صابر، أو يبلغها طالب، والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود، ولولا أن رسول الله ﷺ علم أن علياً ؑ أهلٌ لذلك لما دعاه إليه.. وقد قال العلماء: إن فضيلة أمير المؤمنين ﷺ تلك الليلة،

(١) سورة الأنفال: آية ٣٠.

(٢) الأمالي: ص ٤٦٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٩٩، السيرة النبوية لابن هشام: ج ٢، ص ٣٣٣.

لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، فإنه ما تلكأ ولا تتعتع، ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه، ولا يصبر على ثقل هذه المحنة أو يتقدم نحو هذا الموقف إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقة ذلك الأمر والفوز بفضيلته، وله من جنس ذلك أفعال كثيرة^(١).

ليلة المبيت عند علماء التفسير:

أما أهل التفسير فكانت لهم بيانات وتعليقات، ففي ظل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

قال أهل التفسير نزلت هذه الآية في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى، كناية عن علي عليه السلام، لأنه مكر بهم، وهو منامه عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

وروى المفسرون كلهم أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾^(٤) نزل في علي عليه السلام ليلة مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت بالتواتر حديث المبيت عند الجميع^(٥).

خروج النبي صلى الله عليه وسلم من داره:

في اليوم الأول من شهر ربيع الأول سنة ١٣ للبعثة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الليل، والرصد من قريش قد أحاطوا بداره، ينتظرون انتصاف الليل ونوم الأعين، فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ٢٥٨-٢٦١.

(٢) سورة الأنفال: آية ٣٠.

(٣) جامع البيان للطبري: ج ٩، ص ٣٠١.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ٢٦٢.

(٦) سورة يس: آية ٩.

فشل الخطة:

اقتحمت قريش دار النبي ﷺ، وهم شاهرون سيوفهم، وتفوح منهم رائحة الحقد والخبث والدناءة، فنهض الإمام علي عليه السلام من مضجعه في شجاعته المعهودة بوجههم الإجرامية، فارتعد القوم وتراجعوا.

فلما عرفت قريش فشل خطتها خرجت في طلب النبي ﷺ، فأعمى الله أثره، وهو نصب أعينهم، وصدّهم عنه، وأخذ بأبصارهم دونه، وهم دهاة العرب في اقتفاء أثر الطير فضلا عن القوافل والركبان، ثم بعث الله العنكبوت، فنسجت في وجه الغار فسترته، وبعث الله حمامتين فوقفتا بقم الغار، فأيسهم ذلك من الطلب.

دعوة الإمام علي عليه السلام إلى المدينة:

بعدهما وصل رسول الله ﷺ إلى يثرب التي سُمّيت فيما بعد بالمدينة المنورة في ١٢ ربيع الأول، كتب إلى الإمام علي عليه السلام كتاباً أمره فيه بالمسير إليه.

فخرج الإمام علي عليه السلام من مكة متجهاً نحو المدينة ومعه ركب الفواطم، وهن: فاطمة الزهراء عليها السلام، وأمّه فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها)، وفاطمة بنت الزبير، فلحقه جماعة متلثمين من قريش، فعرفهم الإمام علي عليه السلام وقال لهم: ((فإني مُنطَلِق إلى ابن عمّي رسول الله ﷺ بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه وأريق دمه فليتعقبنّي، أو فليدنّ منّي))^(١).

ثم سار الإمام علي عليه السلام وفي كل مكان ينزل كان يذكر الله مع الفواطم قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم، فلما وصلوا المدينة نزل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾.

فقرأ رسول الله ﷺ الآية عليهم، فالذكر هو الإمام علي عليه السلام، والأنشَى هُنَّ الفواطم، ثم قال ﷺ: «لأمر المؤمنين علي عليه السلام: ((يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يُجَبِّك والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ قَدِ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ

أو كافر))^(١).

ما ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من الشعر بالمناسبة:

قال الإمام علي عليه السلام شعراً في المناسبة يذكر فيه مبيته على الفراش، ومقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق إذ مكروا به * فنجاه ذو الطول الكريم من المكر
وبات رسول الله بالشعب آمناً * وذلك في حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وهم ينبؤني * وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
أردت به نصر الإله تبثلاً * وأضمرته حتى أوسد في قبري^(٢)

دلالات الواقعة:

بعد كل ما ذكرناه، إذا تدبّر الأمر مُنصفٌ عليم يقيناً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يؤهل للأمر العظام إلاّ أخاه علياً عليه السلام، وهذا يُشير إلى أنّ علياً عليه السلام هو الذي كان يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عظام الأمور، فهو خليفته في حياته وبعد وفاته، فلم لا يُذكر ذلك ويُستنتج من مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الاعتقاد الواضح؟! ولم يُتكلف لغير الإمام علي عليه السلام ما يرفعهم إلى مقامات لا يستحقونها وليسوا لها أهلاً؟!!

وكان من مواقف الاستخلاف والاستيلاء أيضاً: إبقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام في مكة بعد هجرته، وذلك لتأدية أماناته صلى الله عليه وآله وسلم، كتب ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو جعفر (المدائني): والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: ((إذهب فاضطجع في مضجعي، وتغشّ بِرُدي الحُرْمي، فإنّ القوم سيفقدوني ولا يشهدون مضجعي، فلعلّهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يُصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أداء أمانتي))^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ١٦٠.

(٢) الفصول المختارة: ص ٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٢٦٣.

وكتب ابن أبي الحديد بعد ذلك: قال محمد بن إسحاق في كتاب (المغازي):
 ((... إن رسول الله ﷺ أخبر علياً بخروجه، وأمره أن يبيت على فراشه يخادع
 المشركين عنه؛ ... وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّي عن رسول الله
 الودائع التي عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ استودعه رجالاً من مكة
 ودايع له؛ لما يعرفونه من أمانته))^(١).

والذي يخرج به المسلم الواعي من تفكره في هذه الوقائع من نتائج، أن علياً عليه السلام
 كان أوثق وأقرب من كل أحد من الناس للنبي ﷺ، وأكثر اعتماداً عليه
 من جميع الناس، فجعله خليفته في حياته، وأوصى أن يكون خليفته من بعده
 عقب وفاته، فهو الأعلم والأتقى والأعبد، وهو الأول والسبق إلى كل فضيلة
 وخيرٍ وعملٍ صالح، وهو أول مناصرٍ للرسول والرسالة مع أبيه أبي طالب
 (رضوان الله عليه)، وهو موضع مدائح الله تعالى في كتابه المجيد في عشرات
 الآيات البيّنات، وكم من مواقف لم يُقم مقام رسول الله ﷺ إلاّ عليّ، لا سيّما
 في المواقف المصيرية التي كان بها حياة الإسلام وعزة المسلمين، فذاك موقفه
 يوم الإنذار وسط عشرته تقدّم مرّاتٍ مستجيباً لدعوة رسول الله ﷺ أن يكون
 نصيراً ووصياً له، وذاك موقفه يوم الأحزاب والخذق، يوم تحدّى عمرو بن
 عبد ودّ العامريّ جميع المسلمين، فتقدّم عليّ فصرعه، وخلف رسول الله ﷺ في
 تبوك على المدينة، وفي تبليغ سورة براءة إلى اليمن، وفي بعض الصلوات، وكم
 سُمعت من رسول الله ﷺ أحاديث نقلتها الأفواه والأقلام أن علياً خُصّ دون
 المسلمين بأجلى الفضائل وأسماها، وأنه وصيّ وخليفته من بعده، فماذا يقول ﷺ
 بعد ذلك لئلاّ يُدفع عليّ عليه السلام عن مقامه، ولئلاّ يُظلم ويُقتل في محراب عبادته؟!!

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٣٠٣.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٤

شهادة
الإمام الحسن العسكري
عليه السلام

٨ ربيع الأول ٢٦٠ هـ



المناسبات الدينية لشهر ربيع الأول

شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
يعتبر الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام الإمام الممهد لمرحلة جديدة من حياة المسلمين لم يعهدها أتباع أهل البيت عليهم السلام من قبل.. مرحلة وجود القائم المصلح عليه السلام الذي يقيم العدل الإلهي في الأرض، ومرحلة انقطاع اختلاط الإمام المعصوم عليه السلام بالناس..

وعلى الرغم من التعقيدات الكثيرة والمكائد الذميمة التي حيكت تجاه الإمام العسكري عليه السلام، فقد استطاع بحكمته القدسية وبصيرته النافذة - مضافاً إلى قيامه بأعباء الإمامة بعد أبيه عليه السلام - أن يحقق على أرض الواقع أمل المستضعفين في الأرض والوعد الرباني لعباد الله الصالحين.

ولد الإمام العسكري عليه السلام في المدينة المنورة في العاشر من ربيع الثاني سنة ٢٣٢هـ على المشهور، وقد ارتحل مع أبيه عليه السلام إلى مدينة سامراء حين أشخصه المتوكل العباسي إليها بسبب خوفه من التفاف الناس حول الإمام الهادي عليه السلام، وقد اشتهر الإمام الحسن بن علي عليه السلام بعد ذلك بلقب العسكري نسبة إلى مدينة سامراء التي سكنها، والتي كانت تسمى آنذاك بعسكر، ومن ألقابه الأخرى: الصامت والهادي والرفيق والزكي والنقي، وكانت تعكس هذه الألقاب الخصال الحميدة التي تجلّت في حياته للناس.

قبسات من حياته عليه السلام:

لقد عانى الإمام الحسن العسكري عليه السلام - شأنه شأن أبيه عليه السلام - الأمرين من حكام بني العباس، حيث ضيقوا عليه وأكثروا من حبسه وانتهاك حرمة، وتربصوا به أن يموت في الكثير من تلك المواضع، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، حيث بقي الإمام ثابتاً على سيرته الشريفة وهيبته المعهودة، لم يتزلزل ولم يتململ، حتى قال فيه أحد أعدائه: ما رأيت ولا عرفت رجلاً بسر من رأى من العلويين مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام في هديه وسكونه وعفافه ونبالته وكرمه ..

وقد أجرى الله تعالى على يديه أمام المخالف والمؤلف الكثير من الكرامات الباهرة والآيات الظاهرة التي نطقت بها كتب التاريخ والسير، روي من ذلك أن العباسيين أقبلوا على صالح بن وصيف عندما حبس الإمام عليه السلام عنده وقالوا له: ضيق عليه ولا توسع، فقال صالح: ما أصنع به؟ وقد وكلت به رجلين شر من قدرت عليه، فقد صاروا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم. ثم أمر بإحضار الموكلين به فقال لهما: ويحكم ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمع العباسيون ذلك أنصرفوا خائبين^(١).

وروي أنه عليه السلام سلم إلى حبس يقال له نحير، فكان يضيق عليه ويؤذيه، فقالت له امرأته: اتق الله فإنك لا تدري من في منزلك، وذكرت له صلاحه وعبادته، وقالت: إني أخاف عليك منه، فقال: والله لأرمينه إلى السباع، ثم استأذن الخليفة في ذلك فأذن له، فرمى به إليها ولم يشكوا في هلاكه، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه قائماً يصلي والسباع حوله، فأمر بإخراجه إلى داره^(٢).

(١) الكافي: ج ١، ص ٥١٢.

(٢) مستدرک سفینه البحار: ج ٤، ص ٤٤٨.

وعن علي بن شابور قال: قحط الناس بسر من رأى في زمن الحسن بن علي العسكري عليه السلام فأمر المتوكل بالاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فما سقوا، وخرج الجاثليق في اليوم الرابع مع النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب فلما مديده هطلت السماء بالمطر، وخرجوا في اليوم الثاني فمطرت السماء، فشك أكثر الناس وتعجبوا ومالوا إلى دين النصرانية، فأنفذ المتوكل إلى الحسن العسكري عليه السلام - وكان محبوساً فأخرجه من الحبس - وقال: إلهق أمة جدك ﷺ فقد هلكت. فقال عليه السلام: ((إني خارج ومزيل الشك إن شاء الله تعالى)) فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه، وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه، فلما بصر بالراهب قد مديده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصابعه، ففعل وأخذ منه عظماً أسوداً، فأخذه الحسن عليه السلام وقال له استسق الآن فاستسقى، وكان في السماء غيمٌ فتشع الغيم وطلعت الشمس بيضاء، فقال المتوكل: ما هذا العظم يا أبا محمد؟ فقال عليه السلام: ((إن هذا الرجل مرقب من قبور الأنبياء فوقع في يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر))^(١).

ولا يزال أعداء الإمام النواصب على هذا الحال تجاهه حتى دس إليه المعتمد العباسي السم، فإذا بالإمام في علة منذ أول شهر ربيع الأول إلى أن قبضه الله تعالى بعد أيام قلائل شهيداً مظلوماً قد أكمل من عمره تسعاً وعشرين سنة، قال محمد بن الحسن بن عباد: مات أبو محمد عليه السلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب كتباً كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة، ولم يحضره إلا صقيل الجارية وعقيد الخادم والقائم عليه السلام، فدعا بهاء قد غلى بالمصطكي، فجئنا به إليه فقال: ((ابدؤوا بالصلاة فوضئوني))، فجئنا بالمنديل فبسطناه في حجره، وأخذ ابنه الماء من صقيل فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة، ومسح على مقدمة

رأسه وظاهر قدميه مسحاً، وصلى صلاة الصبح على فراشه، وأخذ القدح ليشرب وجعل القدح يضطرب ويضرب ثناياه ويده ترتعش، فأخذت صقيل القدح من يده ومضى عليه السلام من ساعته^(١).

كلامهم نور:

روي عن الامام العسكري عليه السلام قوله: ((خير إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك إليه))^(٢).

وقال عليه السلام: ((من أنس بالله استوحش الناس، وعلامة الانس بالله الوحشة من الناس))^(٣).

وقال عليه السلام: ((جعلت الخبائث في بيت والكذب مفاتيحها))^(٤).

وقال عليه السلام: ((الجهل خصم، والحلم حكم، ولم يعرف راحة القلوب من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ))^(٥).

وقال عليه السلام: ((المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره، ولا تدفع بالإمساك عنها))^(٦).

زيارة الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ الْهَادِي الْمُهْتَدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَابْنَ أَوْلِيَائِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَابْنَ حُجَجِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللَّهِ وَابْنَ أَصْفِيَائِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَابْنَ خُلَفَائِهِ وَأَبَا خَلِيفَتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا

(١) بحار الأنوار: ج ٥٠، ص ٣٣١.

(٢) مستدرک سفینه البحار: ج ١، ص ٧٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٧٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: ج ٧٥، ص ٣٧٧.

(٦) المصدر السابق: ج ٧٥، ص ٣٧٩.

ابن سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْأَيْمَةِ الْهَادِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
 يَا ابْنَ الْأَوْصِيَاءِ الرَّاشِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عِصْمَةَ الْمُتَّقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
 إِمَامَ الْفَائِزِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رُكْنَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَوْجَ الْمُلهُوفِينَ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَّجِبِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ عِلْمٍ وَوَصِي
 رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الدَّاعِي بِحُكْمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاطِقُ
 بِكِتَابِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ الْحُجَجِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا هَادِيَ الْأُمَمِ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ النَّعَمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَةَ الْعِلْمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
 سَفِينَةَ الْحِلْمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْأَمَامِ الْمُتَنْظِرِ، الظَّاهِرَةَ لِلْعَاقِلِ حُجَّتُهُ، وَالثَّابِتَةَ
 فِي الْيَقِينِ مَعْرِفَتُهُ، الْمُحْتَجِبِ عَنِ أَعْيُنِ الظَّالِمِينَ، وَالْمُعْتَبِ عَنِ دَوْلَةِ الْفَاسِقِينَ،
 وَالْمُعِيدِ رَبَّنَا بِهِ الْأَسْلَامُ جَدِيداً بَعْدَ الْأَنْطِمَاسِ، وَالْقُرْآنَ غَضّاً بَعْدَ الْأَنْدِرَاسِ،
 أَشْهَدُ يَا مَوْلَايَ أَنَّكَ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ
 مُخْلِصاً حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، أَسْأَلُ اللَّهَ بِالشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يَقْبَلَ زِيَارَتِي
 لَكُمْ، وَيَشْكُرَ سَعْيِي إِلَيْكُمْ، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي بِكُمْ، وَيَجْعَلَنِي مِنْ أَنْصَارِ الْحَقِّ
 وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَمَوَالِيهِ وَمُجْبِيهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثم قبل ضريحه وضع خدك الأيمن عليه ثم الأيسر وقل:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَادِي
 إِلَى دِينِكَ، وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ، عَلَّمَ الْهُدَى، وَمَنَارِ التَّقَى، وَمَعْدِنِ الْحِجَى،
 وَمَأْوَى النَّهْيِ، وَغَيْثِ الْوَرَى، وَسَحَابِ الْحِكْمَةِ، وَبَحْرِ الْمَوْعِظَةِ، وَوَارِثِ الْأَيْمَةِ
 وَالشَّهِيدِ عَلَى الْأُمَّةِ، الْمُعْصُومِ الْمُهَدَّبِ، وَالْفَاضِلِ الْمُقَرَّبِ، وَالْمُطَهَّرِ مِنَ الرَّجْسِ،
 الَّذِي وَرَّثْتَهُ عِلْمَ الْكِتَابِ، وَأَهْمَمْتَهُ فَضْلَ الْخُطَابِ، وَنَصَبْتَهُ عَلماً لِأَهْلِ قِبْلَتِكَ،
 وَقَرَنْتَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَقَرَضْتَ مَوَدَّتَهُ عَلَى جَمِيعِ خَلِيقَتِكَ، اللَّهُمَّ فَكَمَا أَنَابَ
 بِحُسْنِ الْأَخْلَاصِ فِي تَوْحِيدِكَ، وَأَزْدَى مَنْ خَاضَ فِي تَشْبِيهِكَ، وَحَامَى عَنْ أَهْلِ
 الْأَيْمَانِ بِكَ، فَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَيْهِ صَلَاةً يَلْحَقُ بِهَا مَحَلُّ الْخَاشِعِينَ وَيَعْلُو فِي الْجَنَّةِ

بِدَرَجَةِ جَدِّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَبَلَّغُهُ مِنَّا تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَآتَنَا مِنْ لَدُنْكَ فِي مُوَالَاتِهِ
فَضْلًا وَإِحْسَانًا وَمَغْفِرَةً وَرِضْوَانًا، إِنَّكَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وَمَنْ جَسِيمٌ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
(٢٥)

١٠ ربيع الأول

زواج النبي من



المناسبات الدينية لشهر ربيع الأول

تزويج الرسول الأكرم ﷺ من خديجة الكبرى ﷺ

من حياة خديجة ﷺ:

نسبها ﷺ:

سيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشية، أم أولاد رسول الله ﷺ، وأول من آمن به وصدقته قبل كل أحد، بعد أمير المؤمنين عليهما السلام، وثبتت جأشه.

أبوها (خويلد) كان بطلاً مغواراً دافع عن حياض الكعبة المشرفة في يوم لا ينسى فهو الذي نازع (تبعاً الآخر) ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلى اليمن، فتصدى له ولم ترهبه قوته وكثرة أنصاره حرصاً منه على هذا التمسك، وجدها عليهما السلام هو أسد بن عبد العزى الذي كان من المبرزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش.

والدتها (فاطمة) بنت زائدة بن أصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، كانت سيّدة جليلة مشهود لها بالفضل والبر.

فهي عليهما السلام يرجع نسبها إلى قبيلة قريش، ويلتقي نسبها بنسب الرسول الأعظم ﷺ عند جدّها الثالث من أبيها، وعند جدّها الثامن من أمّها.

ألقابها ﷺ:

لها سلام الله عليها عدة من الألقاب وهي مشتقة من صفاتها وسجاياها الطيبة، وقد منحها الله تعالى منزلة عظيمة حيث وصفها بأنها أم المؤمنين، وأيضاً وسمّها الرسول الكريم ﷺ بوسام عظيم حيث وصفها بأنها سيدة نساء العالمين، كما أن لها ألقاباً عرفت بها منها: سيدة قريش، الطاهرة، المباركة، الرضية، الصديقة، وغيرها، فهي أول سيدة مؤمنة بالرسالة والولاية، وأول سيدة مصلية.

مكانتها وقدسيتها عند الله تعالى:

لها سلام الله عليها قدسية ومكانة عظيمة عند الله تعالى، ونرى ذلك واضحا من خلال نزول الوحي على المصطفى ﷺ لإبلاغها السلام من العلي الأعلى، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ((إن جبرائيل أتاني ليلة أسري بي، فحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ فقال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومنّي السلام، وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقها نبي الله ﷺ السلام، فقال لها الذي قال جبرئيل، قالت: إن الله هو السلام ومنه السلام واليه السلام، وعلى جبرئيل السلام))^(١).

مكانتها عند النبي ﷺ:

كانت ﷺ تتمتع بسجايا طيبة، وأخلاق كريمة، بل اجتمعت فيها الصفات الحميدة، وكيف لا تكون كذلك وهي وعاء العصمة، كما كانت تتمتع بحالة إيمانية راسخة بالله عز وجل وبرسوله ﷺ، لذا كانت مدافعة ومضحية بكل ما تملك في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، لهذا كانت ﷺ موضع عناية الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ وثنائهما، وهناك العديد من الروايات التي جسدت هذا الثناء والتكريم في حق هذه السيدة الجليلة: منها: ورد أنه ﷺ قال: ((يا خديجة... إن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مرارا))^(٢).

ومنها: عن الإمام الباقر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة ﷺ: ((إن جبرائيل ﷺ عهد إلي أن بيت أمك خديجة في الجنة بين بيت مريم ابنة عمران وبين بيت آسية امرأة فرعون، من لؤلؤة جوفاء، لا صخب فيه ولا نصب))^(٣).
ومنها: عن ابن عباس قال: ((خط رسول الله ﷺ أربع خطط في الأرض

(١) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٨.

(٣) شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧.

وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون^(١) وروته مصادر السنيين باستفاضة.

ومنها: قوله ﷺ: ((خير نساء العالمين: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ))^(٢).

ومنها: ((لم يرزقني الله زوجة أفضل من خديجة أبداً، أحبّ من يحبّ خديجة)).

ومنها: ((خديجة سبقت جميع نساء العالمين بالإيمان بالله وبرسوله)).

ومنها: قول عائشة ((ما غرت على أحد من نساء الرسول محمد ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد))^(٣).

ومنها: ما أورده علماء أبناء العامة الكبار، كالذهبي وابن حجر وابن كثير حيث روى الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ((كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء قالت فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها، قال: ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنّت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبنى الناس، وواستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء))^(٤).

التجارة مع خديجة ﷺ:

لسنوات طويلة كانت القوافل التجارية للسيدة خديجة ﷺ من أكبر قوافل قريش، وقد ربحت من تجارتها ثروات طائلة، قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في

(١) الخصال: ص ٢٠٥، كنز العمال: ج ١٢، ص ١٤٣.

(٢) الاستيعاب لابن عبدبر: ج ٤، ص ١٨٢٢.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤، ص ٢٣١.

(٤) مسند أحمد: ج ٦، ص ١١٧، البداية والنهاية لابن كثير: ج ٣، ص ١٥٨.

مالها وتضاربهم إياه بشيء، وقد عمل رسول الله ﷺ في تجارة خديجة عليها السلام مضاربا، لما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه طالبةً منه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام، مع غلام لها يقال له ميسرة، فعلى هذا لم يكن النبي ﷺ أجيرا عند خديجة عليها السلام بل كان مضاربا بأموالها أو شريكا، قال اليعقوبي: ((لم يعمل ﷺ أجيرا لأحد قط))^(١).

ولكون النبي ﷺ أشرف الناس نسبا وأرفعهم منزلة، فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأجداده زعماء مكة وساداتها، فإن خديجة عليها السلام كانت بحاجة للعمل مع من يتمتع بأوصاف من هذا القبيل، كي لا تضيع أموالها وتأمين على ما تحصل عليه من أرباح. وكان رجال قريش يحسدون النبي ﷺ على خصاله الحميدة وما وهبه الله تعالى من نسب ومنزلة... وفعلا سافر ﷺ إلى الشام متاجرا، وبعد عودته دهشت خديجة عليها السلام من كثرة الأرباح، وتعجبت مما أخبرها به غلامها ميسرة عما شاهده من كرامات للنبي ﷺ في الطريق: من حديث بحيرة الراهب، والغمامة التي كانت تظله وغيرها...

زواجها من الرسول ﷺ :

لقد كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالا، وأحسنهن جمالا، وكانت تدعى في الجاهلية بـ(الطاهرة)، ويقال لها: (سيدة قريش)، وكل رجال قومها كان حريصاً على الاقتران بها لو يقدر عليه، وقد خطبها عطاء قريش، وبذلوا لها الأموال، وممن خطبها: عقبه بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان، فرفضتهم جميعاً، واختارت النبي ﷺ، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة العالية، ونكاد نقطع - بسبب تظافر النصوص - بأنها هي التي قد أبدت أولاً رغبتها في الاقتران به ﷺ،

وتشرح السيِّدة خديجة ﷺ سبب هذا الاختيار بالقول: (يا بن عمِّ إني رغبت فيك لقرابتك منِّي وشرفك من قومك وأمانتك عندهم وصدق حديثك وحسن خلقك)، فأرسلت إلى النبي ﷺ وأبدت رغبتها بالارتباط به. وروى الشيخ الصدوق قال: ((خطب أبو طالب ﷺ لما تزوج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد ﷺ بعد أن خطبها إلى أبيها، ومن الناس من يقول: من عمها؟ فأخذ بعضادتي الباب ومن شاهده من قريش حضور، فقال: (الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً يجيى إليه ثمرات كل شيء وجعلنا الحكام على الناس في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي محمداً ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب لا يوزن برجل من قريش إلا رجح، ولا يقاس إلا عظم عنه، وإن كان في المال قلّ فإن المال رزق عائل وظلّ زائل وله خطر عظيم وشأن رفيع ولسان شافع جسيم)، فزوَّجه ودخل بها من الغد، فأول ما حملت ولدت عبد الله بن محمد ﷺ))^(١). وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت * لك الطير فيما كان منك بأسعد
تزوَّجت خير البرية كلها * ومن ذا الذي في الناس مثل محمد
وبشَّر به البران عيسى بن مريم * وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقرَّت به الكتاب قدماً بأنه * رسول من البطحاء هاد ومهتد^(٢)
وفي مسارِّ الشيعة: وفي اليوم العاشر منه (ربيع الأول) تزوج النبي ﷺ بخديجة بنت خويلد أم المؤمنين، لخمس وعشرين سنة من مولده))^(٣).

عمرها ﷺ عند الزواج:

المتبع في كتب السير والتراجم يجد في أغلبها أن هناك تزويراً وقلبا للحقائق،

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٩٧.

(٢) الكافي: ج ٥، ص ٣٧٤.

(٣) مسارِّ الشيعة للشيخ المفيد: ص ٤٩.

ووضع فضائل وكرامات لشخص معين، وسلبها عن آخر، ومن جملة الذين نالتهم أيدي الظلم والتزوير، أم المؤمنين خديجة عليها السلام حيث سلبوا عنها جملة من الفضائل والمؤهلات ولصقوها بأخرى، فتجدهم قد أشاعوا أنها كانت متزوجة بأشخاص قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وآله، وبهذا فهي لم تكن عذراء، لكن الحقيقة خلاف ذلك، فمؤرخي المسلمين يصرحون أنها عليها السلام لم تكن متزوجة قبل النبي صلى الله عليه وآله، فقد ذكر أبو نعيم الأصبهاني: أن خديجة كانت باكرا عندما خرج النبي صلى الله عليه وآله بتجارتهما إلى الشام، وهذه إشارة إلى أنها لم تتزوج من أحدٍ قبله.

قال ابن شهر آشوب: وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: ((أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع، أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة))^(١)، وقد ألف السيد جعفر مرضى العامل في كتاب: بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائه؟ أثبت فيه أنهن بنات أختها ولسن بنات زوجته خديجة. وأشاعوا أنها كبيرة السن عند زواجها- في سن الأربعين- وهذا خلاف الحقيقة، فهناك العديد من العلماء يذكر أن عمرها كان مقاربا لعمر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إن لم يكن مساويا.

فهذا البيهقي - وهو من كبار علماء العامة- يصحح في كتابه (دلائل النبوة) أنها كانت في سن الخامس والعشرين، قال البيهقي: إن خديجة رضي الله عنها توفيت وعمرها خمسين سنة، وهو أصح، وبهذا يكون ما صححه البيهقي من أنها توفيت وعمرها خمسون سنة يرجح الروايات القائلة أنها تزوجت من النبي صلى الله عليه وآله وعمرها خمس وعشرون سنة، أي خمسة عشر سنة قبل البعثة وعشر سنوات بعد البعثة، وبهذا يكون عمرها مكافئا لعمر النبي صلى الله عليه وآله عند التزويج، وقد رجح بعض آخر من العلماء أنها كانت في سن الثامنة والعشرين، فقد

شهر ربيع الأول: تزويج الرسول الأكرم ﷺ من خديجة الكبرى ﷺ..... ٨٩

روى الخوارزمي والحاكم أن خديجة ﷺ كان عمرها يوم تزوج بها النبي ﷺ ثمانين سنة، وعن ابن عباس أنه تزوجها وهي ابنة ثمان وعشرين سنة.

الذرية الطاهرة:

اثبت التحقيق التاريخي أن رسول الله ﷺ لم يكن له بنت من نسائه إلا فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وهي ابنة خديجة، ولم يكن له من الأبناء إلا القاسم وبه كُنِيَ ﷺ، فعاش حتى أوان المشي ثم تُوفِّي، وعبد الله وقد تُوفِّي وهو صغير، وكلاهما من السيِّدة المكرَّمة خديجة أم المؤمنين ﷺ، أمَّا إبراهيم فهو ابنُ النبي ﷺ من مارية القبطية، وهو الآخر تُوفِّي صغيراً.. ليستمر نسلُ رسول الله ﷺ من ابنته الصديقة الكبرى فاطمة البتول سلام الله عليها، فيكون الأبناء - كما صرَّحت آية المباحلة (أبناءنا) - هم: الحسن والحسين صلوات الله عليهما، ويكون النساء - في آية المباحلة أيضاً (ونساءنا) - هي: فاطمة الزهراء سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلِين والآخِرِين، ويكون النفس - كذا في آية المباحلة (وأنفُسنا) - هو: أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، وهنا فقط تتكامل الدوحة النبوية الشريفة، وليس لرسول الله ﷺ بنت غير فاطمة، وكانت خديجة سلام الله عليها تُدعى في الجاهلية بـ (الطاهرة)، وقد تقدَّم إلى خطبتها رجالات قريش ووجوهها، فأبت، فكيف تقترن بنكرة اسمه (أبو هالة بن زرارة التميمي)، ثمَّ بعده بمجهول اسمه (عتيق بن عائد المخزومي)؟!!

جهادها ﷺ في سبيل الله:

عندما كتبت قريش صحيفة المقاطعة، اضطر النبي ﷺ أن يترك بيته ويدخل مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وتحملت خديجة معه ﷺ سنوات المحاصرة، فأرسل الله جبرائيل ليقرئها السلام ويسليها عن فقدانها بيتها، ويشرها بأنه بنى لها بيتاً في الجنة، ومن المعروف أنه لسنوات طويلة كانت القوافل التجارية للسيِّدة خديجة ﷺ من أكبر قوافل قريش، وقد ربحت من تجارتها ثروات

طائلة، وضعتها جميعها تحت تصرف الرسول الكريم ﷺ، لينفقها فيما يراه مناسباً، ولذا قال الرسول الأكرم ﷺ: (ما قام الدين إلاّ باثنتين: سيف عليّ وأموال خديجة).

وهبت خديجة كل أموالها للنبي ﷺ يتصرف فيها كيف شاء، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: **وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**، عن ابن عباس: ((فأغناك الله بمال خديجة، ثم زادك من فضله فجعل دعائك مستجاباً، حتى لو دعوت على حجر أن يجعله الله لك ذهباً لنقل عينه إلى مرادك، وأتاك بالطعام حيث لا طعام، وأتاك بالماء حيث لا ماء، وأغاثك بالملائكة حيث لا مغيث، فأظفرك بهم على أعدائك))^(١).

مكان بيت خديجة عليها السلام:

بعد وفاة السيّدة خديجة عليها السلام، أصبح منزلها أحد الأماكن المقدسة التي يؤمّها آلاف الحجاج سنوياً، يقول الرحالة المسلم المشهور ابن بطوطة: من المشاهد المشرفة التي تقع على مقربة من المسجد (قبة الوحي) وهو منزل أم المؤمنين خديجة.

يقول الشيخ الأنصاري في كتابه مناسك الحج: إذا نزلت مكة المكرمة، يستحبّ للحاج أن يزور بيت خديجة عليها السلام، ولكن للأسف الشديد لم تترك الفرقة الوهابية الضالة قبة الوحي فقد امتدّت إليها بالتخريب والتدمير كما هو شأن باقي الآثار الإسلامية، وسوّتها بالأرض، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ويقع بيتها في الجهة المقابلة لشعب بني هاشم وكان إلى وقت قريب معروفاً ببيت خديجة ومولد فاطمة عليها السلام ويقع في سوق الليل.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ١٣٠، ومعاني الاخبار: ص ٥٣، وفي عمدة القاري: ج ١٩، ص ٩٩٢، وعن ثعلبي: بمال خديجة، والغنائم، ونحوه الكشاف: ج ٤، ص ٥٦٢، ومجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٨٣.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٠١

ولادة الرسول الأكرم ﷺ

١٧ ربيع الأول عام الفيل



المناسبات الدينية لشهر ربيع الأول

ولادة النبي الأكرم ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، بزغ النور الإلهي الأعظم، فانتشر على صفحات النشأة الأولى، وتفشّت سحب الظلام، وأشرق وجه الدنيا ببسمة الأمل بعد قرون من العبوس والاكتئاب، فتفتحت القلوب وأفادت العقول وازدانت الأرواح بهجة التفاؤل، وتطلعت إلى منقذ البشرية من الآلام والمعاناة، ومخلص الأمم من الظلم والجهالات، حيث تجرّع الناس غصص الخوف والذلة، وانحسرت عنهم بركات الأرض ومدد السماء.

هل يمكن للمسلمين أن يتصوروا الحياة الدنيا دون هذا الوجود العظيم؟ وهل يمكن للبشرية التي تتطلع إلى ظهور المصلح في آخر الدنيا دون ولادة أصله الكريم؟

ونظرة فاحصة اليوم للمجتمعات التي ظلت في معزل عن هدي الإسلام خير مثال على تلك الحقيقة، فالتفكك الأسري، والتردي الأخلاقي، وانتشار الجرائم، وسيادة المال فوق كل اعتبار.. أمور أصبحت من القوانين السائدة التي يعلمها القريب والبعيد، حتى بدأت عصور الجاهلية الأولى تظهر للعيان بلباس جديد..

فهل يحيط بشكر رسول الله ﷺ المادحون، أو يبلغ حد الثناء عليه الواصفون، وهل يمكن أن نصف مقدار النعمة التي منّ الله بها على عباده بغير ما ذكره القرآن الكريم حين قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

شذرات من أخلاقه ﷺ:

إن من أظهر الصفات التي اتسمت بها شخصية خاتم النبيين ﷺ هي تحليه بالخلق العظيم ولين العريكة، وحسن العشرة، كان يدعو الناس لمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، اذ بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، ويكون القدوة الحسنة التي تطيب بشذى عطرها النفوس، وتنهل من عذب معينها القلوب، كيف لا وقد قال فيه رب العزة والجلالة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر شذرات من أخلاقه الرفيعة وآدابه السامية لنجعلها قبلة لنا في سلوكنا ومنازنا نهتدي به ونستضيء بنوره، علّنا نحيا بسلوكنا بعض سننه لنحضى بشرف القرب منه ونفوز بعظيم المنزلة لديه، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: ((ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون))^(٢).

أما في تواضعه وحسن عشرته فقد ورد أنه ﷺ كان يرقع ثوبه ويخسف نعله ويجلب شاته ويجلس على الأرض ويركب الحمار ويردف^(٣) (يركب شخصا خلفه)، ولا يمنعه الحياء أن يحمل ما يأخذه من السوق إلى أهله، ويسلم على من استقبله من غني وفقير، وكبير وصغير، ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله ﷺ يده حتى يكون الرجل هو التارك، وما منع سائلا قط؛ إن كان عنده أعطى وإلا قال: ((يأتي الله به))^(٤).

وروي عنه ﷺ في هذا الباب قوله: (خمس لا أدعهن حتى المهات: الأكل على الحضيض^(٥) (الأرض) مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفا، وحلبي العنز بيدي،

(١) سورة القلم: آية ٤.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) يردف: يركب شخصا خلفه.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٥٠٠.

(٥) الحضيض: الأرض.

ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي))^(١).
 وقوله ﷺ: ((لو أهدى إليّ كراعٌ لقبلته ولو دُعيت إلى كراع لأجبت))^(٢).
 وقوله ﷺ: ((إن الله تعالى يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم
 ويتجمل))^(٣).

وقوله ﷺ: ((أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض))^(٤).
 وقوله ﷺ: ((أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم))^(٥).
 وقوله ﷺ: ((مررتنا أهل البيت العفو عن ظلمنا، وإعطاء من حرماننا))^(٦).
 أما في آدابه وسيرته مع أهله وخدمه، فقد كان ﷺ مثالا تفتخر به الإنسانية
 على اختلاف مشاربها وأذواقها، كيف لا يكون كذلك وهو القائل ﷺ:
 ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))^(٧).
 وهو القائل ﷺ: ((إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم
 لنسائه))^(٨).

فقد كان ﷺ لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكلا ولا ملبس، وما شتم احداً
 بشتمة ولا لعن امرأة ولا خادما بلعنة، ولا لاموا احداً إلا قال: (دعوه)، وما
 ضرب خادما له ولا امرأة - بل ما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل
 الله - وكان ﷺ إذا أصبح مسح على رؤوس ولده وولد ولده، وإذا بُشّر بجارية
 (ولدت له بنت) قال: ريجانة، ورزقها على الله..

أما مجالسه فلعمري إنها المجالس التي تحن إليها القلوب، وتتمناها النفوس،

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٦١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٤٩.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١١٧.

(٥) المصدر السابق: ج ٨، ص ٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٤١.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ١٢٢.

(٨) المصدر السابق: ج ١٢، ص ١٥٧.

وتشتاقها الأرواح، حيث روي أنه ﷺ كان يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية، ولم يسطر رجله بين أصحابه قط، ومن جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف. مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن^(١) فيه الحُرْم، ولا تنشى^(٢) فلتأته، وكان ﷺ فيه دائم البشر سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا ضحّاك ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح، لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عثراته ولا عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنّ على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث، وكان ﷺ يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه.

في زيارة النبي ﷺ :

عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ((أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال لرسول الله ﷺ: إن منزلي ناء عن منزلك وإني أشتاقك وأشتاق إلى زيارتك وأقدم فلا أجدك وأجد علي بن أبي طالب عليه السلام فيؤنسني بحديثه ومواعظه وأرجع وأنا متأسف على رؤيتك، فقال ﷺ: من زار عليا فقد زارني، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، أبلغ قومك هذا عني، ومن أتاه زائرا فقد أتاني، وأنا المجازي له يوم القيامة وجبرئيل وصالح المؤمنين))^(٣).

وفي الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((إذا زرت جانب النّجف فزر عظام آدم عليه السلام وبدن نوح عليه السلام وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنك زائر الآباء الأولين ومحمّداً ﷺ خاتم النبيين وعلياً سيد الوصيين، ان زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته، فلا تكن عن الخير نواما))^(٤).

(١) تؤبن: توهن.

(٢) ثوته نثوا: أظهرته. والفلتات: الهفوات.

(٣) المزار: ص ٣٨.

(٤) كامل الزيارات: ص ٩١.

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله:

روي أن الإمام الصادق عليه السلام زار أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم السابع عشر من ربيع الأول بهذه الزيارة، وعلمها الثقة الجليل محمد بن مسلم الثقفى (رضوان الله عليه)، فقال: إذا أتيت مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فاغتسل للزيارة والبس أنظف ثيابك واستعمل شيئاً من الطيب وسر وعليك السكينة والوقار، فإذا وصلت إلى باب السلام أي باب الحرم الطاهر فاستقبل القبلة وقل الله أكبر ثلاث مرات ثم قل: **السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى خَيْرَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ السَّرَاحِ الْمُنِيرِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، السَّلَامُ عَلَى الطُّهْرِ الطَّاهِرِ، السَّلَامُ عَلَى الْعَلَمِ الزَّاهِرِ، السَّلَامُ عَلَى الْمَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِ، السَّلَامُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، السَّلَامُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ الْخَافِينَ بِهَذَا الْحَرَمِ وَبِهِذَا الضَّرِيحِ اللَّائِذِينَ بِهِ.**

ثُمَّ ادْنُ مِنَ الْقَبْرِ وَقُلْ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عِمَادَ الْأَتْقِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ الْأَوْلِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آيَةَ اللَّهِ الْعُظْمَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَامِسَ أَهْلِ الْعِبَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِدَ الْعُرِّ الْمُحَجَّلِينَ الْأَتْقِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عِصْمَةَ الْأَوْلِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ الْمُوَحِّدِينَ النَّجْبَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالِصَ الْأَخْلَاءِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَالِدَ الْأَيْمَةِ الْأُمْنَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْحَوْضِ وَحَامِلَ اللَّوَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَلَظِي، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ شُرِّفَتْ بِهِ مَكَّةُ وَمَنَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ وَكَنَفَ الْفُقَرَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ وُلِدَ فِي الْكَعْبَةِ، وَرُوجَ فِي السَّاءِ بِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ، وَكَانَ شُهُودَهَا الْمَلَائِكَةُ الْأَصْفِيَاءُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُصْبِحَ الضِّيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ خَصَّهُ النَّبِيُّ بِجَزِيلِ الْجَبَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَوَقَاهُ بِنَفْسِهِ سَرَّ الْأَعْدَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ رُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ فَسَامَى شَمْعُونَ الصِّفَا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَنْجَى اللَّهُ سَفِينَةَ

نُوحٍ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَخِيهِ حَيْثُ التَّطَمَّ الْمَاءُ حَوْلَهَا وَطَمَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ
 تَابَ اللَّهُ بِهِ وَيَاخِيهِ عَلَى آدَمَ إِذْ غَوَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فُلْكَ النَّجَاةَ الَّذِي مَنْ
 رَكِبَهُ نَجَا وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ هَوَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ خَاطَبَ الثُّعْبَانَ وَذُئِبَ
 الْفِلا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ
 اللَّهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ وَأَنَابَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ ذَوِي الْأَبْوَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
 يَا مَعْدِنَ الْحِكْمَةِ وَفَضْلَ الْخُطَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِيزَانَ يَوْمِ الْحِسَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاصِلَ الْحُكْمِ النَّاطِقِ
 بِالصَّوَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُتَّصِدِّقُ بِالْخَاتَمِ فِي الْمِحْرَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
 مَنْ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِهِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَخْلَصَ اللَّهُ
 الْوَحْدَانِيَّةَ وَأَنَابَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَاتِلَ خَيْبَرَ وَقَالِعَ الْبَابِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
 مَنْ دَعَاهُ خَيْرُ الْأَنَامِ لِلْمَبِيتِ عَلَى فِرَاشِهِ فَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلْمَنِيَّةِ وَأَجَابَ، السَّلَامُ
 عَلَيْكَ يَا مَنْ لَهُ طُوبَى وَحُسْنُ مَأَبٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ
 عِصْمَةِ الدِّينِ، وَيَا سَيِّدَ السَّادَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْمُعْجِزَاتِ، السَّلَامُ
 عَلَيْكَ يَا مَنْ نَزَلَتْ فِي فَضْلِهِ سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ كُتِبَ
 اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى السُّرَادِقَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْغَزَوَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُخْبِرًا بِمَا غَبَرَ وَبِمَا هُوَ آتٍ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَاطَبَ ذُنُوبِ الْفَلَوَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَاتَمَ الْحِصَى وَمُبَيِّنَ
 الْمُشْكِلَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ عَجَبَتْ مِنْ حَمَلَاتِهِ فِي الْوَعَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ نَاجَى الرَّسُولَ فَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَجْوَهُ الصَّدَقَاتِ، السَّلَامُ
 عَلَيْكَ يَا وَالِدَ الْأَيْمَةِ الْبَرَّةِ السَّادَاتِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَالِيَّ
 الْمُبْعُوثِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِلْمِ خَيْرِ مَوْرُوثٍ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ
 عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الْمُتَّقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا غِيَاثَ
 الْمُكْرُوبِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عِصْمَةَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْبَرَاهِينِ،
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا طَهَ وَيَسَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبْلَ اللَّهِ الْمُتِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ

يَا مَنْ تَصَدَّقَ فِي صَلَاتِهِ بِخَاتَمِهِ عَلَى الْمُسْكِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَالِعَ الصَّخْرَةِ
عَنْ فَمِ الْقَلِيبِ وَمُظْهِرِ الْمَاءِ الْمُعِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ اللَّهِ النَّاطِرَةَ وَيَدَهُ
الْبَاسِطَةَ وَلِسَانَهُ الْمُعَبَّرَ عَنْهُ فِي بَرِيَّتِهِ أَجْمَعِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ،
وَمَسْتَوْدَعَ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَصَاحِبَ لِيَاءِ الْحَمْدِ، وَسَاقِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ
حَوْضِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا يَعْسُوبَ الدِّينِ، وَقَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ،
وَوَالِدَ الْأَيْمَةِ الْمُرْضِيَيْنِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الرَّضِيِّ وَوَجْهِهِ
الْمُضِيِّ، وَجَنِبِهِ الْقَوِيِّ، وَصِرَاطِهِ السَّوِيِّ، السَّلَامُ عَلَى الْإِمَامِ التَّقِيِّ الْمُخْلِصِ
الصَّفِيِّ، السَّلَامُ عَلَى الْكُوكَبِ الدَّرِيِّ، السَّلَامُ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ
وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى،
وَمَنَارِ الْهُدَى، وَذَوِي النَّهْيِ، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَالْحُجَّةِ عَلَى أَهْلِ
الدُّنْيَا وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَى نُورِ الْأَنْوَارِ، وَحُجَّةِ الْجَبَّارِ، وَوَالِدِ الْأَيْمَةِ
الْأَطْهَارِ، وَقَسِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، الْمُخْرِجِ عَنِ الْأَثَارِ، الْمُدْمِرِ عَلَى الْكُفَّارِ، مُسْتَنْقِذِ
الشَّيْعَةِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ عَظِيمِ الْأَوْزَارِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُخْصُوصِ بِالطَّاهِرَةِ النَّقِيَّةِ
ابْنَةِ الْمُخْتَارِ، الْمُؤَلُّودِ فِي الْبَيْتِ ذِي الْأَسْتَارِ، الْمُزَوَّجِ فِي السَّمَاءِ بِالْبُرَّةِ الطَّاهِرَةِ الرَّضِيَّةِ
الْمُرْضِيَّةِ وَالِدَةِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي
هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ وَعَلَيْهِ يُعْرَضُونَ وَعَنْهُ يُسْأَلُونَ، السَّلَامُ عَلَى نُورِ اللَّهِ الْأَنْوَرِ،
وَضِيَائِهِ الْأَزْهَرِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَحُجَّتَهُ وَخَالِصَةَ اللَّهِ
وَخَاصَّتَهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ لَقَدْ جَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاتَّبَعْتَ
مِنْهَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَحَلَلْتَ حَلَالَ اللَّهِ، وَحَرَّمْتَ حَرَامَ اللَّهِ،
وَشَرَعْتَ أَحْكَامَهُ، وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ
الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا نَاصِحًا مُجْتَهِدًا مُحْتَسِبًا عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمِ الْأَجْرِ
حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ دَفَعَكَ عَنْ حَقِّكَ، وَأَزَالَكَ عَنْ مَقَامِكَ، وَلَعَنَ
اللَّهُ مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ فَارَضِيَ بِهِ، أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ أَيْ وَوَلِيَّيْ لِمَنْ وَالَاكَ
وَعَدُوَّ لِمَنْ عَادَاكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثم انكب على القبر وقبله وقل:

أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَشْهَدُ مَقَامِي وَأَشْهَدُ لَكَ يَا وَيَّ اللهُ بِالْبَلَاغِ وَالْأَدَاءِ،
يَا مَوْلَايَ يَا حُجَّةَ اللهِ يَا أَمِينَ اللهُ يَا وَيَّ اللهُ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبًا
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي، وَمَنْعَتَنِي مِنَ الرَّقَادِ، وَذَكَرَهَا يُقْلِقُلُ أَحْشَائِي وَقَدْ هَرَبْتُ إِلَى
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْيَكِّ، فَبِحَقِّ مَنْ أَيْتَمَّنَكَ عَلَى سِرِّهِ، وَأَسْتَرْعَاكَ أَمْرَ خَلْقِهِ، وَقَوْنَ
طَاعَتِكَ بِطَاعَتِهِ، وَمُوَالَاتِكَ بِمُوَالَاتِهِ، كُنْ لِي إِلَى اللهُ شَفِيعًا وَمِنَ النَّارِ مُجِيرًا وَعَلَى
الدَّهْرِ ظَهِيرًا.

ثم انكب أيضاً على القبر وقبله وقل:

يَا وَيَّ اللهُ يَا حُجَّةَ اللهِ يَا بَابَ حِطَّةِ اللهِ، وَلِيَّكَ وَزَائِرُكَ وَاللَّائِذُ بِقَبْرِكَ، وَالنَّازِلُ
بِفِنَائِكَ، وَالْمُنِيخُ رَحْلَهُ فِي جَوَارِكَ يَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لَهُ إِلَى اللهُ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ،
وَنُجْحِ طَلِبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللهُ الْجَاهَ الْعَظِيمَ وَالشَّفَاعَةَ
الْمَقْبُولَةَ، فَاجْعَلْنِي يَا مَوْلَايَ مِنْ هَمِّكَ وَأَدْخِلْنِي فِي حَزْبِكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
وَعَلَى ضَجِيعِكَ آدَمَ وَنُوحَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدَيْكَ الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلَى
الْأَيِّمَةِ الطَّاهِرِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَرَحْمَةِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ.

ثم صلّ ستّ ركعات للزيارة ركعتين للأمر عليه السلام وركعتين لادم عليه السلام وركعتين
لنوح عليه السلام وادعُ الله كثيراً تجب لك إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٧

ولاكدة الإمام الصادق

١٧ ربيع الأول ٨٣ هـ



المناسبات الدينية لشهر ربيع الأول

ولادة الإمام الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

سُحْبُ الْخَيْرِ فِي آفَاقِ الْمَجْدِ:

انْفَقَتْ ولادة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، مع ذكرى مولدِ جدِّه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما أن حلَّ السابعُ عشر من شهر ربيع الأول من سنة ثلاثٍ وثمانين من الهجرة النبوية الشريفة حتى وُلِدَ بالمدينة المنورة برعمٍ آخرٍ من الشجرة النبوية المباركة والدوحة الهاشمية الطاهرة.. ذلك هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليهم.. فزهر بيتُ الوحي والرسالة بهذا الوليد الزكي، وابتهجت قلوبُ أهل البيت وهي ترى غُرَّتَه تشعُّ نوراً وهدىً وشرفاً وكرامة.

وكان يوماً بهيجاً عظيمَ البركة، إذ هو يومٌ مولدِ أشرف الكائنات حبيبِ إله العالمين، محمد الصادق الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يزل الصالحون من آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قديم الأيام يُعَظِّمُونَ حَقَّه، ويرعون حُرْمَتَه، ويرون في صومه - شكرًا لله تعالى - فضلاً كبيراً وثواباً جزيلاً، وكذا في استحباب الصدقة وزيارة المشاهد المشرفة، والتطوع بالخيرات، وإدخال المسرة على أهل التقوى والإيمان.

كانت ولادته عليه السلام في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وتربى في أحضان أبيه الإمام الباقر وجدِّه الإمام السجاد عليه السلام، وعنهما أخذ عليه السلام علوم الشريعة ومعارف الإسلام.

ألقابه وكنيته عليه السلام :

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، هو سادس أئمة أهل البيت عليه السلام، يُكنى بـ(أبي عبد الله)، وقد اشتهر بها.

تشرف الألقاب بالإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه الحياة بخصاله الفاخرة، فيُدعى عليه السلام بها، وهو أهل لها وفوقها، وقد أُثر عن النبي المعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا وُلد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسَمُّوه الصادق^(١)، وهو أشهر ألقابه.

ثم لم يكن صادقاً وحسب، بل لُقِّب فيما بعدُ بـ(الصابر، الفاضل، الطاهر، والكامل، الكافل، والمنجي..) وكم أنجى هذه الأمة من ضلالاتها وضلَّالها بهُداها، ومن جهالاتها وجُهاَلها بعلومه السامقة، ومن مفاسدِها ومفسدِها بوصاياه المرشدة!

وكان يُلقَّب بـ(القائم) نعم، فقد كان القائم على دين الله جلَّ وعَلا، مطبَّقاً لشرائعه، محامياً عن حرَماته، رافعاً عن العقول كلَّ غفلةٍ أو شبهةٍ حول حكمه وأحكامه، وبذلك أحيَا الإمام الصادقُ سلامُ الله عليه دينَ جدِّه رسولِ الحقِّ صلى الله عليه وآله بأن نشر معارفه، وردَّ شكوك المظللين.

أُمّه (رضوان الله عليها):

أما أُمّه، فهي النجبية الجليلة المكرَّمة، فاطمة - المعروفةُ بـ(أُمِّ فَرُوة) - بنتُ القاسمِ بنِ محمَّد بنِ أبي بكر.. من خيرة النساء، ولا بدَّ أن تكون كذلك، فأئمَّة الهدى تقلَّبوا في أصلاب الساجدين وأرحام الساجدات، وانحدروا عن الموحدِين والطاهرين، لم تنجسْهُمُ الجاهليَّةُ بأنجاسها، ولم تُلبسْهُمُ من مُدْهَباتِ ثيابها.. حاشاهم، فلا عيبَ فيهم ولا في سلالَتهم، بل كلُّ واحدٍ منهم طُهرٌ طاهرٌ مُطَهَّرٌ، من طُهرٍ طاهرٍ مطهَّرٍ، وأُمَّهاتُهُمُ النساءُ الزاكياتُ النجيبات. يقول الإمام الصادق عليه السلام: في حق أُمّه (رضوان الله عليها): ((كانت أُمِّي مَن آمنَت، وآتقت وأحسنَت، واللهُ يحبُّ المحسنين))^(٢).

ومن هنا.. تكون هذه المرأة الشريفة مهياً لتكون قرينة الإمام محمَّد الباقر عليه السلام

(١) الاحتجاج: ج ٢، ص ٤٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٠، هامش ص ٢٩٨.

وزجته الوفيّة المخلصة، ولتكونَ بعد ذلك المنجبةً منه إماماً زاكياً، ينمو في أحشائها، ويربو في حجرها الطاهر، فتحظى بهذه الكرامة العظمى، بأن تكون أمّاً للإمام جعفر الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام.. فيقرُّ الله تعالى عينها بهذه المنقبة العظيمة.

حلمه عليه السلام :

روى الشيخ الكليني عن حفص بن أبي عائشة، قال: ((بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام في أثره لما أبطأ، فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتى انتبه، فلما تنبه قال له أبو عبد الله عليه السلام: يا فلان والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار؟ لك الليل ولنا منك النهار))^(١).

في إطلاعه على الغيب:

روي عن داود بن كثير الرقي أنه قال: ((كنت جالسا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال مبتدئاً من قبل نفسه: يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس فرأيت فيما عرض عليّ من عملك صلتك لابن عمك فلان، فسرتني ذلك، إنّي علمت أنّ صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع اجله.

قال داود: وكان لي ابن عم معانداً ناصبياً خبيثاً بلغني عنه وعن عياله سوء حال، فصككت^(٢) له نفقة قبل خروجي إلى مكة، فلما صرت في المدينة أخبرني أبو عبد الله عليه السلام بذلك))^(٣).

إظهار علامة الإمامة لأبي بصير:

روي في كشف الغمة عن دلائل الحميري أنّ أبا بصير قال: ((كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم جالسا إذ قال: يا أبا محمد هل تعرف إمامك؟ قلت: إي والله الذي لا إله إلا هو، وأنت هو ووضعت يدي على ركبته أو فخذ، فقال:

(١) الكافي: ج ٢، ص ١١٢.

(٢) الصك: الكتاب.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١١١.

صدقت قد عرفت فاستمسك به، قلت: أريد أن تعطيني علامة الإمام؟ قال: يا أبا محمد ليس بعد المعرفة علامة، قلت: أزداد إيماناً و يقيناً، قال: يا أبا محمد ترجع إلى الكوفة وقد ولد لك عيسى ومن بعد عيسى محمد ومن بعدهما ابتان واعلم أن ابنيك مكتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا وأسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وأنسابهم وما يلدون إلى يوم القيامة وأخرجها فإذا هي صفراء مدرجة ملفوفة))^(١).

رواياته عليه السلام:

وردت عن الإمام الصادق عليه السلام روايات كثيرة جداً، وفي مختلف العلوم والمعارف، فقد روي أن الناس نقلوا عنه عليه السلام من العلوم ما لم ينقل عن أحد من أهل بيته عليه السلام، فقد عدّ علماء علم الرجال أسماء الراويين عنه عليه السلام من الثقات، فكانوا أربعة آلاف راوٍ، فقد روى عنه راوٍ واحد - وهو أبان بن تغلب - ثلاثين ألف حديث.

قال الحسن بن علي الوشاء من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام: أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام^(٢).

والسبب في أخذ حديث الإمام الصادق عليه السلام، دون غيره من الفقهاء ممن عاصره، هو لأن حديثه حديث رسول الله ﷺ كما قال عليه السلام: ((حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل))^(٣).

(١) كشف الغمة: ج ٢، ص ٤٠٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٩، ص ٣٤٦.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٥٣.

مجلسه وعلمه:

رُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَجْلِسُ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَيَأْتِيهِ النَّاسُ مِنَ الْأَقْطَارِ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَعَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَفَضْلِ الْخِطَابِ.. فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا رَاضِيًا بِالْجَوَابِ. وَقَدْ أَقْرَبَ بِذَلِكَ أَهْلَ الْخِلَافِ، فَذَلِكَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ يَقُولُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ (يَعْنِي: جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ كَلَامِنَا أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْتُ، فَمَا أَفْحَشَ فِي خِطَابِنَا وَلَا تَعَدَّى فِي جَوَابِنَا، وَإِنَّهُ لَلْحَلِيمِ الرَّزِينِ الْعَاقِلِ الرَّصِينِ، لَا يَعْتَرِيهِ خَرَقٌ وَلَا طَيْشٌ وَلَا نَزَقٌ، وَيَسْمَعُ كَلَامِنَا وَيَصْغِي إِلَيْنَا وَيَسْتَعْرِفُ حِجَّتِنَا حَتَّى إِذَا اسْتَفْرَغْنَا مَا عِنْدَنَا وَظَنَّنَا أَنَا قَدْ قَطَعْنَا أَدْحَضَ حِجَّتِنَا بِكَلَامٍ سِيرٍ وَخِطَابٍ قَصِيرٍ يَلْزِمُنَا بِهِ الْحِجَّةَ، وَيَقْطَعُ الْعِذْرَ^(١).

وَذَكَرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ النِّعْمَانَ بْنِ ثَابِتٍ حِينَما سُئِلَ عَنْ أَفْقِهِ النَّاسِ أَوْ أَفْقِهِ مِنْ رَأْيٍ، فَقَالَ: جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: لَوْلَا السُّنْتَانُ، لَهَلَكَ النِّعْمَانُ.. مَشِيرًا إِلَى السُّنْتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَتَلَمَّذَ فِيهِمَا عَلَى يَدَيِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَبُو حَنِيفَةَ هَذَا نَفْسَهُ يَقُولُ - كَمَا سَمِعَ وَنَقَلَ عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ -: لَمَّا أَقْدَمَ الْمَنْصُورُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ بَعَثَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ فُتِنُوا بِجَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَهَيِّئْ لَهُ مِنْ مَسَائِلِكَ الشُّدَادِ، يَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ: فَهَيَّأْتُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرَ الْمَنْصُورُ وَهُوَ بِالْحَيْرَةِ فَاتَيْتُهُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَجَعْفَرَ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَمَّا بَصُرْتُ بِهِ دَخَلَنِي مِنَ الْهَيْبَةِ لِجَعْفَرَ، مَا لَمْ يَدْخُلَنِي لِأَبِي جَعْفَرَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَوْمَأَ إِلَيَّ، فَجَلَسْتُ ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ، قَالَ: نَعَمْ، أَعْرِفُهُ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ! أَلْقِ عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مَسَائِلِكَ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: فَجَعَلْتُ أَلْقِي عَلَيْهِ فَيَجِيبُنِي فَيَقُولُ: أَنْتُمْ (أَيُّ: أَهْلُ الْعِرَاقِ) تَقُولُونَ كَذَا، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ كَذَا، وَنَحْنُ نَقُولُ كَذَا.. فَرَبَّمَا تَابَعْنَاكُمْ وَرَبَّمَا تَابَعْنَاكُمْ، وَرَبَّمَا خَالَفْنَا جَمِيعًا، قَالَ: حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً فَمَا

أخلّ منها بشيء، ثم قال أبو حنيفة: أليس أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟! (١)

وأما الشبلنجي الشافعي فيقول في كتابه الشهير (نور الأبصار) فيما بينه من أحوال الإمام الصادق عليه السلام: ومناقبه كثيرة.. تكاد تفوت عدّ الحاسب، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب.

وقال ابن قتيبة في كتاب (أدب الكاتب): وكتاب الجفر.. كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر، فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة، وإلى هذا الجفر أشار الشاعر أبو العلاء المعري بقوله:

لقد عجبوا لآل البيت لما * أتاهم علمهم في جلد جفر
ومرأة المنجم وهي صغرى * تريمهم كل عامرة وقفرا
من وصاياه عليه السلام وحكمه:

أخيراً.. تعالوا نمتّع قلوبنا وعقولنا وأرواحنا بشيء يسير من وصايا أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

* يقول عليه السلام لأحد أصحابه: ((إعلم أنه لا ورع أنفع من تجنب محارم الله عز وجل، والكف عن أذى المؤمنين واغتيالهم، ولا عيش أهنأ من حسن الخلق، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزي، ولا جهل أضر من العجب)) (٢).

* وقال عليه السلام لآخر: ((أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الصحابة لمن صحبتك، وإذا كان قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فعليك بالدعاء)) (٣).

* وفي إحدى وصاياه يقول عليه السلام: ((واقنع بما قسمه الله لك.. ولا تمنّ ما لست تناله، فإن من قنع شبع، ومن لم يقنع لم يشبع، وخذ حظك من آخرتك،

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٧٨.

(٢) الاختصاص: ص ٢٢٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٧، ص ٣٤.

ولا تكن بطراً في الغنى، ولا جزعاً في الفقر، ولا تكن فظاً غليظاً يكره الناس قُربك، ولا تكن واهناً يحقرُك من عرفك، ولا تشارَ من فوقك، ولا تسخرُ بمن هو دونك، ولا تنازع الأمر أهله، ولا تُطع السفهاء، ولا تكن مهيناً تحت كل أحد، ولا تتكلن على كفاية أحد، وقف عند كل أمرٍ حتى تعرف مدخله من حرجه، قبل أن تقع فيه فتندم...))^(١)

* وأرشد أحدهم فقال له: ((أقلّ النوم بالليل والكلام بالنهار، فما في الجسد شيءٌ أقلُّ شكراً من العين واللسان))^(٢).

* وقال عليه السلام: ((لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: بتعجيله وتصغيره وستره))^(٣).

* وقال عليه السلام لآخر: ((من أعطي ثلاثاً لم يُمنع ثلاثاً: من أعطي الدعاء لم يمنع الإجابة، ومن أعطي الشكر لم يمنع الزيادة، ومن أعطي التوكل لم يمنع الكفاية، ثم قال عليه السلام: أتلت كتاب الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤).

* وقال عليه السلام: ((إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه، فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه))^(٥).

* وقال عليه السلام: ((لا تمزح فيذهب نورك، ولا تكذب فيذهب بهاؤك، وإيّاك وخصلتين: الضجر، والكسل، فإنك إن ضجرت لا تصبر على حق، وإن كسلت لم تُؤدِّ حقاً))^(٦).

* وقال عليه السلام: ((إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره، فإن الله عز وجل رُبما

(١) تحف العقول: ص ٣٠٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٥، ص ١١٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤١٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٥.

(٥) المصدر السابق: ج ٨، ص ١٤٣.

(٦) الأمالي: ص ٦٣٦.

أُطْلِعَ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَةِ فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُعَدِّبُكَ
بَعْدَهَا أَبَدًا، وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَعْمَلْهَا، فَإِنَّهُ رَبِّمَا أُطْلِعَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ
عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَهَا أَبَدًا))^(١).
إن المتفكر في كلمات الإمام الصادق عليه السلام، يرى ثروة غنيّة هائلة من المعارف
الآخذة بالعقول إلى آفاق الهداية، وبالقلوب إلى رحاب التقوى والعبادة.. فهي
تُوصِلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَتَجَنِّبُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، فَهَنِيئًا لِلْمُغْتَرِفِ مِنْ مَنَاهِلِهِ الْعَذْبَةِ
الصافية، المتصلة بمنبع جدّه المصطفى رسول الهدى صلى الله عليه وآله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٨

غزوة

بنح النضير

٢٢ ربيع الأول ٤ هـ



المناسبات الدينية لشهر ربيع الأول

غزوة بني النضير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

هناك بعض الأحداث الهامة، والمواقف الحساسة، التي تحمل في طياتها الكثير من العبر والعظات، وتترك لها أثراً بارزاً على الفكر الإنساني، والرسالي، وعلى الفهم الدقيق للمسار العام في خط الرسالة.. هذا مضافاً إلى تأثيرها في البنية العقائدية، والسلوك الإنساني في مختلف مراحل وأدواره.

ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن غزوة بني النضير كانت واحدة من هذه الأحداث، فهي حدث فريد ومتميز، لا يقل في أهميته عن أي من الأحداث الكبرى في العهد النبوي الشريف.. ولا أدل على ذلك من أنهم يقولون: إن سورة الحشر - بتمامها - قد نزلت في هذه المناسبة.. وهذا يبرهن على الأهمية البالغة لهذه الواقعة، وعلى أنها كانت تمثل تحولاً كبيراً وإيجابياً، في مسيرة العمل والعاملين في سبيل الله سبحانه من جهة.. كما أنها تعتبر - من الجهة الأخرى - ضربة قاسية وقاصمة لأعداء الله، وأعداء دينه من الكافرين..

فقد كان اليهود - الذين كان بنو النضير أقواهم شوكة، وأشدهم شكيمة، وأعزهم مكاناً - يعيشون في قلب الدولة الإسلامية، وحيث كان بإمكانهم الاطلاع على أدق دقائقها، وعلى حقائق خفاياها ونواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقي والدقيق لما تملكه من قدرات وإمكانات مادية ومعنوية. كما أنهم - أعني اليهود - كانوا يملكون أذرعاً ظاهرة وخفية، ممتدة هنا وهناك، وفي عمق المجتمع الإسلامي الجديد، ثم إن لليهود الهيمنة الروحية والثقافية والعلمية على الأكثرية الساحقة.

هذا.. وعلينا أن لا ننسى أن اليهود كانوا يملكون قوة كبيرة في حساب الثروات

والأموال.. بالإضافة إلى ما كان لليهود من ديون على الناس، قد بلغت حداً جعلهم يجدون فيها حائلاً دون تسهيل أمر رحيلهم..
وعلينا أن لا ننسى أيضاً: أن هذه الضربة القاسية والقاصمة التي تلقاها اليهود عامة، وبنو النضير بصورة خاصة، إنما تمثل إضعافاً لواحد من أهم مصادر القوة والتحدي لدى أعداء الإسلام والمسلمين، ولا سيما بالنسبة إلى المشركين، وكل من يتعاطف معهم من القبائل والطوائف في المنطقة العربية، حيث خسروا واحداً من أهم حلفائهم، وذوي القوة والنفوذ فيهم.

اليهود في المدينة:

كان في المدينة ثلاث قبائل من اليهود وهم: «بنو النضير» و «بنو قريظة» و«بنو قينقاع»، ويذكر أنهم لم يكونوا من أهل الحجاز أصلاً، وإنما قدموا إليها واستقرّوا فيها، وذلك لما قرأوه في كتبهم العقائدية من قرب ظهور نبي في أرض المدينة، حيث كانوا بانتظار هذا الظهور العظيم، وعندما هاجر الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة عقد معهم عهداً بعدم تعرض كل منهما للآخر، إلا أنهم كلما وجدوا فرصة مناسبة لم يألوا جهداً في نقض العهد، ومن جملة هؤلاء اليهود (بنو النضير)، فقد تصالح معهم النبي ﷺ لما دخل المدينة على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه.

مؤامرات بني النضير ونقضهم للعهد:

المؤامرة الأولى: لما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين قالوا: والله إنه للنبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا ﷺ غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة وهُزِمَ المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد، فذهب «كعب بن الأشرف زعيم قبيلة بني النضير» مع أربعين فارساً من اليهود إلى مكة، وهناك عقد مع قريش حلفاً لقتال محمد ﷺ، وجاء أبو سفيان مع أربعين شخصاً، وكعب بن الأشرف مع أربعين نفرًا من اليهود، ودخلا معاً إلى المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ووثقوا العهد في داخل الكعبة

ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة، فعلم النبي ﷺ بذلك عن طريق الوحي.

والمؤامرة الأخرى هي أن رسول الله ﷺ دخل يوماً مع شيوخ الصحابة وكبارهم إلى حي بني النضير، وذلك بحجة استقراض مبلغ من المال منهم كدية لقتيلين من طائفة بني عامر، قتلها (عمرو بن أمية) أحد المسلمين، وربما كان الهدف من ذلك هو معرفة أخبار اليهود عن قرب حتى لا يُباغت المسلمون بذلك، وبينما كان رسول الله ﷺ يتحدث مع كعب بن الأشرف إذ هيكت مؤامرة يهودية لاغتيال رسول الله ﷺ وتنادى القوم: إنكم لا تحصلون على هذا الرجل بمثل هذه الحالة وهاهو قد جلس بالقرب من حائطكم، فليذهب أحدكم إلى السطح ويرميه بحجر عظيم ويريحنا منه، فقام «عمرو بن جحاش» وأبدى استعداده لتنفيذ الأمر، وذهب إلى السطح لتنفيذ عمله الإجرامي، إلا أن رسول الله ﷺ علم عن طريق الوحي بذلك، فقفل راجعاً إلى المدينة دون أن يتحدث بحديث مع أصحابه، إلا أن الصحابة تصوروا أن الرسول ﷺ سيعود مرة أخرى، ولما عرفوا فيما بعد أن الرسول ﷺ في المدينة عاد الصحابة إليها أيضاً.

وهنا أصبح من المسلم لدى رسول الله ﷺ نقض اليهود للعهد، فأعطى أمراً للاستعداد والتهيؤ لقتالهم، وجاء في بعض الروايات أيضاً أن أحد شعراء بني النضير هجا رسول الله ﷺ بشعر يتضمن مسابرة الرسول ﷺ وهذا دليل آخر لنقضهم العهد.

مواجهة المسلمين لبني النضير وحصارهم:

بدأت خطة المسلمين في مواجهة اليهود وكانت الخطوة الأولى أن أمر رسول الله ﷺ (محمد بن سلمة) أن يقتل كعب بن الأشرف زعيم اليهود، وقد كان أخاه من الرضاعة، وقد نفذ هذا العمل وقتله.

إن قتل كعب بن الأشرف أوجد هزة وتخلخلا في صفوف اليهود، عند ذلك

أعطى رسول الله ﷺ أمرا للمسلمين أن يتحركوا لقتال هذه الفئة الباغية الناقضة للعهد، وعندما علم اليهود بهذا لجئوا إلى قلاعهم المحكمة وحصونهم القوية، وأحكموا الأبواب، وفي هذه الأثناء أمر الرسول ﷺ بقلع أشجار النخيل القريبة من القلاع لأسباب عدة:

منها: أن حب اليهود لأموالهم قد يخرجهم من قلاعهم بعد رؤية تلف ممتلكاتهم، وبالتالي يكون اشتباك المسلمين معهم مباشرة، كما يوجد احتمال آخر، وهو أن هذه الأشجار كانت تضايق المسلمين في مناوراتهم مع اليهود قرب قلاعهم وكان لابد من أن تقلع.

وعلى كل حال، فقد ارتفع صوت اليهود عندما شعروا بالضيق، وهم محاصرون في حصونهم.. فقالوا: يا محمد، لقد كنت تنهى عن هذا، فما الذي حدا بك لتأمر قومك بقطع نخيلنا؟

فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١)، وبين أن هذا العمل لم يكن عن هوى نفس بل هو أمر من الله (عز وجل) صدر في هذا المجال، وفي دائرة محدودة لكي لا تكون الخسائر فادحة، وهذا العمل كان استثناء من الأحكام الإسلامية الأولية التي تنهي عن قطع الأشجار وقتل الحيوانات وتدمير وحرق المزارع... وعادة ما توجد استثناءات جزئية في كل قانون، كما في جواز أكل لحم الميت عند الضرورة القصوى والإجبار^(٢).

دور أمير المؤمنين عليه السلام في غزوه بني النضير:

ينقل الشيخ المفيد^(٣) أنه لما توجه رسول الله ﷺ إلى بني النضير، عمل على

(١) سورة الحشر: آية ٥.

(٢) التفسير الأمثل: ج ١٨، ص ١٦٣-١٧٤.

(٣) الإرشاد: ج ١، ص ٩٢.

حصارهم، فضرب قبه في أقصى بني حطمة^(١) من البطحاء، فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي ﷺ أن تحول قبه إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار، فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى علياً؟ فقال عليه السلام: ((أراه في بعض ما يصلح شأنكم)) فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي ﷺ، وكان يقال له عزورا، فطرحه بين يدي النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: ((كيف صنعت؟))، فقال عليه السلام: ((إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام، يطلب منا غرة، فأقبل مُصلتاً سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود، فشددت عليه فقتلته، وأفلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فبعثت معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم)). فبعث رسول الله ﷺ معه عشرة فيهم أبو دجاجة سأك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن، فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلى النبي ﷺ فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

وفيما كان من أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزوة، وقتله اليهودي، ومجيئه إلى النبي ﷺ برؤوس التسعة نفر، يقول الشاعر:

لله أي كريمة أبليتها * بيني النضير والنفوس تطلع
أردى رئيسهم وآب بتسعة * طورا يشلهم (أي يطردهم) وطورا يدفع

وقال رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بني النضير: ((عليّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله))^(٢).

(١) حطمة: من الأنصار بنو عبد الله بن مالك بن أوس.

(٢) كنز العمال: ج ٦، ص ١٥٣.

انتهاء المحاصرة:

استمرت المحاصرة لعدة أيام، ومنعنا لسفك الدماء اقترح رسول الله ﷺ عليهم أن يتركوا ديارهم وأراضيهم ويرحلوا من المدينة، فوافقوا على هذا وحملوا مقداراً من أموالهم تاركين القسم الآخر.. واستقرّ قسم منهم في (أذرعات الشام)، وقليل منهم في (خير)، وجماعة ثالثة في (الحيرة)، وتركوا بقية أموالهم وأراضيهم وبساتينهم وبيوتهم بيد المسلمين بعد أن قاموا بتخريب ما يمكن لدى خروجهم منها.

وقد حدثت هذه الحادثة بعد غزوة (أحد) بستة أشهر، إلا أن آخرين قالوا: إنها وقعت بعد غزوة بدر بستة أشهر.

غزوة بني النضير في سورة الحشر:

كان ابن عباس يُسمّي سورة الحشر سورة بني النضير، وقال القمي في تفسيره^(١): وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

(حشر) في الأصل تحريك جماعة وإخراجها من مقرها إلى ميدان حرب وما إلى ذلك، والمقصود منه هنا اجتماع وحركة المسلمين من المدينة إلى قلاع اليهود، أو اجتماع اليهود لمحاربة المسلمين، ولأن هذا أول اجتماع من نوعه فقد سُمّي في القرآن الكريم بأول الحشر.

ويضيف الباري عز وجل: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ لقد كانوا مغرورين وواثقين بأنفسهم إلى حد أنهم اعتمدوا على حصونهم المنيعة، وقدرتهم المادية الظاهرية، إن التعبير الذي ورد في الآية يوضح لنا أن يهود بني النضير كانوا يتمتعون بإمكانات واسعة وتجهيزات وعدد كثيرة في المدينة، بحيث إنهم لم يصدقوا أنهم سيغلبون بهذه السهولة، وذلك ظن الآخرين أيضا، ولأن الله سبحانه يريد أن يوضح للجميع أن لا قوة في الوجود تقاوم إرادته، فإن إخراج اليهود من أراضيهم وديارهم بدون حرب، هو دليل على قدرته سبحانه، وتحدي لليهود الذين ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله، ولذلك يضيف تعالى ويقول: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ نعم، إن هذا الجيش غير المرئي هو جيش الخوف الذي يرسله الله تعالى في كثير من الحروب لمساعدة المؤمنين، فقد تملككم وهيمن على قلوبهم، وسلب منهم قدرة الحركة والمقاومة، لقد جهّزوا وهيئوا أنفسهم لقتال المهاجرين والأنصار غافلين عن إرادة الله تعالى، حيث يرسل لهم جيشا من داخلهم ويجعلهم في مأزق حرج إلى حدّ ينهمكون فيه بتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم من المسلمين.

والطريف هنا أن المسلمين كانوا يخرجون الحصون من الخارج ليدخلوا إلى عمق قلاعهم، واليهود كانوا يخربونها من الداخل حتى لا يقع شيء مفيد منها بأيدي المسلمين، ونتيجة لهذا فقد عم الخراب التام جميع قلاعهم وحصونهم.

وفي نهاية الآية يقول تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ أي خذوا الدروس والعظات من هذه الحوادث وتعاملوا معها بعين واقعية وتوغلوا إلى أعماقها. فإنّ (أُولِيَ الْأَبْصَارِ) هم أشخاص لهم القابلية على الاستفادة من (العبر) والاتعاظ بها، يقول الإمام علي عليه السلام: ((السعيد من وعظ بغيره))^(١).

وعلى كل حال فإن مصير بني النضير مع تلك القدرة والعظمة والشوكة،

وبتلك الصورة من الاستحكامات القوية، صار موضع عِبرة حيث إنهم استسلموا لجماعة من المسلمين لا تقارن قواتها بقواتهم، وبدون مواجهة مسلحة، بحيث كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وتركوا بقية أموالهم للمسلمين، وتفرقوا في بقاع عديدة من العالم، في حين أن اليهود سكنوا في المدينة من أجل أن يدركوا النبي الموعود الذي ورد في كتبهم، ويكونوا في الصف الأول من أعوانه كما ذكر المؤرخون ذلك.

وبهذا الصدد نقرأ حديثاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: ((كان أكثر عبادة أبي ذر (رحمة الله عليه) خصلتين: التفكر والاعتبار))^(١).

وتضيف الآية اللاحقة: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾. فإن الجلاء عن الوطن وترك قسم كبير من رؤوس الأموال التي جهدوا جهداً بليغاً في الحصول عليها بأيدي أعدائهم، هو بحد ذاته أمر مؤلم لهم، إلا أنه لو لم يحل بهم هذا العذاب، لكان بانتظارهم عذاب آخر هو القتل أو الأسر بيد المسلمين... إلا أن الله سبحانه أراد لهم التيه في الأرض والتشرد في العالم، لأن هذا أشد ألماً وأسى على نفوسهم، إذ كلما تذكروا أرضهم وديارهم ومزارعهم وبساتينهم التي أصبحت بيد المسلمين، وكيف أنهم شردوا منها بسبب نقضهم العهد ومؤامراتهم ضد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن ألمهم وحزنهم ومتاعبهم تتضاعف وخاصة على المستوى النفسي، نعم، إن الله أراد لهذه الطائفة المغرورة والخائنة، أن تتلى بمثل هذا المصير البائس، وكان هذا عذاباً دنيوياً لهم، إلا أن لهم جولة أخرى مع عذاب أشد وأخزى، ذلك هو عذاب الآخرة، حيث يضيف سبحانه في نهاية الآية: ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾، هذه عاقبتهم في الدنيا والآخرة، وهي درس بليغ لكل من أعرض عن الحق والعدل وركب هواه، وغرته الدنيا وأعماه حب ذاته.

وبما أن ذكر هذه الحادثة مضافاً إلى تجسيد قدرة الله وصدق الدعوة المحمدية،

فهي في نفس الوقت تمثل إنذاراً وتنبها لكل من يروم القيام بأعمال مماثلة لفعل بني النضير، لذا ففي الآية اللاحقة يرشدنا سبحانه إلى هذا المعنى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ومما ينبغي ذكره في هذه الحادثة أن الله عز وجل جعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يفعل بها ما يشاء ولكن النبي ﷺ قال للأَنْصَارِ: ((إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ، وَتَشَارِكُونَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَمْ يَقْسَمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْغَنِيمَةِ؟)).

فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزل قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة (٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة الحشر: الآيات ٨ - ٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٩١.



مناسبات الشهر

شهر ربيع الثاني



٨هـ شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام

١٠هـ ولادة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

١٠هـ وفاة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

١٤هـ المختار الثقفي وثورته الخالدة



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٣

شهادة



المناسبات الدينية لشهر ربيع الثاني

شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ألقابها وكنائها عليها السلام:

فاطمة بنت خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ومن ألقابها الصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والمحدثه، والزهراء. وتكنى بأم الحسن، وأم الحسين، وأم الأئمة، وأم أبيها.

أمها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ولدت فاطمة عليها السلام بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين في العشرين من جمادى الثانية.

صفتها عليها السلام:

تصف لنا الروايات أن الزهراء عليها السلام كانت أشبه الناس بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى في مشيتها وسكناتها وحركاتها ومنطقها وكانت نحيفة الجسد ومشرقة الوجه.

مناقبتها عليها السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ((هل تدري لم سُميت فاطمة؟ قال علي: لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال: لأنها فُطمت هي وشيعتها من النار))^(١) وعنه صلى الله عليه وآله: ((فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن غاظها فقد غاظني ومن سرّها فقد سرّني))^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله: ((إذا كان يوم القيامة نادى المنادي: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله))^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٢٧، ص ٦٢.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٣، ص ٢٢٠.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((إنما سميت فاطمة محدثة، لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين...))^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة ولعلي والحسن والحسين عليهم السلام: ((أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم))^(٢).

من كرامات الزهراء عليها السلام:

روي أن أبا ذر قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله أَدْعُو عَلِيًّا فَآتَيْتَ بَيْتَهُ فَناديته فلم يجيني أحد والرحى تطحن وليس معها أحد، فناديته فخرج معي وأصغى إليه رسول الله، فقال له شيئاً لم أفهمه، فقلت: عجباً من رحى في بيت علي تدور وليس معها أحد، قال: ((إن ابنتي فاطمة ملاء الله قلبها وجوارحها إيمانا و يقينا، وإن الله علم ضعفها فأعانها على دهرها وكفأها، أما علمت أن الله ملائكة موكلين بمعونة آل محمد صلى الله عليه وآله))^(٣).

قال ابن حماد:

وقالت أم أيمن جئت يوماً * إلى الزهراء في وقت الهجير
فلما أن دنوت سمعت صوتاً * وطحناً في الرحاء مع الهدير
فجئت الباب أقرعه ملياً * فما من سامع أو من مجير
إذ الزهراء نائمة سكوت * وطحن للرحاء بلا مدير
فجئت المصطفى فقصصت شاني * وما عاينت من أمر ذعور
فقال المصطفى شكراً لربي * باتمام الحياء لها جدير
رأها الله متعبة فألقى * عليها النوم ذو المن الكبير
ووكل بالرحى ملكاً مديراً * قعدت وقد ملئت من السرور

(١) بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٢٢، ص ٢٨٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٣، ص ٢٩.

معن الزهراء عليها السلام:

عاشت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام المحنة تلو المحنة طبقاً لسنة الله تعالى في الابتلاء، فالله سبحانه وتعالى يبتلي عباده الصالحين بالمحن، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل))^(١).

فقد عاشت ممتحنة منذ صغرها حينما رأت اشتداد هجمة المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فقدان حاميه أبي طالب وفقدان أمها خديجة الكبرى، بعد الحصار والمقاطعة الشاملة في شعب أبي طالب وهي طفلة صغيرة، حتى بلغ الجهد بالمحاصرين أنه كان يسمع أصوات النساء والصبيان يصرخون من شدة ألم الجوع، حتى اضطروا إلى التقوت بأوراق الشجر، وقد ظلت المأساة البشرية طيلة ثلاثة أعوام كاملة، ثلاث سنوات من الظلم والقهر والإبادة الجماعية. وعاشت محنة الأذى والملاحقة التي تعرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله في المرحلة المكية، وعاشت بعد ذلك مع والدها وزوجها في المدينة وهو يجاهد كفار قريش ومشركي أهل الكتاب، وعاشت في ظروف تأمر المنافقين على والدها وزوجها، وبقيت تواجه المحن واحدة تلو الأخرى، حتى عاشت محنة التمرد على أوامر وتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله، فحينما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بتجهيز جيش أسامة، طعن بعضهم بهذا الأمر، ثم تخلفوا عن الالتحاق بجيشه حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ((جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه))^(٢).

وعاشت محنة اتهام رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجر، وعصيانه في كتابة الكتاب الذي يخصّهم من الضلالة الأبديّة، وهي محنة ليست بالهينة، ففي مرض رسول الله صلى الله عليه وآله الذي توفي فيه بعد اشتداد وجعه قال: ((هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلّوا

(١) وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٤٣٢.

بعده))^(١).

فتنازعا وقال الثاني: ((هجر رسول الله))^(٢).

وفي رواية قال عمر بن الخطاب: ((إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب رسول الله ﷺ فقال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه))^(٣).

وبدأت الأحزان تنتابها ﷺ بعد أن أحست بدنو أجل والدها ﷺ، فقد روي أنه ﷺ قال لها: ((إن جبرئيل عليهما السلام كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وأنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وأنت أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك... ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه المؤمنين))^(٤).

وبرحيل رسول الله ﷺ فقدت الزهراء ﷺ والدها الذي يمثل الرسالة، فكان رحيله أشد وطأة عليها فانتابتها الأحزان، قال الإمام الباقر ﷺ: ((ما رؤيت فاطمة ضاحكة قط منذ قبض رسول الله ﷺ حتى قبضت))^(٥).

وحينما انشغل أمير المؤمنين ﷺ وبنو هاشم ومعهم بعض الصحابة بتجهيز جثمان النبي ﷺ تسارع جمع من المهاجرين والأنصار الى سقيفة بني ساعدة، وتنافسوا على الخلافة وتمخض الصراع على اختيار أبي بكر خليفة.

وروى الزبير بن بكار عن محمد بن إسحاق: ((... وكان عامّة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكّون أن علياً ﷺ هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ))^(٦).

(١) صحيح البخاري: ج ٥، ص ١٣٧.

(٢) مسند أحمد: ج ١، ص ٣٥٥.

(٣) صحيح البخاري: ج ١، ص ٣٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٣٦.

(٥) المصدر السابق: ج ٣، ص ١١٩.

(٦) بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٣٥٢.

الرسول ومظلومية الزهراء عليها السلام :

روى الشيخ الطوسي بسند معتبر عن ابن عباس أنه قال: ((لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلّت دموعه لحيته ف قيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه، يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي، فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تبكي يا بنية، فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله، فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي))^(٧).

البكاؤون الخمسة:

روى ابن بابويه بسند معتبر عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: ((البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليهما السلام... الى أن قال: أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف))^(٨).

وصية الزهراء عليها السلام:

روي في كتاب روضة الواعظين وغيره أنه: ((مرضت عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها، فلما نعت إليها نفسها، دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف علي عليه السلام وأحضرتة فأوصته بعدة وصايا ثم قالت له: أوصيك يا بن عم أن تتخذني نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه إليّ، فوصفته فاتخذها لها، فأول نعش عمل في وجه الأرض ذلك.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا

(٧) الأمالي: ص ١٨٨.

(٨) الخصال: ص ٢٧٢.

حقي فأنتهم أعدائي وأعداء رسول الله ﷺ وأن لا يصلي عليّ أحد منهم ولا من أتباعهم وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار))^(١).

جنازة وظلامه:

اجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها فخرج أبو ذر فقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله ﷺ قد أُخِّرَ إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا، فلما أن هدأت العيون ومضى من الليل، أخرجها علي والحسن والحسين عليهم السلام وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة، ونفر من بني هاشم وخواصه، صلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وسوى أمير المؤمنين عليه السلام حوالها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها، وقيل: أربعين قبراً كما في رواية.

أمير المؤمنين عليه السلام وفراق الزهراء عليه السلام:

تولّى أمير المؤمنين عليه السلام دفن الزهراء عليه السلام ليلاً وعفى قبرها، منقذاً بذلك وصيتها عليه السلام، فلما نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ وقال: ((السلام عليك يا رسول الله مني، والسلام عليك من ابتك وحببتك وقرّة عينك وزائرتك والباثة في الثرى بيقعتك والمختار لها الله سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي، إلا أن في التأسّي لي بسنتك والحزن الذي حل بي بفراقك موضع التعزي، فلقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمضتك بيدي، وتوليت أمرك بنفسي، نعم وفي كتاب الله أنعم القبول: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، لقد استرجعت الوديعه، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله! أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما

فرق بيننا، وإلى الله أشكو)).

والتأمل في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام -الفقرة الآتية- مع النبي صلى الله عليه وآله بعد دفن الزهراء عليهن السلام يعرف عظم ما جرى عليها حيث قال: ((وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها حقها، فاحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سييلا وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين، سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، وللبثت عنده معكوبا، ولأعولت إعوالم الشكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا، وتتهضم حقها قهرا، وتمنع إرثها جهرا، ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته))^(١).

ونقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار مروياً عن الإمام الصادق، عن آبائه الكرام عليهم السلام: ((أن أمير المؤمنين عليه السلام لما وضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في القبر قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله محمد بن عبد الله سلمتك أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك مني ورضيت لك بما رضي الله تعالى لك، ثم قرء: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى))^(٢).

فلما دفنها أمر برش الماء على القبر ثم جلس عنده بقلب كئيب حزين وعين دامعة فجاء إليه عمه العباس فأخذ بيده ونحاه عن القبر، فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حية.

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢٨.

من أقوال الزهراء عليها السلام:

قولها عليها السلام في وصف الله جل جلاله: ((إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاءٍ أمثلةٍ إمتثلها، كوَّنها بقُدْرته، ودَرَّأها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبیها على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته، وإعزازاً لدعوته))^(١).

قولها عليها السلام في وصف القرآن: ((أَمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجِرُهُ لَائِحَةٌ، وَأُؤَامِرُهُ وَاضِحَةٌ))^(٢).

قولها عليها السلام في وصف أبيها: ((إبتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمةً على إِمضاء حُكمه، وإنفاذاً لمقادير رحمته))^(٣).

قولها عليها السلام في فضل زوجها: ((إن السعيد كُلَّ السَّعِيدِ حَقَّ السَّعِيدِ، مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ))^(٤).

قولها عليها السلام في التعريف بأهل البيت عليهم السلام: ((نَحْنُ وَسَيْلَتُهُ فِي خَلْقِهِ، وَنَحْنُ خَاصَّتُهُ، وَحَمْلُ قُدْسِهِ، وَنَحْنُ حُجَّتُهُ فِي غَيْبِهِ، وَنَحْنُ وَرَثَةُ أَنْبِيَائِهِ))^(٥).

قولها عليها السلام في وصف الشيعة: ((إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ بِمَا أَمْرُنَا، وَتَنْتَهِي عَمَّا زَجْرْنَا عَنْهُ، فَأَنْتَ مِنْ شِيعَتِنَا، وَإِلَّا فَالَا))^(٦).

قولها عليها السلام في أدب الصائم: ((مَا يَصْنَعُ الصَّائِمُ بِصِيَامِهِ، إِذَا لَمْ يَصُنْ لِسَانَهُ وَسَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَوَارِحَهُ))^(٧).

قولها عليها السلام في شرار الأمة: ((شَرَّ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنِّعَمِ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ))^(٨).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) الاحتجاج: ج ١، ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٣٧.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١٣٣.

(٤) الأمالي: ص ٢٤٨.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦، ص ٢١١، دلائل الإمامة: ج ٣٦، ص ١١٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ١٥٥.

(٧) المصدر السابق: ج ٩٣، ص ٢٩٥.

(٨) الترهيب والترغيب: ج ٣، ص ١١٥.



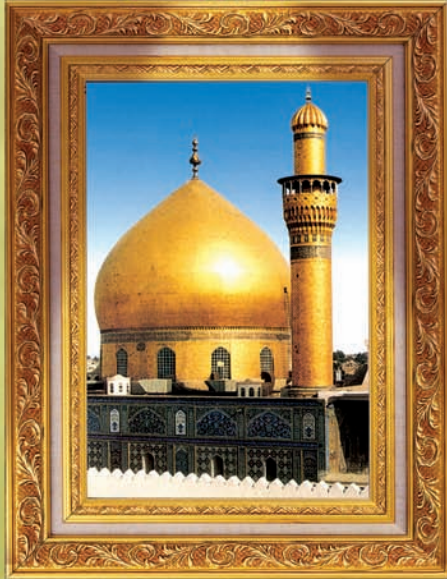
قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٠

ولادة الإمام

المجيد

١٠ ربيع الآخر ٢٣٢ هـ



المناسبات الدينية لشهر ربيع الثاني

ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

الإمام أبو محمد، الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد، أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، والإمام الحادي عشر، الملقب بالعسكري، ولد عام ٢٣٢ هـ، وقيل أنه ولد عام ٢٣١ هـ، وأشخص بشخوص والده إلى العراق سنة ٢٣٦ هـ وله من العمر أربع سنين وعدة شهور، وقام بأمر الإمامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرز تقدمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال العلم والعمل والزهد والشجاعة، وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدثين يربو عددهم على ١٥٠ شخصاً، وتوفي عام ٢٦٠ هـ، ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء، وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدة طلب السلطة، واجتهادها في البحث عن أمره، ولكنه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه، كإبراهيم الخليل وموسى الكليم عليهما السلام، فقد خابت السلطة في طلبها والاعتداء عليها.

البشارة بولادته عليه السلام:

روي أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ((دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله،... فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بك يا أبا عبد الله! يا زين السماوات والأرضين... ثم قال: وإن الله تبارك وتعالى ركّب في صلبه - أي علي الهادي عليه السلام - نطفة، وسماها عنده الحسن، فجعله نوراً في بلاده، وخليفة في أرضه، وعزراً لأمة جدّه، وهادياً لشيعته، وشافيعاً لهم عند ربّه، ونقمة على من خالفه، وحجة لمن والاه،

وَبُرْهَانًا لِمَنْ اتَّخَذَهُ إِمَامًا...)) (١).

مكان ولادته عليه السلام:

حملت أمه به بالمدينة وولده عليه السلام فيها في دار أبيه.

كنيته وألقابه عليه السلام:

كنيته عليه السلام: أبو محمّد، ومن ألقابه عليه السلام: الصامت، الخالص، الهادي، المهدي، الرفيق، الزكيّ، السراج، المضيء، الشافي، النقيّ، المرضي، العسكريّ، وكان هو وأبوه وجده يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا.

وقد اشتهر الإمام بالعسكري لأنه منسوب إلى (عسكر)، ويُراد بها (سُرْمَن رَأَى) التي بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، حيث أشخص المتوكل أباه عليّاً الهادي عليه السلام إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده إليها.

شماله عليه السلام:

كان عليه السلام أَسْمَرَ أَعْيْنَ حَسَنَ الْقَامَةِ، جَمِيلَ الْوَجْهِ، جَيِّدَ الْبَدَنِ، حَدَثَ السِّنِّ، لَهُ جَلَالَةٌ وَهَيْبَةٌ.

اسم أمه عليه السلام:

أُمُّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أُمٌّ وَوَلَدٌ، يُقَالُ لَهَا: (سوسن)، ويُقال لها: (حديث)، ويُقال: (سليل) رضي الله عنها... من العارفات الصالحات.

مناقبه عليه السلام:

١ - قال الحضرمي الشافعي: ... نُقِلَ فِي رَوْضِ الرِّيَاحِينَ لِلْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدِ الْيَافِعِيِّ عَنِ هُبُلُولٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَإِذَا بِالصَّبِيَّانِ يَلْعَبُونَ بِالْجُوزِ وَاللَّوْزِ وَإِذَا بِصَبِيٍّ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَكِي، فَقُلْتُ: هَذَا صَبِيٌّ يَتَحَسَّرُ عَلَى مَا فِي أَيْدِي الصَّبِيَّانِ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ بُنْيَ مَا يُكِيكَ؟ أَشْتَرِي لَكَ مَا تَلْعَبُ بِهِ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا قَلِيلَ الْعَقْلِ، مَا لِلْعَبِّ خُلِقْنَا،

فقلت: فلم إذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، قلت: من أين لك ذلك بارك الله فيك؟ قال من قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١) فقلت: يا بُني أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق * مُشَمَّرَةٌ عَلَى قَدَمِ وَسَاقِ
فلا الدنيا بباقيّة حَيٍّ * ولا حيٌّ على الدنيا بباقي
كأنَّ الموت والحَدَثَانِ فِيهَا * إلى نفس الفتى فرسا سِباقي
فيا مغرورٌ بالدُّنيا زُويدا * ومنها خُذْ لِنَفْسِكَ بِالوَثَاقِ

ثم رمق السماء بعينه وأشار بكفيه ودموعه تتحدّر على خديه فقال: يا مَنْ إليه المبتهل، يا مَنْ عليه المتكل، يا مَنْ إذا ما أملّ يرجوه لم يُخطِ الأمل... قال: فلما أتم كلامه خرّ مغشياً عليه، فرفعت رأسه إلى حجري ورفضت التراب عن وجهه، فلما أفاق، قلت: أي بُني ما أنزل بك وأنت صبي صغير لم يُكتب عليك ذنب؟ قال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم، فقلت له: أي بُني أراك حكيماً فعظني فأنشأ يقول:

غفلت وحادي الموت في إثري يحدو * وإن لم أرح يوماً فلا بدّ أن أغدو
أنعم جسمي باللباس ولينه * وليس لجسمي من لباس البلى بدّ
كأنّي به قد مرّ في برزخ البلى * ومِن فوقه رَدْمٌ ومِن تحته لحد
وقد ذهب عني المحاسن وانمحت * ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
أرى العمر قد ولّى ولم أدرك المنى * وليس معي زاد وفي سفري بُعد
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصياً * وأحدثت أحداثاً وليس لها ردّ
وأرخت دون الناس سترًا من الحيا * وما خفت من سريّ غداً عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقت بحلمه * وأن ليس يعفو غيره فله الحمد
فلولم يكن شيء سوى الموت والبلى * ولم يك من ربّي وعيد ولا وعد

لكان لنا في الموت شغل وفي البلى * عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشد
 عسى غافر الزلات يغفر زلتي * فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
 أنا عبد سوء خنت مولاي عهده * كذلك عبد السوء ليس له عهد
 فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي * ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد
 أنا الفرد عند الموت والفرد في البلى * وأبعث فرداً فارحم الفرد يا فرد

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصبي، فلما أفقت ونظرتُ إلى الصبيان فلم أراه معهم، فقلتُ لهم: مَنْ يكون ذلك الغلام؟ قالوا: وما عرفته؟ قلت: لا، قالوا: ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال: فقلتُ: قد عجبت من أمره وما تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة.

٢- ما روي عن علي بن الحسن بن سابور قال: قحط الناس بـ (سُرَّ مَنْ رأى) في زمن الحسن الأخير عليه السلام فأمر المعتمد بن المتوكل الحاجب وأهل المملكة أن يخرجوا إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام متوالية إلى المصلى يستسقون، ويدعون فما سُقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء، ومعه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب، فلما مدَّ يده هطلت السماء بالمطر، وخرج في اليوم الثاني، فهطلت السماء بالمطر، فشكَّ أكثر الناس، وتعجَّبوا وصَبَّوا [أي مالوا] إلى النصرانية، فبعث الخليفة إلى الحسن العسكري عليه السلام - وكان محبوساً - فاستخرجه من حبسه وقال: الحق أمة جدك فقد هلكت، فقال له: إني خارج في الغد، ومزيل الشك إن شاء الله. فخرج الجاثليق في اليوم الثالث، والرهبان معه، وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلما بصر بالراهب - وقد مدَّ يده - أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى، ويأخذ ما بين إصبعيه، ففعل وأخذ من بين سبابته والوسطى عظماً أسود، فأخذ الحسن عليه السلام بيده ثم قال له: استسق الآن، فاستسقى، وكانت السماء متغيمة فتشعَّت وطلعت الشمس بيضاء، فقال الخليفة: ما هذا

العظم يا أبا محمد؟ فقال عليه السلام: هذا رجل مرّ بقبر نبي من أنبياء الله، فوقع في يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر. ^(١)
علمه عليه السلام:

رغم أن الخلفاء العباسيين قد وضعوا الإمام تحت الإقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيس، ولكنه جابه الخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزة، وقد روى عنه الحفاظ والرواة أحاديث جمّة في شتى المجالات، بل يُروى أن الإمام عليه السلام ورغم كل ذلك كان على اتصال مستمر بالشيعّة الذين كان عددهم يقدر بعشرات الملايين، وما نُقل عنه من الحكّم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد، وكفانا في ذلك علماءنا الأبرار، بيدّ أنا نشير هنا إلى لمحة من علومه.

١ - لقد شغلت الحروف المقطعة بآل المفسرين فضربوا يميناً وشمالاً، وقد أنهى الرازي أقوالهم فيها في أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولاً، ولكن الإمام عليه السلام عالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبین تقوله، فقال الله: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: يا محمد، هذا الكتاب الذي نزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها ألف، لام، ميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بيّن أنه لا يقدرّون عليه بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ^(٢) ^(٣).

٢ - كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون: إنكم تقولون في صلواتكم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أولستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنكم متنكبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام عليه السلام

(١) الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٤٥٤.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٨.

(٣) معاني الأخبار: ص ٢٤.

الآية قاطعا لشغبهم فقال: آدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمالنا. ثم فسر الصراط بقوله: الصراط المستقيم هو: صراطان: صراط في الدنيا وصرراط في الآخرة، أما الأول فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة^(١).

وكان قد استفحل أمر الغلاة في عصر الإمام العسكري ونسبوا إلى الأئمة الهداة أمورا هم عنها براء، ولأجل ذلك يركز الإمام عليه السلام على أن الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنب عن الغلو والتقصير.

٣ - ربما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ويتصور أن المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحة البدن، وإن كان كل هذا نعمة من الله، ولكن المراد من الآية بقرينة قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هو نعمة التوفيق والهداية، ولأجل ذلك نرى أن الإمام يفسر هذا الإنعام بقوله: قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لديك وطاعتك وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة^(٢).

زيارة الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْهَادِيَّ الْمُهْتَدِيَّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَابْنَ أَوْلِيَّائِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللَّهِ وَابْنَ أَصْفِيَّائِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ

(١) معاني الأخبار: ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦.

وَابْنَ خُلَفَائِهِ وَآبَا خَلِيفَتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا ابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
ابْنَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْأَيْمَةِ الْهَادِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا ابْنَ الْأَوْصِيَاءِ الرَّاشِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عِصْمَةَ الْمُتَّقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
إِمَامَ الْفَائِزِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رُكْنَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَوْجَ الْمُتْلُوهِينَ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَجَبِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ عِلْمِ وَصِي
رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الدَّاعِي بِحُكْمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاطِقُ
بِكِتَابِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ الْحُجَجِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا هَادِيَ الْأُمَمِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ النَّعَمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَةَ الْعِلْمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
سَفِينَةَ الْحِلْمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آبَا الْأَمَامِ الْمُتَنْظِرِ، الظَّاهِرَةَ لِلْعَاقِلِ حُجَّتُهُ، وَالثَّابِتَةَ
فِي الْيَقِينِ مَعْرِفَتُهُ، الْمُحْتَجِبِ عَنِ أَعْيُنِ الظَّالِمِينَ، وَالْمُعْتَبِ عَنِ دَوْلَةِ الْفَاسِقِينَ،
وَالْمُعِيدِ رَبَّنَا بِهِ الْأَسْلَامَ جَدِيداً بَعْدَ الْأَنْطِمَاسِ، وَالْقُرْآنَ غَضّاً بَعْدَ الْأَنْدِرَاسِ،
أَشْهَدُ يَا مَوْلَايَ أَنَّكَ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ
عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ
مُخْلِصاً حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، أَسْأَلُ اللَّهَ بِالشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ زِيَارَتِي
لَكُمْ، وَيَشْكُرَ سَعْيِي إِلَيْكُمْ، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي بِكُمْ، وَيَجْعَلَنِي مِنْ أَنْصَارِ الْحَقِّ
وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَمَوَالِيهِ وَمُجِيئِهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثم قبل ضريحه وضع خدك الأيمن عليه ثم الأيسر وقل:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَادِي
إِلَى دِينِكَ، وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ، عَلَّمَ الْهُدَى، وَمَنَارِ التَّقَى، وَمَعْدِنِ الْحِجَى،
وَمَاوَى النَّهَى، وَغَيْثِ الْوَرَى، وَسَحَابِ الْحِكْمَةِ، وَبَحْرِ الْمَوْعِظَةِ، وَوَارِثِ الْأَيْمَةِ
وَالشَّهِيدِ عَلَى الْأُمَّةِ، الْمُعْصُومِ الْمُهَذَّبِ، وَالْفَاضِلِ الْمُقْرَبِ، وَالْمُطَهَّرِ مِنَ الرَّجْسِ،
الَّذِي وَرَّثَتْهُ عِلْمَ الْكِتَابِ، وَأَهْمَمْتَهُ فَضْلَ الْخُطَابِ، وَنَصَبْتَهُ عَلماً لِأَهْلِ قِبْلَتِكَ،
وَقَرَنْتَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَفَرَضْتَ مَوَدَّتَهُ عَلَى جَمِيعِ خَلِيقَتِكَ، اللَّهُمَّ فَكَمَا أَنَابَ

بِحُسْنِ الْأَخْلَاصِ فِي تَوْحِيدِكَ، وَأَزْدَى مَنْ خَاصَّ فِي تَشْبِيهِكَ، وَحَامَى عَنْ أَهْلِ
الْأَيْمَانِ بِكَ، فَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَيْهِ صَلَاةً يَلْحَقُ بِهَا مَحَلُّ الْخَاشِعِينَ وَيَعْلُو فِي الْجَنَّةِ
بِدَرَجَةِ جَدِّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَبَلِّغْهُ مِنَّا تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَأَنَا مِنْ لَدُنْكَ فِي مُوَالَاتِهِ
فَضْلًا وَإِحْسَانًا وَمَغْفِرَةً وَرِضْوَانًا، إِنَّكَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وَمَنْ جَسِيمٌ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٣٠

وقفة

السيدة فاطمة المعصومة

١٠ ربيع الثاني ٢٠١ هـ



المناسبات الدينية لشهر ربيع الثاني

وفاة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ولدت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في بيت طاهر ضم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وزوجته الطاهرة تكتم - وهي وإن كانت جارية أم ولد إلا أنها قد بلغت من الشرف والفضل والطهر والعفاف والكمال أعلى المراتب وأرفع الدرجات، حتى أصبحت من سيدات النساء فكانت بذلك مؤهلة لأن تكون قرينة لإمام معصوم، وأماً لإمام معصوم - وُلِدَتْ سَلِيلَةَ الطَّهْرِ والعفاف فاطمة المعصومة عليها السلام، وكانت الظروف التي أَلَّتْ بأهل البيت عليهم السلام آنذاك عصيبة جداً إلى حد غاب فيها عن المؤرخين والرواة تسجيل أحداث الولادة وتأريخها، أو ذُكِرَ شيء مما يتعلق بها.

وقد اختلف المؤلفون في تاريخ ولادتها، فقد ذُكِرَ أن ولادتها عليها السلام كانت سنة ١٨٣ هـ، ورجَّح بعضهم أن تكون ولادتها عليها السلام قبل سنة ١٧٩ هـ، وذهب بعض آخر إلى أن ولادتها عليها السلام كانت في غرة شهر ذي القعدة سنة ١٧٣ هـ.

أسمها وألقابها عليها السلام:

لما كانت السيدة المعصومة ربيبة الإمامة فقد حظيت بأحسن الأسماء، وأجمل الألقاب، وإن لاسمها وألقابها من الدلالات والمعاني ما يشير إلى عظمتها، ذلك لأن الاسم أو اللقب لم يطلق عليها جُزْأفاً، وإنما صدر عن المعصوم الذي يضع الأشياء في مواضعها، الأمر الذي يدل على جلاله هذه الشخصية وعظمتها في كل شأن من شؤونها.

وأما أسمها:

فاطمة: وكم لهذا الاسم من شأن وخصوصية عند الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، وكم كان الأئمة عليهم السلام يولون هذا الاسم أهمية فائقة، لانجدها في سائر الأسماء

عندهم، ولذا ذكر بعض الباحثين أن جميع الأئمة عليهم السلام كانت لهم بنات بهذا الاسم، إن شيعة أهل البيت عليهم السلام يدركون تماما خصوصية هذا الاهتمام وأبعاده ومغزاه.

وأما ألقابها فهي كثيرة نذكر أشهرها:

١ - المعصومة: ويقترن هذا اللقب باسم فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، فيقال في الأعم الأغلب: فاطمة المعصومة، كما يقال عند ذكر أمها الكبرى: فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد ورد هذا اللقب في رواية عن الرضا عليه السلام حيث قال: من زار المعصومة بقم كمن زارني.

ولهذا التوصيف من الدلالة ما لا يخفى، فإنها تدل على أن السيدة فاطمة عليها السلام قد بلغت من الكمال والنزاهة والفضل مرتبة شامخة حيث سماها الإمام عليه السلام بالمعصومة فإن الإمام عليه السلام لا يلقي الكلام جُزافاً، وهي وإن لم تكن معصومة بالمعنى الخاص للعصمة التي للأنبياء والأئمة عليهم السلام والصديقة الزهراء عليها السلام فإن عصمتهم عليهم السلام أمر لازم لا بد منه، وأما العصمة في هذه الشخصيات العالية ليست بلازمة إلا أن في التعبير عنها بالمعصومة إشعاراً ببلوغها مرتبة عالية من الطهارة والعفة والنزاهة والقداسة، ولا غرور فإنها تنحدر من بيت العصمة وترت على يد المعصوم، وكانت ابنة معصوم وأخت معصوم وعمة معصوم.

٢ - كريمة أهل البيت: وهو من ألقاب هذه السيدة الجليلة، وعُرفت به من دون سائر نساء أهل البيت، وقد اشتهر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بهذا اللقب من دون سائر الرجال، فكان يقال له كريم أهل البيت، وقد أطلقه عليها الإمام المعصوم عليه السلام في قصة وقعت للسيد محمود المرعشي، فإنه كان يريد معرفة قبر الصديقة الزهراء عليها السلام، وقد توسل إلى الله تعالى من أجل ذلك كثيراً، حتى أنه دأب على ذلك أربعين ليلة من ليالي الأربعاء من كل أسبوع في مسجد السهلة بالكوفة، وفي الليلة الأخيرة حظي بشرف لقاء الإمام المعصوم عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: عليك بكريمة أهل البيت، فظن السيد محمود المرعشي أن المراد بكريمة أهل البيت عليها السلام هي الصديقة الزهراء عليها السلام فقال للإمام عليه السلام: جعلت فداك إنما

توسلت لهذا الغرض، لأعلم بموضع قبرها، وأتسرف بزيارتها، فقال عليها السلام: مرادي من كريمة أهل البيت قبر السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قم، ثم قال: إن الله تعالى قد جعل قبر الصديقة الزهراء عليها السلام من الأسرار، وقد اقتضت الإرادة الإلهية تبعاً لبعض المصالح أن يكون قبرها مخفياً لا يطلع على موضعه أحد من الناس، فلا يمكن الإخبار عنه، ولكن جعل الله تعالى قبر السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام موضعاً يتجلى فيه قبر الصديقة الزهراء عليها السلام، وإن ما قدر لقبر الصديقة الزهراء عليها السلام من الجلال والعظمة والشأن - لو كان معلوماً ظاهراً - قد جعله الله تعالى لقبر السيدة المعصومة، وعلى أثر ذلك عزم السيد محمود المرعشي على السفر من النجف الأشرف إلى قم لزيارة كريمة أهل البيت عليها السلام.. ولهذا اللقب دلالة بعيدة الغور على شأن فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليها السلام، فإنهم قد عرفوا الكرم بأنه إيثار الغير بالخير ولا تستعمله العرب إلا في المحاسن الكثيرة، ولا يقال لأحد (كريم) حتى يظهر منه ذلك، والكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، وعلى ضوء هذا المعنى الشامل للكرم يتجلى لنا المراد من وصف هذه السيدة الجليلة بأنها كريمة أهل البيت عليها السلام، فإنها ذات خير وبركة على الخلق، ولا سيما شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله، وإن من أبرز مظاهر كرمها أن مثواها المقدس كان ولا يزال منبعاً للفيض، وملاذاً للناس، ومأمناً للعباد، ومستجاراً للخلق، وباباً من أبواب الرحمة الإلهية للقاصدين، وأن مدينة قم حيث تضم مرقدتها الطاهر كانت ولا تزال حاضرة العلم، وحرماً الأئمة وعش آل محمد عليهم السلام ومَنفراً لأهل العلم من شتى بقاع الأرض، يتلقون علوم أهل البيت عليهم السلام محتضنة كوكبة من العلماء والطلاب، ولا زالت هي والنجف الأشرف فرسي رهان تتسابقان في تخريب حَمَلَة العلوم على شتى مراتبهم.

ألقاب أخرى: ذكر الأعلام أن لفاطمة المعصومة عليها السلام عدة ألقاب غير ما ذكرنا، وردت في عدة من المصادر، وهي: (الطاهرة، الحميدة، البرة، الرشيدة، التقية، النقية، الرضية، المرضية، السيدة، أخت الرضا).

وسواء ثبتت هذه الألقاب والأسماء أو لم تثبت إلا أن من الواضح انطباق ما

تضمنته من معان ودلالات على هذه السيدة الجليلة.

إلى الرضا عليه السلام: بعد مضي عام على رحيل أخيها عنها هاجت بها لواعج الحنين والشوق إلى أخيها الغريب، وقد علم الإمام عليه السلام بحال أخته، فإنها لم تغب عن قلبه، وهو يعلم شدة تعلقها به، فكتب إليها كتابا يطلب منها القدوم عليه، وأعطاه أحد غلمانه، وأمره بالمسير إلى المدينة ولما وصل إليها سلم الكتاب إلى فاطمة المعصومة عليه السلام، وما إن وقع بصرها على خط الإمام حتى تذكرت أخاها، وما كان له معها من شأن، وكأنه لم يمض عام واحد فحسب، وإنما عشرات الأعوام، ولما قرأت الكتاب قررت السفر إلى أخيها وأعدت للسفر عدته، وتهيأ ركب قوامه اثنان وعشرون شخصا ضم بعض إخوتها، وبعض أبنائهم وغلمانهم، وساروا يقطعون البيد والقفار واتخذوا من الطريق المؤدي إلى قم مسارا لهم إلى طوس ولكن ما إن وصلوا إلى ساوة - وهي بلدة سنية شافعية لا تبعد كثيرا عن قم - حتى حوَصر الركب وقُتل وشُرد كل من فيه، وجرحوا هارون أخا الإمام الرضا عليه السلام، ثم هجموا عليه وهو يتناول الطعام فقتلوه^(١).

وكان ذلك كله بمرأى من السيدة فاطمة المعصومة عليه السلام فقد شاهدت مقتل إخوتها وأبنائهم، ورأت تشرد من بقي منهم، فماذا سيكون حالها آنذاك؟ واكتفى بعض المؤرخين بالقول: ((إنها مرضت، فسألت عن المسافة بينها وبين قم فقبل لها عشرة فراسخ، فأمرت خادما لها أن يحملها إلى قم، ومكثت في قم في منزل موسى بن خزرج الأشعري سبعة عشر يوما ثم ماتت))^(٢). وذكر آخرون إنها قد دُسَّ إليها السم في ساوة، ولم تلبث إلا أياما قليلة واستشهدت^(٣).

وعلى أي حال فقد كانت الأيام الأخيرة من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليه السلام

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٢) تاريخ قم: ص ٢١٣.

(٣) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام: ص ٤٢٨.

مريرة مؤلمة عانت فيها آلاما في الروح وآلاما في الجسد حتى آذنت شمسها بالمغيب. **في قم:** ورحلت السيدة المعصومة عليها السلام من ساوة وهي مثقلة بالهموم والآلام والأحزان متوجهة نحو قم، وكانت على موعد مع هذه البلدة الطيبة، والتي ستزداد مكانتها رفعة وشأنا وشرفا يوم تطأ أرضها قدما السيدة فاطمة عليها السلام، لقد علمت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بأنها المعنية في ما ورد عن جدها الإمام الصادق عليه السلام يوم قال: ((وإن لنا حرما وهو بلدة قم وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنة؟))^(١)، وذكر الرواة أن الإمام عليه السلام قد حدث بذلك قبل ولادة الإمام الكاظم عليه السلام.

وعلمت السيدة فاطمة عليها السلام بقرب رحيلها عن الدنيا، وأنها لن تلبث إلا أياما قليلة، كما علمت أن مواصلة المسير إلى طوس أصبح عسيرا بعد أن فقدت إخوتها وأبناءهم قتلا وتشريدا، ولم تكن أرض ساوة ولا أهلها آنذاك أهلا لاستضافتها، ومن أجل ذلك كان لا بد أن ترحل عن ساوة إلى قم، فأمرت خادمها أن يحملها إليها، ولما بلغ أهل قم نبأ قرب وصولها خرج الأشراف لاستقبالها، وكان في طليعة مستقبليها موسى بن خنزر بن سعد الأشعري، فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقتها، وجرها إلى منزله وكانت في داره سبعة عشر يوما^(٢)، ولا زال موضع المنزل ماثلا إلى اليوم، حيث أصبح مدرسة علمية ومسكنا لطلاب العلوم الدينية في قم، وقد اتخذت من بيته موضعا جعلته محرابا لها تصلي فيه، وما يزال هذا المحراب المبارك موجودا إلى يومنا هذا في دار موسى ويزوره الناس.

لقد كانت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام تأمل في أن تحظى بلقاء شقيقها الرضا عليه السلام، ولكنها الأقدار الإلهية ومشية الخالق الحكيم، وليس إلا التسليم والرضا بما شاء وأراد.

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) تاريخ قم: ص ١٣.

أقول الشمس وبزوغها:

لقد كانت تشعر بدنو رحيلها عن هذه الدنيا الزائفة، وكانت تستعجل الأيام، فليس وراء لقاء الله ولقاء الآباء والأجداد مطمع، وليس بين عالم نوري علوي وآخر مظلم سفلي قياس.. وهكذا كانت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في أيامها الأخيرة فقد شاءت المقادير الإلهية أن ترحل عن هذه الدنيا في بلدة نائية عن موطن الآباء والأجداد لتكون بابا من أبواب الرحمة إلى العباد، وملاذا يؤمها ذوو الحاجة والاضطرار، وسببا من أسباب اللطف الإلهي للمؤمنين والأخيار، وأسلمت روحها إلى بارئها راضية مرضية، ولم يتجاوز عمرها الشريف - على أقصى التقادير - الثلاثين ربيعا، وكان ليوم موتها شأن عظيم.

وما أفلت تلك الشمس التي أطلت على مدينة قم بعد سبعة عشر يوما من دخولها إليها إلا لتشرق من جديد، ويكون مثواها مؤثلا وملاذا ومطافا، وتصبح السيدة فاطمة عليها السلام علامة تحوّل في تاريخ هذه البلدة وأهلها، ويكون حرمها مصدر خير وبركة لها ولمن يقصدها من سائر البلدان من شتى بقاع الأرض، منذ يوم وفاتها وإلى يوم الناس هذا.

وذكر بعض الرواة أنها: ((لما توفيت أمر موسى بتغسيلها وتكفينها وصلّى عليها ودفنها في أرض كانت له، وهي الآن روضتها))^(١).

وذكر آخرون أنه: ((لما توفيت فاطمة عليها السلام وغسلت وكفنت حملوها إلى مقبرة (بابلان) ووضعوها على سرداب حفر لها، فاختلف آل سعد في من ينزلها إلى السرداب، ثم اتفقوا على خادم لهم صالح كبير السن، يقال له (قادر)، فلما بعثوا إليه رأوا راكبين مقبلين من جانب الرملية وعليهما لثام، فلما قربا من الجنازة نزلا وصليا عليها ثم نزلا السرداب وأنزلا الجنازة ودفناها فيه ثم خرجا، ولم يكلا أحدا وركبا ولم يدر أحد من هما...))^(٢).

(واعتقد بعض الباحثين أن هذين الراكبين هما الإمامان المعصومان الرضا

(١) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) تاريخ قم: ص ٢١٣، وبحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٢٩٠.

والجواد عليه السلام، جاء ليتوليا أمر الصلاة عليها وإنزالها في قبرها ودفنها، وكان حضورهما عن طريق الإعجاز، وقد طويت لهما الأرض من خراسان حيث كان الإمام الرضا عليه السلام، ومن المدينة حيث كان الإمام الجواد عليه السلام (١) ولا غرابة في ذلك فان للأئمة عليهم السلام مقامات شامخة، قصرت عقول الناس عن أن تحوم حولها فضلا عن أن تدرك كنهها، فهم مظاهر أسمائه وصفاته، ومنحهم الولاية التكوينية يتصرفون بها في هذا الكون بما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهم الترجمة العملية للقرآن الكريم.

وقد حفظ الرواة لنا نظير ذلك، كما في حضور أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدائن يوم وفاة سلمان، وكذا حضور الإمام الكاظم عليه السلام إلى نيسابور ليصلي على جنازة امرأة من شيعته تدعى شطيطة في قصة طويلة ذكرها الرواة، وفي آخرها قال الإمام عليه السلام: إنني ومن جرى مجراي من أهل البيت لا بد لنا من حضور جنازكم في أي بلد كنتم، فاتقوا الله في أنفسكم وأحسنوا الاعمال لتعينونا على خلاصكم، وفك رقابكم من النار ..، وغيرهما من الحوادث المشابهة.

وبملاحظة ما تقدم من الإشارة إلى مقام السيدة فاطمة عليها السلام الشامخ ومنزلتها العالية عند الأئمة عليهم السلام حتى أشاد ثلاثة من المعصومين عليهم السلام بمكانتها، لا يبقى بعد ذلك مجال للتشكيك، ولا غرو في ذلك فإن لها عند الله شأنًا من الشأن.

تاريخ الوفاة:

لم يرد في شيء من الروايات تاريخ اليوم أو الشهر الذي رحلت فيه السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام عن الدنيا، وإنما ورد ذكر السنة فقط، فقد جاء في تاريخ قم أنه: ((لما أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة مائتين من الهجرة خرجت فاطمة أخته تقصده في سنة إحدى ومائتين، فلما وصلت إلى ساوة إلخ)) (٢).

وتقدم أنها مكثت في قم سبعة عشر يوما في منزل موسى بن خزرج بن سعد

(١) كريمة أهل البيت عليهم السلام: ص ٣٨.

(٢) تاريخ قم: ص ٢١٣.

الأشعري، وأما تاريخ اليوم أو الشهر فلم يُذكر.
وقد اختلفت الأقوال في تحديدهما، وذكر أحد الباحثين أنها ثلاثة: القول الأول: العاشر من ربيع الثاني. القول الثاني: الثاني عشر من ربيع الثاني. القول الثالث: الثامن من شهر شعبان^(١). وقد رجّح بعض الباحثين القول الأول لبعض القرائن والشواهد^(٢).

من كرامات السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام:

ما نقله الميرزا موسى فرهاني عن مسؤول حراسة حرم السيدة معصومة عليها السلام أنه قال: ((في ليلة من الليالي سنة ١٣٠٠ هـ كنت أتولى فيها الحراسة فجيء بامرأة من كاشان مصابة بالشلل للاستشفاء وربطت بالضريح، وفي الساعة المقررة لإغلاق أبواب الحرم بقيت هذه المرأة في الحرم وأغلقت الأبواب، وكنت خارج الحرم أتولى الحراسة، بعد منتصف الليل سمعت صوت المرأة وهي تقول: لقد شافنتي، فتحت باب الحرم ورأيت تلك المرأة السعيدة وقد شفيت، فسألتها عن كيفية شفائها، فقالت: أصابني العطش الشديد وخجلت أن أدق الباب وأطلب منك الماء، ولذا نمت بعطشي، فرأيت في منامي أنها أعطتني قدحا من الماء، وقالت: اشربي هذا الماء وستجدين الشفاء، فشربت الماء وانتبهت من النوم ولا أثر للعطش ولا للمرض))^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) كريمة أهل البيت عليهم السلام: ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٥٦.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية



المختار الثقفي وثورته الخالدة



المناسبات الدينية لشهر ربيع الثاني

المختار الثقفي وثورته الخالدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ولادته ونشأته:

ولد المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي (رضوان الله عليه) المكنى بأبي اسحاق في مدينة الطائف في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، ويذكر أن والد المختار أبو عبيدة حينما أراد أن يتزوج ذكر له قومه نساءً فأبى أن يتزوج منهنّ، فأتاه آتٍ في منامه فقال له: تزوّج دومة الحسنة الحومة، فما تسمع فيها للائم لومة، فأخبر أهله، فقالوا له: قد أمرت فتزوّج دومة بنت وهب بن عمرو.. فلما حملت بالمختار قالت: رأيت في النوم قائلاً يقول:

أبشري بالولد أشبه شيء بالأسد
إذا الرجال في كبد تقاتلوا على بكد
كان له الحظ الأشد

نشأ مقداماً شجاعاً يتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطرة تدرك الأشياء بفراستها، وهمّة تعلو على الفراقد بنفاستها، وحدس مصيب، وكفّ في الحروب مجيب، مارس التجارب فحنكته، ولابس الخطوب فهذبته، وأول مشاركة له مع أبيه في وقعة (قُسّ الناطف) وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان يتفوّق للقتال فيمنعه عمّه سعد بن مسعود.

وكان المختار في صباه يحظى برعاية أمير المؤمنين عليه السلام لما كان يعلمه أنّه الأخذ بثأر ولده الحسين عليه السلام، فعن الأصبغ قال: ((رأيت المختار على فخذ أمير

المؤمنين وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيّس يا كيّس))^(١).

سجنه:

تُعرف في المختار شمائل النخوة والإباء ورفض الظلم، وتُرى فيه مواقف الشجاعة والتحدّي أحياناً، وهذا أشدّ ما تخشاه السلطات الأموية، فألقت القبض عليه، وأودعته في سجن عبيد الله بن زياد في الكوفة.

وكان هذا تمهيداً لتصفية القوى والشخصيات المعارضة، والتفرّغ لإبادة أهل البيت بعد ذلك حيث لا أنصار لهم ولا أتباع.

وتقتضي المشيئة الإلهية أن يلتقي المختار في السجن بميثم التمار - هذا المؤمن الصالح الذي أخذ علومه من الإمام علي عليه السلام - فيشره بقوله: ((إنّك تفلت وتخرج نائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه - أي ابن زياد - وتطأ بقدمك هذه على جبهته وخذّيه))^(٢).

ولم تطل الأيام حتّى دعا عبيد الله بن زياد المختار من سجنه ليقتله، وإذا برسالة من يزيد بن معاوية تصل إلى ابن زياد يأمره فيها بإخراج المختار من السجن، وذلك أنّ أخت المختار صفية بنت أبي عبيد كانت زوجة عبد الله بن عمر، فسألت زوجها أن يشفع لأخيها إلى يزيد، فشفع فأمضى يزيد شفاعته، فكتب بإخراج المختار.

رسالة المختار:

لما قدم أصحاب سليمان بن صرد من الشام، كتب إليهم المختار من الحبس: أمّا بعد، فإنّ الله أعظّم لكم الأجر، وحطّ عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المحلّين، إنكم لن تُنفقوا نفقةً ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطوا خطوة إلاّ رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم حسنة، فأبشروا فإنّي لو خرجت إليكم جرّدت فيما بين المشرق والمغرب من عدوكم بالسيف بإذن الله، فجعلتهم

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٣٤٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٣٤٥.

رُكّاماً، وقتلتهم فداءً وتوأماً، فرحب الله لمن قارب واهتدى، ولا يُبعد الله إلا مَنْ عصى وأبى، والسلام عليكم يا أهل الهدى.

فلما جاء كتابه وقف عليه جماعة من رؤساء القبائل، وأعادوا الجواب: قرأنا كتابك ونحن حيث يسرُّك، فإن شئت أن نأتيك حتى نُخرجك من الحبس فعَلْنَا، فأخبره الرسول فسّر المختار باجتماع الشيعة له، وقال: لا تفعلوا هذا؛ فإنِّي أخرج في أيامي هذه^(١).

وفعلاً خرج المختار من السجن ولما استقرّ في داره، اختلف الشيعة إليه واجتمعت عليه، وأتفقوا على الرضى به، وكان قد بُويع له وهو في السجن، ولم يزل يكثرون وأمرهم يقوى ويشتدّ، حتى عزّل عبدالله بن الزبير الواليين من قبله، وهما: عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة.

ثورته الخالدة:

أوجدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ردود فعل كبيرة في صفوف الأمة الإسلامية، فتوالت الحركات الثورية مقاومة للتسلط البغيض للزمرة الظالمة الأموية، وعلى إضعافها.

حدثت ثورة التوابين بقيادة سُلَيْمان بن صُرْد الخزاعي، والمسَيّب بن نجبة الفزارى بالكوفة، ورفعوا شعار التوبة والتكفير لتخلفهم عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام.

ثم وقعت ثورة المختار الثقفي تحت شعار: **(يا لثارات الحسين)**، تلك الثورة التي أدخلت السرور على أهل البيت عليهم السلام حيث أصدر المختار أوامره بإيقاد النيران وهي العلامة المتفق عليها، كما أمر بإطلاق شعارات الثورة: **(يا منصور أمت)** وهو شعار نبينا محمد صلى الله عليه وآله في معركة بدر.

وفي قلب الظلام استيقظ سكّان الكوفة على شعارات يا لثارات الحسين، وهب الثائرون إلى منزل المختار الذي أصبح مركزاً لقيادة الثورة ودارت معارك

ضارية في شوارع الكوفة وأزقتها واستسلم جنود الوالي وشرطته، كما فرّ الوالي بنفسه إلى الحجاز.

فأخذ المختار يقتل كل من اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، بعدما انقضّ المختار على الكوفة وقد خبّأت رؤوس الفتنة والضلالة والجريمة، آفاً من قتلة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فيحصدها المختار انتقاماً لدم وليّ الله، وثاراً ممّن قتل الأطفال والصالحين وسبى النساء والأرامل والشكالي... الذين جعلوا بيت النبي صلى الله عليه وآله في عزاء ونحيب وعويل ليلَ نهار.

قال المنهال: دخلتُ على عليّ بن الحسين مُنصرَفي من مكّة، فقال لي: يا منهال، ما صنع حرملةُ بن كاهل الأسديّ؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً ثمّ قال عليه السلام: اللهمّ أدِّقه حرّاً الحديد، اللهمّ أدِّقه حرّاً الحديد، اللهمّ أدِّقه حرّاً النار.

قال المنهال: قدّمتُ الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ وكان لي صديقاً...، فركبتُ إليه ولقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتينا في ولايتنا هذه (أي حكومتنا)، ولم تُهنّئنا بها، ولم تُشركنا فيها؟! فأعلمته أنّي كنت بمكّة، وأنّي قد جئتُك الآن. وسأيرته ونحن نتحدّث حتّى أتى (الكناسة) فوقف وقوفاً كأنه ينظر شيئاً، وقد كان أخبر بمكان حرملة فوجّه في طلبه، فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون، حتّى قالوا: أيّها الأميرُ البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهل! فما لبثنا أن جيء به، فلمّا نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي مكّنتني منك... ثمّ قال: النارُ النار. فأُتيَ بنارٍ وقصب، فأُلقي عليه فاشتعل فيه النار.

قال المنهال: فقلت: سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إنّ التسييحَ لحسن، ففيم سبّحت؟ قلت: أيّها الأمير، دخلتُ في سفرتي هذه منصرفي من مكّة على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل الأسديّ؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة. فرفع يديه جميعاً فقال: اللهمّ أدِّقه حرّاً الحديد،

اللهم أذِّفه حرَّ الحديد، اللهم أذِّفه حرَّ النار.

فقال لي المختار: أسمعت عليَّ بن الحسين يقول هذا؟! فقلت: والله لقد سمعته يقول هذا. فنزل عن دابته وصلى ركعتين فأطال السجود.. ثم ركب وقد احترق حرمة، وركبتُ معه، وسرنا فحاذيتُ داري فقلت: أيها الأمير، إن رأيت أن تُشرفني وتُكرمني وتنزل عندي وتحرم طعامي (أي تكون بيننا حرمة وذمة بتناول الطعام)، فقال: يا منهال، تُعلمني أن عليَّ بن الحسين دعا بثلاث دعوات، فأجابه الله على يدي، ثم تأمرني أن أكل؟! هذا يوم صومٍ شكرًا لله عز وجل على ما فعلته بتوفيقه^(١).

إرساله جيشاً لمقاتلة عبيد الله بن زياد:

شيّع المختارُ إبراهيمَ بن مالك الأشتر ماشياً يبعثه إلى قتال عبيد الله بن زياد، فقال له إبراهيم: اركب رحمك الله، فقال المختار: إنِّي لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحبُّ أن تغبرَّ قدماي في نصر آل محمد ﷺ. ثم ودَّعه وانصرف.. فسار ابن الأشتر إلى المدائن يريد ابن زياد، ثم نزل نهر الخازر بالموصل شمال العراق، وكان الملتقى هناك، فحضَّ ابن الأشتر أصحابه خاطباً فيهم: يا أهل الحق وأنصار الدين، هذا ابن زياد قاتل حسين بن عليٍّ وأهل بيته، قد أتاكم الله به وبحزبه حزب الشيطان، فقاتلوهم بنيةٍ وصبر؛ لعلَّ الله يقتله بأيديكم ويشفي صدوركم.

وتزاحفوا.. ونادى أهل العراق: يا لثارات الحسين. فجال أصحاب ابن الأشتر جولة... وحمل ابن الأشتر يميناً فخالط القلب وكسرهم أهل العراق فركبوهم يقتلوهم، فانجلت الغمة وقد قُتل عبيدُ الله بن زياد، وحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وأعيان أصحابهم.

قيل: وبعث إبراهيم بن الأشتر برأس ابن زياد ورؤوس أعيان من كان معه إلى المختار، فبعثهم المختار إلى محمد بن الحنفية وإلى الإمام زين العابدين عليه السلام،

فأدخلت عليه وهو يتغدى.. فقال عليه السلام: أدخِلْتُ على ابن زياد (أي حينما أُسر وجيء به إلى الكوفة) وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه، فقلت: ((اللهم لا تُمتني حتى تُريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى.. فالحمد لله الذي أجاب دعوتي))^(١). وفي رواية ابن نهما الحلي: ((فسجد الإمام عليه السلام؛ شكراً لله، وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي، وجزى الله المختار خيراً))^(٢).

قتله لعمر بن سعد:

كان المختار قد سُئل في أمان عمر بن سعد بن أبي وقاص، فأمنه على شرط ألا يخرج من الكوفة، فإن خرج منها فدمه هدر، فأتى عمر بن سعد رجل فقال له: إني سمعت المختار يحلف ليقتلن رجلاً، والله ما أحسبه غيرك! قال الراوي: فخرج عمر حتى أتى الحمام (الذي سُمي فيما بعد بحمام عمر) فقبل له: أتري هذا يخفى على المختار! فرجع ليلاً.. فعلم المختار بخروجه فأرسل أبا عمرة وبعث معه رجلين فجاؤوا برأس عمر بن سعد.

واشتد أمر المختار بعد قتل ابن زياد، وأخاف الوجوه، وكان يقول: لا يسوغ لي طعام ولا شراب حتى أقتل قتلة الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته، وما من ديني أترك أحداً منهم حيّاً. وقال: أعلموني من شرك في دم الحسين وأهل بيته.. فلم يكن يأتونه برجل فيشهدون أنه من قتلة الحسين أو ممن أعان عليه، إلا قتله. وذكر الطبري في تاريخه: ((أن المختار تجرد لقتلة الحسين وأهل بيته، وقال: إن المختار قال لهم اطلبوا لي قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض))^(٣).

وذكر بعض المؤرخين أنه عدب قتلة الحسين عليه السلام تعديباً يشابه فعلتهم الإجرامية في كربلاء، حتى أباد - كما قيل - ثمانية عشر ألفاً منهم خلال ثمانية

(١) الأملالي: ص ٢٤٠.

(٢) ذوب النضار: ص ١٤٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٩.

عشر شهراً من حكومته، وهرب الكثير.. فلاحقهم ونكل بهم.

إرجاع بعض الحقوق المغتصبة:

يذكر أن المختار أعاد شيئاً من الحقوق المهتصمة المستلبة من أهل البيت عليهم السلام ومن ذلك (أنه بعث عشرين ألف دينار إلى الإمام السجاد عليه السلام، فقبلها منه وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هُدمت)^(١).

فأعرب المختار الثقفي عن إيمانه وغيرته، وعن ولائه وإخلاصه وهمته.. وفوق هذا حُسن نيّته، وذكره الحسن الذي جرى على لسان أئمتّه.
من أقوال الأئمة عليهم السلام فيه:

١- قال عمر بن علي بن الحسين: ((إنّ علي بن الحسين عليهما السلام لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، فخرّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً))^(٢).

٢- قال الإمام الباقر عليه السلام للحكم ابن المختار: ((رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا))^(٣).

٣- قال الإمام الباقر عليه السلام: ((لا تسبوا المختار؛ فإنه قتل قتلنا، وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة))^(٤).

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام: ((ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام))^(٥).

شهادته:

استشهد (رضوان الله عليه) في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٦٧ هـ، بعدما قاتل مصعب بن الزبير وجيشه أشدّ قتالاً، ودُفن بجوار مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام،

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٣٤٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٤٣.

(٥) المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٣٤٤.

١٦٤الناسبات الدينية

وقبره معروف يُزار، فرحمه الله وأجزل له العطاء، ورُزق شفاعَةَ المصطفى سيّد
الرسال والأنبياء، وشفاعةَ الأئمة الهداة الأمناء عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



مناسبات الشهر

شهر جمادى الأولى



٥هـ ولادة عقيلة الطالبين.. زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام

١٠هـ معركة الجمل

آخر الشهر السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه)



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(٣٣)

كتاب ولادة سنة ٥ جمادى الأولى



المناسبات الدينية لشهر جمادى الأولى

ولادة عقيلة الطالبين.. زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
يزخر تاريخنا الإسلامي الأصيل المرتبط بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بشخصيات عظيمة من النساء اللواتي كان لهنَّ أثر عظيم وبصمات واضحة على صفحات هذا التاريخ الشريف، وذلك لما ضمت تلك الشخصيات بين جوانحها من تقوى وتضحية وصبر وشجاعة فاضت وتدفقت على الأمة فضلاً وكرماً، وكانت زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام أحد أبرز تلك الشخصيات.

بذرة طاهرة:

ولدت العقيلة عليها السلام في الخامس من جمادى الأولى سنة خمسة أو ستة للهجرة، وقيل في أوائل شهر شعبان سنة ستة للهجرة، وقيل غير ذلك.
أبوها أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام، وأمها سيدة نساء العالمين وبضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن هذين الأصلين المقدسين انبثقت هذه البذرة الطاهرة، وقد روي في تاريخ ولادتها أنها لما ولدت، جاءت بها أمها الزهراء عليها السلام إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له: سَمَّ هذه المولودة، فقال عليه السلام: ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله قال: ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرائيل يقرأ على النبي السلام وقال له: سَمَّ هذه المولودة (زينب)، فقد اختار الله لها هذا الاسم.. ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين عليهما السلام.

بيت كريم:

ولما بلغت زينب العقيلة عليها السلام مبالغ النساء، زوجها أمير المؤمنين عليه السلام ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار على صداق أمها فاطمة عليها السلام، أربعمئة وثمانين درهما، ووهبه الصداق من خالص ماله.

وكان عبد الله من الذين اشتهروا بكريم النسب وعمق الإيمان، وعُرف بالسخاء والجود، حتى لُقِّبَ ببحر الجود، وهو أول مولود ولد في الإسلام في أرض الحبشة، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما مات جعفر الطيار، دعا الخالق فخلق رؤوس أبنائه، وقال صلى الله عليه وآله: ((أما محمد فيشبه عمنا أبا طالب، وأما عبد الله فيشبه خلقي وخلقي)) ثم أخذ بيد عبد الله وقال: اللهم اخلف جعفرا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه (ثلاث مرات)، فجاءت أسماء تذكر زوجها جعفرا، فقال صلى الله عليه وآله لها: العيلة تكافئين عليها، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة^(١).

وقد روي أنه قد ولد لزينب العقيلة عليها السلام من الأولاد: عليا وعونا الأكبر وعباسا وأم كلثوم، أما علي - وهو المعروف بالزینبي - ففي ذريته الكثرة والعدد والسلالة الباقية، وأما عون الأكبر فهو من الشهداء الذين قتلوا بين يدي الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وهو مدفون مع آل أبي طالب في الحفيرة مما يلي رجلي الإمام الحسين عليه السلام، وقد قيل إن لزينب عليها السلام من الأولاد أيضا: جعفر الأكبر ومحمداً.

فضل وكرامة:

عاشت زينب العقيلة عليها السلام وترعرعت في كنف بيت طاهر لا يُذكر فيه إلا الله تعالى، ولا يُؤتى فيه إلا الصالحات من الأعمال، بيت أداره علي بن أبي طالب عليه السلام بعلمه وحكمته، وملأت أحناءه فاطمة الزهراء عليها السلام بعطفها وحنانها، ورافقها فيه سيدا شباب أهل الجنة عليه السلام، وحقّ للذي يتربى في مثل هذا البيت أن يكون في أعلى مدارج الكمال الإنساني..

(١) تاريخ الذهبي: ج ٣، ص ٣٥٦.

لذلك جاءت تلك الصديقة الجليلة على درجات عالية من الشرف والكرامة، وورد في حقها الكثير من المناقب والفضائل، حتى لُقِّبت بالصديقة الصغرى، وعقيلة بني هاشم، والموثقة والعارفة والكاملة وعابدة آل علي، وصاحبة الشورى.

قال لها الإمام زين العابدين عليه السلام يوماً: ((أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة))^(١).

وروي أنه قد كان لها نيابة خاصة عن الحسين عليه السلام، وأن الناس كانوا يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين عليه السلام من مرضه^(٢).

علاقة السيدة زينب بأخيها الحسين عليه السلام:

العلاقة الأخوية وروابط المحبة بين زينب والإمام الحسين عليه السلام كانت علاقة وثيقة امتازت بمزايا فريدة، وليس من المبالغة القول بأنه: لا يوجد ولم يوجد في العالم أخ وأخت تربطهما روابط المحبة والود مثل الإمام الحسين وأخته السيدة زينب عليها السلام، وكيف لا يكونان كذلك وقد تربيا في حجر واحد وتفرعا من شجرة واحدة، ولشدة تعلقها بأخيها الحسين فهي منذ صغرها لا تهدأ حتى ترى أخيها الحسين شاخصاً بين عينها!!

فحين ولدتها أمها الزهراء عليها السلام روي ذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا أبتاه أرى شيئاً عجيباً من زينب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وماذا هناك؟ قالت (سلام الله عليها): إن زينب لا تهدأ حتى يدخل الحسين عليه السلام إلى البيت، فإذا دخل فإنها تتجه بنظرها نحوه وتطيل ذلك، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله عند سماعه ذلك وقال: إن جبرئيل أخبرني بما يجري على الحسين وزينب عليهما السلام.

ولما تزوجت السيدة زينب عليها السلام ابن عمها عبد الله بن جعفر (رضوان الله تعالى عليه) ذهب إليها الحسين عليه السلام وقد ضاق صدره من فراقها فطرق الباب

(١) سفينة البحار: ج ٤، ص ٣١٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٣٦٨، نقلاً عن كمال الدين: ص ٥٠١، الباب ٤٥، ح ٢٧.

ودخل، فوجدها نائمة في صحن دارها وقد طلعت عليها الشمس فوقف يظلها فلما أفاقت وجدته واقفا يردد حرارة الشمس عنها فقالت: أخي يا أبا عبد الله تظللني عن حرارة الشمس يا نور عيني ... حفظت زينب عليها السلام هذا الموقف في قلبها حتى كان يوم عاشوراء فوقفت فوق جسده الشريف تظلله عن حرارة الشمس.

فزینب تعرف أباها بأنه سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وتعلم بأن الله تعالى قد أثنى على أخيها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كآية المباهلة، وآية المودة، وآية التطهير، وسورة (هل أتى)، وغيرها من الآيات والسور.

وهكذا يعرف الإمام الحسين عليه السلام أخته السيدة زينب حق المعرفة، ويعلم فضلها وخصائصها، فقد جاء في التاريخ: إن الإمام الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن الكريم - ذات يوم - فدخلت عليه السيدة زينب، فقام من مكانه وهو يحمل القرآن بيده، احتراماً لها.

وقد تجسدت هذه العلاقة بأروع ما يكون في عاشوراء حتى كانت روابط الأخوة بينهما في عاشوراء من أوثق عرى الإيمان والتضحية والفداء ما لا نجد له نظيراً في التأريخ القديم ولا الحديث، وليس ذلك إلا لقوة إيمان كل منهما عليه السلام وكيف لا والحسين سيد شباب أهل الجنة وهي عليها السلام عقيلة الطالبين والهاشميين.

وما زالت هذه العلاقة الأخوية الرائعة تتجدد في نفوسنا كل عام ونعيش معها ونستذكرها ونستلهم منها معنى الأخوة الحميمة، فسلام على تلك الأخت الصابرة التي قلبت بكفيها جسد أخيها غير مدهشة، لم تذهلها الرزايا التي تמיד منها الجبال، فشخصت بصرها إلى السماء؟ وهي تقول بحماسة الإيمان وحرارة العقيدة: اللهم تقبل منا هذا القربان.

علم وعفة وعبادة:

ما عسى الواصف أن يصف العقيلة زينب عليها السلام فيما تمتلكه من عفة وزهادة، وما عسى المادح أن يذكر ما كان يفيض عنها من علم وعبادة، بعد أن ذكر التاريخ أنها لم تكن تفارق صلاتها المستحبة حتى في أحلك الظروف وأصعب الأحوال.

نقل الفاضل القائني، عن مولانا السجاد عليه السلام أنه قال: إن عمتي زينب عليها السلام مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية. وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال.. لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفا واحدا من الخبز في اليوم واللييلة.

وروى الفاضل: أن الإمام الحسين عليه السلام: لما ودّع أخته زينب عليها السلام وداعه الأخير قال لها: يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل.

وروي عن فاطمة بنت الحسين عليها السلام: وأما عمتي زينب عليها السلام فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة أي العاشرة من المحرم في محرابها تستغيث إلى ربها، فما هدأت لنا عين، ولا سكنت لنا رنة^(١).

وللعلامة الشيخ جعفر النقدي قدس سره قصيدة في حق زينب عليها السلام يقول فيها:

ربيبة عصمة طهرت وطابت * وفاقت في الصفات وفي الفعال
فكانت كالأئمة في هداها * وإنقاذ الأنام من الضلال
وكان جهادها بالقول أمضى * من البيض الصوارم والنصال
وكانت في المصلّى إذ تناجي * وتدعو الله بالدمع المذال
ملائكة السماء على دعاها * تؤمن في خضوع وابتهاال
روت عن أمها الزهرا علوما * بها وصلت إلى حد الكمال

(١) زينب الكبرى للنقدي: ص ٨١.

مقاما لم تكن تحتاج فيه * إلى تعليم علم أو سؤال
ونالت رتبة في الفخر عنها * تأخرت الأواخر والأولي
فلولا أمها الزهراء سادت * نساء العالمين بلا جدال

أما في علمها فقد روي أن لها عليها السلام مجلساً في بيتها أيام إقامة أبيها عليه السلام في الكوفة،
تفسر فيه القرآن للنساء، وقد روت أخباراً كثيرة عن أمها الزهراء عليها السلام، كما
روت عن أبيها وأخويها وعن أم مسلمة وأم هانئ وغيرهما من النساء.

أما في عفتها وشدة حجابها، فقد جاء عن يحيى المازني قوله: كنت في جوار
أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه
زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت
إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عليه السلام
عن يمينها والحسين عليه السلام عن شمالها وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من
القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ ضوء القناديل، فسأله الحسن عليه السلام
مرة عن ذلك فقال عليه السلام: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب.

مصائب وأحزان:

تعرضت زينب العقيلة عليها السلام إلى مصائب ومحن وشدائد تشيب لهولها رؤوس
الصبيان، فقد شهدت هذه الصديقة مصرع الأحبة والأولياء واحداً بعد واحد..
منذ شهادة أمها الزهراء عليها السلام مروراً على شهادة أبيها وأخيها الحسن عليه السلام،
وانتهاءً بشهادة أخيها الحسين عليه السلام الذي ألمها فراقه كثيراً، مع ما صاحب ذلك
من سبي وانتهاك حرمة.

ولكنها عليها السلام رغم ذلك، قابلت كل تلك المحن بصبر تلين دونه الجبال،
وشجاعة مستقاة من أبيها عليه السلام، وحلم وحكمة نهلتها من أمها عليها السلام، فكانت
تقف أمام طاغية عصرها تخاطبه بكلام لو سمعه السامع لم يصدق أنه كلام
امرأة فُجعت بمفارقة الأحياء، وسُيبت بين القفار على جمال بغير وطء، حتى
أسكتت بلاغتها كل صوت في مجالس الكوفة والشام، فبلغت حجة أخيها

الحسين ﷺ وأشاعت مصيبتة بين أقطار الأرض، وتركت الناس بين باكٍ وآسفٍ ومتمردٍ وخائفٍ، حتى أرغم الطاغية بإعادة ركب السبايا إلى أوطانهم آمنين.

على أنه لم يهدأ لعقيلة الطالبين ﷺ بعد رحيل أخيها الحسين ﷺ عين، ولم تغب ذكراه عن قلبها المقدس، حتى آن وقت رحيلها إلى الشام - وقد ورد أن رحيلها كان رغماً عنها- حتى إذا وصلت هناك، مرّت بشجرة كان قد علّق عليها رأس الإمام الحسين ﷺ من قبل، فتذكرت تلك الأيام العصيبة، وعادت إليها لواعج الأسى والحزن، فأصيبت بحمى تُوفّيت على إثرها بالقرب من دمشق، وذلك في الخامس عشر من شهر رجب عام ٦٢ هـ، فسلام عليها يوم ولدت، ويوم سُييت، ويوم استشهدت، ويوم تبعث حية.

زيارة العقيلة ﷺ :

السلام عليك يا بنت سلطان الأنبياء، السلام عليك يا بنت صاحب الخوض واللواء، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء، السلام عليك يا بنت خديجة الكبرى، السلام عليك يا بنت سيد الأوصياء وركن الأولياء أمير المؤمنين، السلام عليك يا بنت ولي الله، السلام عليك يا أم المصائب يا زينب بنت علي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك أيتها الفاضلة الرشيدة، السلام عليك أيتها العاملة الكاملة، السلام عليك أيتها الجليلة الجميلة، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها المظلومة المقهورة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك يا تالية المعصوم، السلام عليك يا ممتحنة في تحمل المصائب بالحسين المظلوم، السلام عليك أيتها البعيدة عن الآفاق، السلام عليك أيتها الأسيرة في البلدان، السلام على من شهد بفضلها الثقلان، السلام عليك أيتها المتحيرة في وقوفك في القتلى وناديت جدك رسول الله ﷺ بهذا النداء: صلى عليك ملك السماء، هذا حسين بالعراء مسلوب العمامة والرداء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا.. السلام على روحك الطيبة وجسدك الطاهر،

السلام عليك يا مولاتي وابنة مولاي وسيدتي وابنة سيدتي ورحمة الله وبركاته،
 أشهد أنك قد أقميت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر
 وأطعت الله ورسوله وصبرت على الأذى في جنب الله حتى أتاك اليقين، فلعن الله
 من جحدك ولعن الله من ظلمك ولعن الله من لم يعرف حقك ولعن الله أعداء
 آل محمد من الجن والإنس من الأولين والآخرين وضاعف عليهم العذاب
 الأليم. أتيتك يا مولاتي وابنة مولاي قاصدا وافدا عارفا بحقك فكوني شفيعا
 إلى الله في غفران ذنوبي وقضاء حوائجي، واعطاء سؤلي وكشف ضري، وأن لك
 ولأبيك وأجدادك الطاهرين جاها عظيما وشفاعة مقبولة، السلام عليك وعلى
 آباءك الطاهرين المطهرين وعلى الملائكة المقيمين في هذا الحرم الشريف المبارك
 ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
(٣٤)

الحجامة

١٠ جمادى الأولى



المناسبات الدينية لشهر جمادى الأولى

معركة الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

بعد ثورة المسلمين على عثمان وغضبهم من أسلوب حكمه، اجتمع أهل المدينة، ومن قديم من الأمصار الإسلامية حول بيته، وحاصروه وقتلوه، فقد روى ابن عساکر: إن أعمال عثمان وإيثاره بني أبيه أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وإستبداده بإيفاء نهمته ونهمة آل أمية من أموال المسلمين، وهتكهم حرمة صفوة المسلمين كعبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر، هي التي أوجبت قتل عثمان، ولذا أجمع على قتله عظماء المهاجرين والأنصار، وكان الزبير وطلحة في طليعة المهاجمين عليه الذين حاصروه وقطعوا عنه الماء، وكانت عقيرة أم المؤمنين عائشة مرتفعة بقولها: ((اقتلوا نعتلاً قتله الله))^(١).

وقال ابن اعثم الكوفي: ((وقد كان - أي: عثمان - مطروحاً على مزبلة ثلاثة أيام حتى ذهبت الكلاب بفرد رجليه))^(٢)، وقال الطبري: ((نُبذ عثمان ثلاثة أيام لا يدفن... حتى دُفن في (حش كوكب) فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين))^(٣)، قال الزبيدي: ((والحش: هو المخرج، أو الموضع الذي يتخلى فيه الناس، فإن الناس كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، وحش كوكب: بستان بظاهر المدينة خارج البقيع، لرجل اسمه كوكب))^(٤).

(١) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص ١٩٧.

(٢) كتاب الفتوح: ص ٤٣٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٣.

(٤) تاج العروس: ج ٩، ص ٩١.

والجدير بالذكر أن (حش كوكب) هو مقبرة لليهود، قال السيد العاملي في: ((إن معاوية حاول أن يتخلص من عائلة دفن عثمان في مقابر اليهود، وفي مكان كان حُشاً، فارتكب خطأ فاحشاً بإلحاقه مقبرة اليهود والموضع الذي كان حُشاً بمقابر المسلمين... وبذلك يكون قد كرس ما هو خطأ بنظره بخطأ أكبر وأخطر... لا سيما وأنه صار يفرض على الناس أن يدفنوا موتاهم في موضع يمنع الشارع من دفن المسلمين فيه من جهتين: إحداهما: أنه حش. والأخرى: أنه مقبرة لليهود))^(١).

وأول من سمى عثمان (نعثلا) عائشة، روى ابن أبي الحديد: ((وهذه عائشة أم المؤمنين، خرجت بقميص رسول الله ﷺ فقالت للناس: هذا قميص رسول الله لم يُيل، وعثمان قد أبلى سنته، ثم تقول: اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا))^(٢)، ((وبعد قتل عثمان، وهدوء ثورة المسلمين أحسوا بالفراغ السياسي وحتمية وجود إمام ينظم حياتهم ويسوسها بشكل يختلف عما كان عليه عثمان، فلم يجدوا أجدراً من أمير المؤمنين عليه السلام لإصلاح أوضاعهم، قال سعيد بن المسيب: لما قُتل عثمان جاء الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، حتى دخلوا داره، فقالوا: نبايعك، فمدَّ يدك... فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً عليه السلام، وقالوا: ما نرى أحداً أحقُّ بها منك، فمدَّ يدك نبايعك... إلا أن الإمام عليه السلام امتنع واعتذر عن قبول البيعة، حتى هرع الناس إليه وتزاحموا عنده، وانثالوا عليه، ولاحقوه من مكان إلى مكان وأصروا على أن يبايعوه، وهو عليه السلام يأبى ذلك طيلة خمسة أيام مضت من قتل عثمان))^(٣).

وكان جواب أمير المؤمنين لهم كما نقله المتقي الهندي: ((لا تفعلوا فإني وزيراً لكم

(١) الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام: ج ١٩، ص ٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٢.

(٣) الصحيح من السيرة الامام علي عليه السلام: ج ١٩، ص ٤٥.

خيرٌ لكم مني أميراً، قالوا: والله ما نحن بفاعلين أبداً حتى نبايعك! وتداكروا على يده، فلما رأى ذلك قال: إن بيعتي لا تكون في خلوة إلا في المسجد ظاهراً. فكان أول من بايعه طلحة، ثم بايعه المهاجرون والأنصار^(١)، ولم يتخلف عنه أحد، سوى خمسة أشخاص، بينما لم يبايع أبا بكر في السقيفة الا خمسة أشخاص، وكان الإمام علي عليه السلام الخليفة الوحيد الذي لم يجبر أحداً على بيعته، ففضح بذلك اضهاد مَنْ قبله ومَنْ بعده للمسلمين، ومصادرتهم لحرياتهم!

أول الناكثين للبيعة:

خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد مبايعة الناس له، وأعلن في خطبته الدستور الجديد للحكومة المنتخبة، وهو القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله، وبين الخطوط العريضة لهذه الحكومة، وبعد هذا الإعلان أيقن أصحاب الأطماع أن لا نفوذ لهم في ظل هذه الحكومة، كما أن عدالة الإمام علي عليه السلام وتمسكه بالإسلام لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز وامتلكوا الضياع وبنوا القصور من أموال المسلمين، بل هي تشكل تهديدا لهم ولوجودهم، فنكث قوم البيعة وتمرد آخرون على الخليفة الشرعي ظلما وعدوانا، وكان في طليعتهم طلحة والزبير وعائشة وبنو أمية، وفي تاريخ يعقوبي: ((أناه - أي الى أمير المؤمنين عليه السلام - طلحة والزبير فقالا: إنا نريد العمرة، فأذن لنا في الخروج، وروى بعضهم أن علياً قال لهما، أو لبعض أصحابه: والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة! فلحقا عائشة بمكة فحرضها على الخروج))^(٢).

الانقلاب على الشرعية:

عند رجوع عائشة من مكة الى المدينة لقيها عبد بن أبي سلمه فاخبرها بمقتل عثمان واجتماع الناس على مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: ((والله ليت إن هذه انطبقت على هذه، إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي

(١) كنز العمال: ج ٥، ص ٧٤٩.

(٢) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ١٨٠.

تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أبي سلمه: ولم؟ فوالله إن أول من أمار حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب، عذرٌ والله ضعيف، يا أم المؤمنين، ثم أنشد:

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا: إنه قد كفر
فهنا أظعنك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
وقد بايع الناس ذا تدرء * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت: يا أيها الناس! إن عثمان قتل مظلوما ووالله لأطلبن بدمه^(١). وأخذت هي وطلحة والزبير يجمعون الرجال، ويشترون السلاح والجمال، فتجمع الناكثون في مكة حول عائشة التي نصبت خيمة في حجر إسماعيل!

نحو البصرة:

سارت عائشة إلى البصرة خارجة على إمام زمانها والخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم، وقدم يعلى بن منية بهال من مال اليمن قيل: إن مبلغه أربعمائة ألف دينار، فأخذه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة، وفي طريقهم صادفوا اعرابيا واشتروا منه جملا لعائشة وطلبوا منه أن يكون دليلا لهم فقبل الطلب يقول: فسرت معهم، فلا أمرٌ على واد ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقتنا ماء الحوآب فنبحتنا كلاهما! قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوآب! قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوآب، طروقاً ردوني! تقول ذلك ثلاثاً! فأناخت وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى حتى

(١) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٧٦.

كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب! قال فارتحلوا وشتمونني...^(١) وفي مناقب آل أبي طالب: ((أن عائشة لما سمعت نباح الكلاب قالت أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوآب، قالت إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهية! قد سمعت رسول الله ﷺ وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب؟ وفي رواية الماوردي: أيتكن صاحبة الجمل الأدب تخرج فتنبجها كلاب الحوآب، يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كاد تقتل))^(٢)؟! كما روى ابن عبد البر: ((أيتكن صاحبة الجمل الأدب))^(٣)، كما روى ابن قتيبة قال: ((قالت - أي عائشة - : سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: كأني بإحدكن قد نبجها كلاب الحوآب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء))^(٤).

الغدر من خصال الناكثين:

روى ابن شهر اشوب: ((فلما نزلت - عائشة - الخريبة - وهي المكان الذي كانت فيه وقعة الجمل - قصدهم عثمان بن حنيف (حاكم البصرة من قبل الإمام علي عليه السلام) وحاربهم، فتداعوا إلى الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً أن لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد إلى أن يصل إليهم علي عليه السلام، فقال طلحة لأصحابه في السر: والله لئن قدم علي البصرة لنؤخذن بأعناقنا، فأتوا على عثمان بياتاً في ليلة ظلماء وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة، وقتلوا منهم خمسين رجلاً واستأسروه واتفوا شعر لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه وحسوه، فبلغ ذلك سهل بن حنيف فكتب إليهما: أعطي الله عهداً لئن لم تخلوا سبيله لأبلغن من أقرب الناس إليكما! فأطلقوه، ثم بعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال فقتل أبا سلمة الزطي في خمسين رجلاً، وبعثت عائشة إلى الأحنف تدعوه

(١) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٧٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٣٦.

(٣) الاستيعاب: ص ١٨٨٥.

(٤) الامامة والسياسة: ج ١، ص ٦٠.

فأبى واعتزل بالجلحاء من البصرة في فرسخين، وهو في ستة آلاف))^(١).

الإمام عليّ يغادر المدينة:

وقال ابن شهر آشوب: ((فأمر عليّ سهل بن حنيف على المدينة وقثم بن العباس على مكة، وخرج في ستة آلاف إلى الربذة، ومنها إلى ذي قار، وأرسل الحسن وعمار إلى الكوفة وكتب: من عبد الله ووليه علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب، ثم ذكر فيه قتل عثمان وفعل طلحة والزبير وعائشة... فلما بلغا الكوفة قال أبو موسى الأشعري: يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢)، فسكته عمار، فقال أبو موسى: هذا كتاب عائشة تأمرني أن أكف أهل الكوفة، فلا تكونن لنا ولا علينا، ليصل إليهم صلاحهم، فقال عمار: إن الله تعالى أمرها بالجلوس فقامت! وأمرنا بالقيام لندفع الفتنة فنجلس؟ فقام زيد بن صوحان ومالك الأشتر في أصحابهما وتهددوه... فخرج قعقاع بن عمرو، وهند بن عمر، وهيثم بن شهاب، وزيد بن صوحان، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدي، وابن مخدوج، والأشتر، اليوم الثالث في تسعة آلاف، فاستقبلهم عليّ على فرسخ وقال مرحباً بكم أهل الكوفة وفئة الإسلام، ومركز الدين، في كلام له...، ولقيه عثمان بن حنيف فقال: يا أمير المؤمنين، وجهنتي ذا لحية فأتيتك أمرداً! وقص عليه القصة))^(٣).

البصرة تعلن الولاء:

وخرج إلى عليّ شيعته من أهل البصرة من ربيعة ثلاثة آلاف رجل، وبعث الأحنف إليه إن شئت أتيتك في مائتي فارس فكنت معك، وإن شئت

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٣٧.

(٢) سورة النساء: آية ٩٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٣٦.

اعتزلت بنبي سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف، فاختار عليّ اعتزاله).

الدين النصيحة:

وفي كشف الغمة في معرفة الأئمة: ((وكتب عليّ عليه السلام إلى عائشة: (أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس فخبيريني ما للنساء وقودُ العساكر! وزعمت أنك طالبة بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة! ولعمري إن الذي عرّضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتله عثمان، وما غَضِبْتِ حتى أُغْضِبْتِ، ولا هَجَبْتِ حتى هُيِّجَتِ فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك، واسبلي عليك سترك، والسلام).

فجاء الجواب إليه عليه السلام: يا ابن أبي طالب جَلَّ الأمر عن العتاب، ولن ندخل في طاعتك أبداً، فاقض ما أنت قاض، والسلام))^(١).

الإمام عليه السلام يذكر القوم:

كل ذلك وأمير المؤمنين عليه السلام بين الصفين عليه قميص ورداء وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على بغلة، فلما رأى أنه لم يبقَ إلا مصافحة الصفاح والمطاعنة بالرماح صاح بأعلى صوته: ((أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ؟ فخرج إليه ودنا منه حتى واقفه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقال عليه السلام: أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك! ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله: أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحب علياً؟ فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي، فقال لك: أما إنك ستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟! فقال الزبير: اللهم بلى فقد كان ذلك! فقال علي عليه السلام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي: ج ١، ص ٢٤٠.

محمد ﷺ: أما تذكر يوماً جاء رسول الله ﷺ من عند ابن عوف وأنت معه وهو أخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي ﷺ: مهلاً يا زبير فليس به زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟! فقال الزبير: اللهم بلى، ولكن أنسيت! فأما إذ ذكرتني ذلك فلا تصرفن عنك، ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك! ثم رجعت إلى عائشة فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي أني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي! ثم شق الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام، وكان في ضيافته، فنفذت دعوة علي (عليه السلام) (١) فيه، حيث قال: ((الزبير وقاتله في النار)).

ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) استدعى طلحة بن عبيد الله، فقال له: ((إنما دعوتك يا أبا عبد الله لأذكرك ما قاله رسول الله ﷺ، أما سمعته يقول: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؟) وأنت أول من بايعني، ثم نكثت بيعتك لي، وقد قال الله تعالى فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، فقال: أستغفر الله، وكان أمر الله قدرا مقدورا. فرجع وهو يقول هذه الآيات:

ندمت وظل حمي ولهفي * مثل لهف أبي وأمي
ندمت ندامة الكسعي طلبت * رضا بني جرم بزعمي (٢).

وفي صباح نفس اليوم وقبل نشوب المعركة انهد الركن الثاني لعائشة، حيث بادر مروان إلى تنفيذ خطته في قتل طلحة! قال ابن سعد: ((عن محمد بن سيرين أن مروان اعترض طلحة لما جال الناس بسهم فأصابه فقتله... عن

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي: ج ١، ص ٢٤٠.

(٢) وقعة الجمل لضمير بن شدقم: ص ١٣٨.

عبد الملك بن مروان يقول: لولا أن مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة ما تركت من ولد طلحة أحداً إلا قتلته بعثمان بن عفان))^(١)!

بدء المعركة:

زحف الإمام علي عليه السلام بالناس لقتال القوم، وسار علي عليه السلام إليهم وكان معه سبعائة من الصحابة وفيهم أربعائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدرية، قال المجلسي: ((وعلى ميمته مالك الأشتر وسعيد بن قيس، وعلى ميسرته عمّار بن ياسر وشريح بن هانئ، وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم، وأعطى رايته محمد بن الحنفية، ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم، ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء))^(٢). قال الطبري: ((عن أبي البخري الطائي قال: أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعرجل الجمل فيفتونه ويشمونهم ويقولون: بعرجل أمنا ريحه ريح المسك))^(٣).

ولما رأى [أمير المؤمنين عليه السلام] لوث أهل البصرة بالجمل، وأنهم كلما كشفوا عنه عادوا فلاثوا به، قال لأصحابه: إن هؤلاء لا يزالون يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم، ولو قد عقر فسقط لم تثبت لهم ثابتة، فقصدوا بذوي الجد من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفة، يقال له أعين بن ضبيعة فكشف عرقوبه بالسيف، فسقط وله رغاء، فغرق في القتلى، ومال الهودج بعائشة، فقال علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: تقدم إلى أختك، فدنا محمد، فأدخل يده في الهودج، فنالت يده ثياب عائشة، فقالت: إنا لله، من أنت ثكلتك أمك، فقال: أنا أخوك محمد!^(٤)

(١) الطبقات لابن سعد: ج ٣، ص ٢٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ١٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٥٣٠.

(٤) الأخبار الطوال: ص ١٥٠.

علي عليه السلام والأخلاق:

ونادى أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه: ((لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تنتهبوا مالا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، قال: فجعلوا يمشون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع، فلا يعرض له أحد، إلا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به، والدواب التي حاربوا عليها، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، كيف حلل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم وأموالهم؟! قال علي عليه السلام: ليس على الموحدين سبي، ولا يغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه، فدعوا مالا تعرفون، وألزموا ما تؤمرون))^(١).

وفي تاريخ اليعقوبي: ((وأناها علي عليه السلام، وهي في دار عبد الله بن خلف الخزاعي وابنه المعروف بطلحة الطلحات، فقال: إيهأ يا حميراء! ألم تُنهي عن هذا المسير! فقالت: يا ابن أبي طالب قدرت فاسجح! فقال: أخرجني إلى المدينة وارجمني إلى بيتك الذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقري فيه، قالت: أفعل، فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال، حتى وافوا بها المدينة))^(٢).

علماء السنة يحملون عائشة وطلحة والزبير دماء المسلمين في الجمل:

أجمع الكثير من فقهاء العامة بتحميل عائشة، وطلحة، والزبير، ومروان جريرة ما حدث في الجمل، قال المناوي: ((أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق الحديث والرأي، منهم مالك، والشافعي، وأبو حنيفة، والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين: أن عليا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له))^(٣).

(١) الأخبار الطوال: ص ١٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٣.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج ٦، ص ٤٧٥.

دوافع التمرد:

والشيء المحقق أنه لم تكن للناكثين أية أهداف اجتماعية، وإنما دفعتهم مصالحهم الخاصة، لنكت بيعة الإمام عليه السلام، فبعد أن تقلد الإمام عليه السلام الخلافة الظاهرية طلب طلحة والزبير منه منحهما ولاية البصرة والكوفة، فأبى عليهما أمير المؤمنين عليه السلام، فلما خيب عليه السلام أملهما، أظهر السخط، وأسرع إلى مكة لإعلان الثورة عليه، وتمزيق شمل المسلمين.

وقد أدلى الزبير بتصريح أعرب فيه عن أهدافه، فقد أقبل إليه وإلى طلحة رجل فقال لهما: إن لكما صحبة وفضلاً، فأخبراني عن مسيركما وقاتلكما، أشيء أمركما به رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فسكت طلحة، وأما الزبير فقال: حُذِّثنا أن هَاهُنَا بيضاء وصفراء - أي: دراهم ودنانير - فجننا لناخذ منها.

وأما عائشة فإنها كانت تروم إرجاع الخلافة إلى أسرتها، فهي أول من قدح زناد الثورة على عثمان، وأخذت تلهب المشاعر والعواطف ضده، وقد جهدت على ترشيح طلحة للخلافة، وكانت تشيد به في كل مناسبة، وقد روى ذلك أغلب أهل التاريخ من العامة، ومنهم ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال: ((إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، أقبلت مسرعة، وهي تقول: إيه ذا الإصبع! لله أبوك، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفوا))^(١).

وأما بنو أمية فقد طلبوا من الإمام عليه السلام أن يضع عنهم، ما أصابوا من المال في أيام عثمان، فرفض الإمام عليه السلام أن يضع عنهم، ما اختلّفوه من أموال الأمة، فأظهروا له العدا، وعملوا على إثارة الفتنة والخلاف.

وعلى أي حال، فإنه لم تكن للناكثين نزعة إصلاحية، أو دعوة إلى الحق، وإنما كانت بواعثهم الأنانية، والأطماع، والأحقاد على الإمام عليه السلام، الذي هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب مدينة علمه.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٢١٥.

وقد تحقق قول النبي ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين: قال الذهبي: ((وعن علي بن الحزور، عن الأصبع بن نباتة، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ أنه أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله، مع مَنْ؟ قال: مع علي بن أبي طالب))^(١).
وهكذا طويت صفحة من الباطل، لكن فُتحت صفحات و...

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) ميزان الاعتدال للذهبي: ج ١، ص ٢٧١.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
(٣٦)

وفاة السفير الثاني

محمد بن عثمان العمري
آخر جمادى الأولى



المناسبات الدينية لشهر جمادى الأولى

السفير الثاني

محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه وكنيته ونسبه:

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي، وقد عُرف بالخلّاني، قال حرز الدين: إنه لقب بالخلّاني نسبة لبيعه الخل حيث كان يكتسب به تستراً بالكسب عن ضغط بعض المبغضين من أهل الخلاف، كما كان الشيخ والده عثمان بن سعيد يبيع السمن حتى عرف بالسمان.

وقيل الخلّاني بكسر الخاء فتكون مأخوذة من الخلة، أي: الصداقة والمودعة، فقد عرف الخلّاني بالساحة والوداعة والخُلُق العالي ولم يكن يظهر حقداً على أحد قط، فهو خَلٌّ وصديق وصاحب لكل الناس، فاشتهر عند الناس بالخلّاني. اختلف في كونه من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، وهو من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ونائب الناحية المقدسة، وسفير إمام العصر الحجة بن الحسن المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

ولادته:

لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ومكانها، إلا أنه كان من أعلام القرن الرابع الهجري.

مكانته:

يكفي في سموّ شأنه وعظيم مكانته أن اختاره الإمام المهدي عليه السلام سفيراً ونائباً عنه، مع وجود كوكبة من علماء الشيعة وخيارهم، وكانت له مكانة كبرى عند الشيعة، وقد اجمعوا على عدالته ووثاقته وأمانته.

وكانت الشيعة تحمل إليه الحقوق الشرعية والهدايا ليوصلها إلى الإمام المهدي عليه السلام، كما كانت توقعات الإمام المهدي عليه السلام تخرج على يديه إلى شيعته وخواص

أبيه الإمام العسكري عليه السلام بالأمر والنهي، والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه.

السفارة والسفير:

إن موضوع السفارة.. وهي الوكالة والنيابة في بعض الشؤون عن الإمام عليه السلام، موضوعٌ مرتبطٌ من جهةٍ بعقيدة الإمامة، ومن جهةٍ أخرى مرتبطٌ بأمر الغيبة، وقد أراد الإمامان: الهادي والعسكري عليه السلام أن يُمهّدا للسفارة في غيبة ولدهما المهدي عليه السلام، فكان من ذلك أن عوّدوا الناس على الغيبة أولاً والسفارة ثانياً.. فغابا مدةً محتجبين عن أعين الناس بعد أن عيّنا لهما سفراءً عنهما يُوصلون إليهما رسائل الموالين فيها أسئلتهم وحوادثهم.

ويبدو من بعض النصوص التاريخية أن الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام قد مارسا نظام السفارة من أجل إعداد الشيعة نفسياً لموضوع الغيبة، وربما لهذا السبب يلحظ أن الروايات الصادرة عن الإمامين العسكريين عليه السلام قليلة جداً، وقد تكون الظروف التي قدرها الله تعالى هي التي قادت إلى اتخاذ هذا الحل خوفاً وتقية بعدما اشتدت الأمور عليهما وعلى شيعتهما، فكانت الأقدار هي التي تمهد هذا الأمر للإمام عليه السلام.

وكيف كان فمع بدء عصر الغيبة الصغرى في عام ٢٦٠هـ ابتدأ العمل بنظام السفارة وأصبحت رؤية الإمام عليه السلام غير ممكنة عملياً إلا من قبل أشخاص معينين وهم السفراء الأربعة، عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.

وعليه فيُراد من مُصطلح (السفير) الوساطة بين الشيعة في مختلف الأقطار، وبين الإمام المهدي (عجل الله فرجه) فكانوا يحملون إليه رسائل شيعته ومحبيه وأسئلتهم، ثم يأتون إليهم بالإجابات والتوجيهات الصادرة منه عليه السلام، ومن مهامهم أيضاً أنهم كانوا يستلمون الحقوق الشرعية ويحملونها إلى الإمام عليه السلام، أو يتصرفون بها حسب ما تقتضيه المصلحة.

وقد استمرت سفارة السفراء الأربعة قرابة ٧٠ عاماً، أي من سنة ٢٦٠ وحتى سنة ٣٢٩ هجرية، وهي الفترة التي تُعرف بفترة الغيبة الصغرى.

نيابته وسفارته:

عينه الإمام المهدي عليه السلام سفيراً ثانياً له في عصر الغيبة الصغرى، بعد وفاة والده السفير الأول عثمان بن سعيد العمري، وكانت سفارته من ٢٦٥ هـ إلى جمادى الأولى ٣٠٤ هـ أو ٣٠٥ هـ، وبذلك تكون سفارته أطول السفارات.

انموذجا من مراسلاته:

عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام.

وأما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع فما آتاني الله خير مما آتاكم.

وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقاتون. وأما قول من زعم أن الحسين عليه السلام لم يُقتل فكُفْرٌ وتكذيبٌ وضلالٌ.

وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم.

وأما محمد بن عثمان العمري - رضي الله عنه وعن أبيه من قبل - فإنه ثقتي وكتابه كتابي، ... وأما المتلبسون بأموالنا فمن استحل منها شيئا فأكله فإنما يأكل النيران، وأما الخمس فقد أبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حل إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تحبث، وأما ندامة قوم قد شكوا في دين الله عز وجل على ما وصلونا به فقد أقلنا من استقال، ولا حاجة في صلة الشاكين، وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴿١﴾، إنه لم يكن لأحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج، ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الابصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا باب السؤال عما لا يعينكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى).

من أقوال الأئمة عليهم السلام فيه:

١- قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ((العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان وما قال لك فغني يقولان، فاسمع لهما وأطعمهما فإنهما الثقتان المأمونان، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك))^(١).

٢- قال الإمام العسكري عليه السلام: ((نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلى وأن ابنه محمدا وكيلى ابني مهديكم))^(٢).

٣- قال الإمام المهدي عليه السلام: ((والابن - أي محمد - وقاه الله، لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه، يجري عندنا مجراه، ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل، تولاه الله...))^(٣).

٤- قال الإمام المهدي عليه السلام: ((محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي))^(٤).

رؤيته للإمام المهدي عليه السلام:

قال عبد الله بن جعفر الحميري سمعت محمد بن عثمان العمري (رضي الله

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٣٠.

(٢) الغيبة: ص ٣٥٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٦٢.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٨٥.

عنه) يقول: رأيتَه - الإمام الحجة - (صلوات الله عليه) متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: ((اللهم انتقم لي من أعدائي))^(١).

وقال: ((والله إن صاحب هذا الامر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه))^(٢).

تعزيتَه بوفاء أبيه:

خرج توقيع من الناحية المقدّسة إليه تعزية بوفاء أبيه عثمان بن سعيد (رضوان الله عليه)، وجاء في الكتاب: ((إننا لله وإننا إليه راجعون تسليماً لامره ورضاء بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليه السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم، نضر الله وجهه وأقاله عشرته))^(٣).

وفي كتاب آخر: ((أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئتنا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقواك وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً))^(٤).

وفاته ومرقدُه:

بعد مهامٍ جسيمةٍ وخطيرةٍ أذاها هذا السفير المخلص بكلّ تضحية وأمانةٍ وإخلاصٍ.. كانت وفاته (رضوان الله عليه) في آخر شهر جمادى الأولى سنة أربعٍ وثلاثمائةٍ أو خمسٍ وثلاثمائةٍ للهجرة النبوية الشريفة.

وروي أنّه حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج، ونقش فيه آياتٍ من القرآن الكريم وأساء الأئمة عليهم السلام على حواشيه، وكان في كلّ يومٍ ينزل في قبره ويقراً جزءاً

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٤٠.

(٢) الغيبة: ص ٣٦٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥١٠.

(٤) الغيبة: ص ٣٦١.

من كتاب الله ثم يصعد، وسئل بعد ذلك - كما ينقل العلامة الحلبي في رجاله - فقال: أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين.

قال أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي أنه دخل عليه يوماً ليسلم عليه، فوجده وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها، فسأله عن الساجة فأجابته: هذه لقبري تكون فيه وأوضع عليها (أو قال: أسند إليها).. وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه فأصعد. ثم أخذ العمري بيد الدلال القمي فأراه قبره.

وقبره معروف يُزار في جامع الخلاني، في منطقة الرصافة، بالشارع المؤدي إلى باب الكوفة قديماً، والآن يقع في (محلة الخلاني) نسبة إليه والى مرقد الطاهر، وهو أحد المراكز الشيعية في بغداد، واليوم يطل مرقد على شارع الجمهورية العام، ويقع في منطقة تجارية مزدحمة، وله جمالية خاصة يلاحظها الرائي من بعيد. وله حرم مجلل بجانبه جامع عامر بالمصلين، وفيه مكتبة عامرة ذات كتب قيمة تعرف بمكتبة الخلاني العامة تأسست سنة ١٣٦٤ هـ، تدار برعاية بعض أهل الفضل وفي هذا الجامع ألقى الشيخ الوائلي الكثير من محاضراته القيمة.

إعمار المرقد الشريف:

تم اعمار المرقد أكثر من مرة ففي سنة ١٣٤٩ هـ جدد مرقده وجامعه، وعلى أعلى المرقد كتب على الكاشي القاشاني: جددت قبة وحرمة الشيخ محمد بن سعيد بن عثمان العمري الخلاني... من قبل المتبرع الحاج إبراهيم بن حسن بن وهيب الحمادي عام ١٣٩١-١٩٧١.

معبد شرفه الله بقبر * خد فيه نائب المهدي محمد شاده زيدان في جد ومال * وأخوه القاسم الشهم المجد عمراه عمّر الرحمن قصراً * لهما في جنة الخلد مخلد منذ أتاهم بناءً أرخاه * معبد أسس في ذكرى محمد

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



مناسبات الشهر

شهر جمادى الثانية



١٣هـ وفاة أم البنين عليها السلام

١٩هـ تزويج عبد الله من أمّنة



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٣٧

وفاة ١٣ جمادى الآخرة الحسين عليه السلام

السلام عليك يا أم البنين
السلام عليك يا زوجة أمير المؤمنين
السلام عليك يا خادمت الحسين ورضين
السلام عليك يا أم العباس وإخوته
ورحمة الله وبركاته



المناسبات الدينية لشهر جمادى الثانية

وفاة أم البنين عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

مُقَدِّمَةٌ:

لما كانت الحياة الدنيا مزرعة الآخرة والناس إنما يتنافسون فيها بقدر جهدهم وجهادهم، لذا ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، ومن الواضح أنه لا يختلف الحال في ذلك بين المرأة والرجل، هذا حال العمل الأخرى، وكذلك جرت سنة الله في الحياة الدنيا أن الله لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، فنجد النجاح حليف العاملين المجدين، ويورثهم ذكراً عطراً في الدنيا ومثوبة في الآخرة إن قصدوا به وجهه الله تعالى، وعلى هذا الأساس يمكن للمرأة أن تتفوق على الرجل في ميادين المعرفة والعمل والتقوى والجهاد وغير ذلك، فتصل إلى ما يعجز الرجل عن الوصول إليه، ولذلك أمثلة كثيرة كمریم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، والسيدة خديجة الكبرى، والصديقة فاطمة الزهراء (عليهن السلام)، ومن هذه النساء أيضاً السيدة الجليلة أم البنين عليها السلام، حيث يظهر ذلك جلياً من خلال مواقفها العظيمة مع أهل البيت عليهم السلام، وسيرتها العطرة التي تستحق أن تُكتب بماء الذهب وتُرصع باللؤلؤ والمرجان، لتكون دستوراً تسير عليه النساء والرجال على حدٍ سواء، وليس ذلك إلا لأنها تاجرت مع الله تعالى في الحياة ففازت برضوانه وقربه، ومحبة أوليائه الطاهرين محمد وآله عليهم السلام.

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

ولادتها:

كانت ولادتها - على الأرجح - في السنة الخامسة للهجرة الشريفة.

نسبها الشريف:

هي فاطمة بنت حزام، وكنيته (أبو المحل)، ابن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب.

وأما ثمامة بنت سهل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، فهي ترجع بنسبها من جهة الأب والأم إلى بني كلاب، وهم من قبائل العرب الأقحاح من بني عامر بن صعصعة، الشهيرة بالشجاعة والفروسية.

هذه المرأة الصالحة، كريمة قومها، وعقيلة أسرتها، فهي تنتمي لأشرف القبائل العربية، وأجمعهم للمآثر الكريمة، فأهلها من سادات العرب وأشرفها وزعمائها، وهم أبطال مشهورون، فمنهم: عامر بن الطفيل، الذي ضمّ إلى جانب الكرم والسخاء النجدة والفروسية، ومنهم: أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جدّ ثمامة والدة أم البنين، وهو الجدّ الثاني لأم البنين، وكان يقال له: (ملاعب الأستة) لفروسيته وشجاعته، فقومها ورهطها من الأعمام والأخوال يتمتعون بكلّ خصلة فاضلة جليّة، وقد حباها الله كذلك مجدداً وشرفاً لاحقاً جاءها بعد زواجها من أسد الله وأسد رسوله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكانت بذلك أفضل امرأة - من غير البيت النبوي الشريف - تحوز على الشرف والمجد والرفعة من كلّ جانب.

كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام، مخلصّة في ولائهم، محضّة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحل الرفيع، بعد توضيحاتها الجسام في واقعة كربلاء، وخدمتها المخلصّة لأمير المؤمنين عليه السلام في رعاية أبنائه الكرام، بعد وفاة أمهم فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد كان زواجها من أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد السنة الرابعة والعشرين من الهجرة الشريفة، بعد إمامة بنت زينب ربيبة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.

رؤيا حزام:

كان حزام بن خالد بن ربيعة في سفر له مع جماعة من بني كلاب، وقد نام في ليلة من الليالي فرأى فيما يرى النائم كأنه جالس في أرض خصبة وقد انعزل في ناحية عن جماعته ويده ذرة يُقَلِّبُها وهو متعجب من حُسْنِها ورونقها وإذا يرى رجلاً قد أقبل إليه من صدر البرية على فرس له فلما وصل إليه سلّم فرد عليه السلام ثم قال له الرجل بكم تبيع هذه الدرة - وقد رآها في يده - فقال له حزام إني لم أعرف قيمتها حتى أقول لك ولكن أنت بكم تشتريها فقال له الرجل وأنا كذلك لا أعرف لها قيمة ولكن أهدها إلى أحد الأمراء وأنا الضامن لك بشيء هو أغلى من الدراهم والدنانير، قال ما هو؟ قال اضمن لك بالخطوة عنده والزلفى والشرف والسؤدد أبد الأبدین، قال حزام أتضمن لي بذلك؟ قال نعم، قال: وتكون أنت الواسطة في ذلك؟ قال وأكون أنا الواسطة أعطني إياها فأعطاه إياها.

فلما انتبه حزام من نومه قصَّ رؤيته على جماعته وطلب تأويلها فقال له أحدهم: إن صدقت رؤيتك فإنك تُرزق بنتاً يخطبها منك أحد العظماء وتنال عنده بسببها القربى والشرف والسؤدد.

المولد المبارك:

فلما رجع من سفره، وكانت زوجته ثمامة بنت سهيل حاملاً بفاطمة أم البنين، وصادف عند قدومه من السفر أن وضعت فبشروه بذلك فتهلّل وجّهه فرحاً وسرّاً بذلك، وقال في نفسه قد صدقت الرؤيا، فقيل له ما نُسِمَ بها؟ فقال لهم: سمّوها (فاطمة)، وكُنيت فاطمة بنت حزام بأم البنين على كنية جدتها من قبل آباء الأم وهي: ليلي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

اختيار وانتقاء:

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل عليه السلام وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم: ((أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها

فتلدني غلاماً فارساً فقال له: تزوج أم البنين الكلاية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها. فتزوجها^(١).

دخول أم البنين إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام:

عُرفت أم البنين عليها السلام بالوفاء للزهراء عليها السلام وعرفانها لمقامها العظيم، وكونها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأنه لا يمكن أن يُقاس بها من هذه الأمة بل ولا من كل الأمم أحد.

ويتجلى هذا الأمر في قول أم البنين عليها السلام للحسن والحسين وزينب عليها السلام، ليلة زفافها من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (أنا ما جئت هنا لأحل محل أمكما فاطمة، ثم اختنقت بعبرتها وقالت: أنا هنا خادمة لكم، جئت لخدمتكم، فهل تقبلون بهذا وإلا فيني راجعة إلى داري)، فرحب بها الحسن والحسين وزينب عليها السلام وقالوا لها: (أنتِ عزيزة كريمة وهذا بيتك)، ولقد كانت تلقي إليهم من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهم، وتخضع لهم كالأم الحنون.

أولادها:

رزقت من أمير المؤمنين عليه السلام أربعة بنين: وهم العباس (أبو الفضل)، وعبد الله، وجعفر، وعثمان.. استشهدوا جميعاً تحت راية الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وكانوا آخر من قتل، وآخرهم أفضلهم وهو أكبرهم أيضاً العباس عليه السلام حامل لواء أخيه الحسين عليه السلام، وساقى عطاشى كربلاء.

ما جاء في سمو شخصيتها:

تمتاز هذه المرأة النبيلة الصالحة، بالفضل والعفة، والصيانة والورع والأخلاق الفاضلة وهذا ما يتجلى بوضوح في المواقف التي تنقل عنها والتي منها: لما دخلت بيت أمير المؤمنين عليه السلام كانت ترعى أولاد الزهراء عليها السلام أكثر مما ترعى أبناءها، وتؤثرهم على أولادها؛ تعويضاً لما أصابهم من حزن، وفقدان

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٧.

حنان لموت أمهم الزهراء عليها السلام.

قالت يوماً إلى أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا الحسن: نادني بكنيتي المعروفة (أم البنين)، ولا تذكر اسمي (فاطمة)، فقال لها الإمام عليه السلام: لماذا؟ قالت: أخشى أن يسمع الحسنان، فينكسر خاطرهما، ويتصدّع قلبهما لسماع ذكر اسم أمهما (فاطمة)، فأبي امرأة جليلة مؤمنة، صابرة صالحة وقور هذه المرأة طيب الله ثراها، ونور ضريحها، لذا صار لها جاه عظيم، وشأن كريم عند الله، وعند رسوله، وأهل بيته الغر الميامين، فما توجه إنسان إلى الله العلي العظيم وسأله بحقها إلا قُضيت حاجته، ما لم تكن محرمة، أو مخالفة للمشيئة الإلهية.

ومن باب عرفان الجميل ومقابلة الإحسان بمثله فقد ورد: أن الزهراء عليها السلام تُخرج يوم الحشر من تحت عباها كفين مقطوعين، وهما كفا أبي الفضل العباس عليه السلام وتقول: يا عدل يا حكيم، احكم بيني وبين مَنْ قطع هذين الكفين.

وأما ما ورد في شأن عبادتها وصلاتها، وتوجهها إلى الله، وتفويض الأمر إليه، فهو شيء جليل مهم في سلوك هذه المرأة الحرّة الشريفة الكريمة، ذات الجذر الكريم الأصيل في شتى المكارم والفضائل والسجايا الطيبة، لقد كانت أم البنين القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يُتذى به، وكانت عنواناً للثبات والإخلاص، والبسالة والتضحية، والفداء والشرف، والعزّة والكرامة في سبيل الحق والعدالة، هذه السيّدة المصون ما إن بلغها مقتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى خنقتها العبرة، فكانت تبكي بكاء الشكالي، صباح مساء، تعبيراً عن مشاعرها وأحزانها.

وثمة شيء ينبغي أن يعرف، وهو أنه قد كان لسعة اطلاعها في الأمور، وإخلاصها الكبير، وماضيها المجيد، أثر حاسم في تعلق الناس بها، وثقتهم ومحبتهم التي لا حد لها بشخصها، فاستطاعت بحكمتها وصرها، وبعد نظرها التغلب على كل الصعاب.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على حنكتها وجلدها، ومعدنها الأصيل ضمن إطار الأخلاق العربية، والتربية الإسلامية الأصيلة، وتقاليدها في التعامل مع الجمهور في احترامها لهم؛ لأنّ المرأة عظيمة المنزلة عند أمير المؤمنين عليه السلام في العلم والحلم، والمعارف والصلاح، عظيمة المنزلة عند الناس. ويظهر للمتتبع لأخبار أمّ البنين إنّها كانت مخلصه لأهل البيت عليهم السلام، متمسكة بولايتهم، عارفة بشأنهم، مستبصرة بأمرهم.

بعد واقعة الطف ورجوع الآل إلى المدينة:

لما رجع ركب آل محمد صلى الله عليه وآله بعد واقعة الطف إلى المدينة المنورة تلقّت أمّ البنين الناعي بشر بن حذلم بعد وروده المدينة ينعى الحسين عليه السلام وأصحابه تسأل عن الحسين عليه السلام فتعجب من سؤالها فكيف تسأل عن الحسين عليه السلام وهو ينعاها لذلك سأل عنها، فقالوا له إنّها أمّ البنين، فقال يحق لها أن تفعل ذلك وأخذ ينعى إليها أولادها الأربعة فقالت له: قطّعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ولما دخلت نساء أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة بعد قتل الحسين عليه السلام والرجوع من السبي أقمن العزاء في بيتها، فلمّا دخلت السيّدّة زينب عليها السلام، والتقت نظراتها بنظرات أمّ البنين صاحت: وا أخاه! وعباساه! فأجابتها أمّ البنين: وا ولداه! واحسيناه!

ولم تكن أمّ البنين قد حضرت كربلاء لكنّ حزنها لم ينقطع على الحسين وإخوته عليهم السلام وكانت تذهب كل يوم إلى البقيع ترثيهم بتفجّع حتى إنّ مروان على قساوة قلبه كان يبكي لرثائها، وكانت تخاطب النساء اللاتي ينادينها أمّ البنين: (لا تدعوني ويك أمّ البنين...)، ولم يخبّ أنينها حتى فارقت الدنيا بلوعة.

وفاتها رضوان الله عليها:

توفيت أمّ البنين في الثالث عشر من جمادى الآخرة، فسلام عليها حين ولدت، وحين توفيت، وحين تبعث شاكية باكية ما وقع عليها من الظلم.

زيارتها (رضوان الله عليها):

زيارة قبر السيدة أم البنين لها أجر وثواب عظيم، فإن زيارة قبور المؤمنين والمؤمنات لها أجر كبير، وقد ورد التأكيد عليها في الروايات الشريفة، فكيف بزيارة مثل قبرها عليها السلام، وإليك نص الزيارة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدِي شَبَابِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْبَدُورِ السَّوَاطِعِ فَاطِمَةَ بِنْتَ حِزَامِ الْكَلَابِيَّةِ
الْمُلْقَبَةِ بِأُمِّ الْبَنِينَ وَبَابِ الْحَوَائِجِ، أَشْهَدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنَّكَ جَاهَدْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ
ضَحَيْتِ بِأَوْلَادِكَ دُونَ الْحُسَيْنِ بْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَبَدْتِ اللَّهَ مُخْلِصَةً لَهُ الدِّينَ
بِوَلَائِكَ لِلْأُمَّةِ الْمَعْصُومِينَ وَصَبَرْتِ عَلَى تِلْكَ الرِّزِيَةِ الْعَظِيمَةِ وَاحْتَسَبْتِ ذَلِكَ
عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَزْرَتِ الْإِمَامَ عَلِيًّا فِي الْمِحْنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ وَكُنْتِ
فِي قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ وَأَنْكَ أَحْسَنْتِ الْكِفَالََةَ وَأَدَيْتِ الْأَمَانَةَ الْكُبْرَى فِي حِفْظِ
وَدِيْعَتِي الزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ ((الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ)) وَبَالَغْتِ وَأَثَرْتِ وَرَعَيْتِ حُجَجَ اللَّهِ
الْمِيَامِينَ وَرَغَبْتِ فِي صَلَاةِ أَبْنَاءِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَارِفَةً بِحَقِّهِمْ مُؤْمِنَةً بِصِدْقِهِمْ
مُشْفِقَةً عَلَيْهِمْ مُؤَثَّرَةً هَوَاهُمْ وَحُبَّهُمْ عَلَى أَوْلَادِكَ السُّعْدَاءِ فَسَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا
سَيِّدَتِي يَا أُمَّ الْبَنِينَ مَا دَجَى اللَّيْلُ وَغَسَقَ وَأَضَاءَ النَّهَارُ وَأَشْرَقَ وَسَقَاكَ اللَّهُ مِنْ
رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ فَصِرْتِ قِدْوَةً لِلْمُؤْمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ
لَأَنَّكَ كَرِيْمَةُ الْخَلَائِقِ عَالِمَةٌ مُعَلِّمَةٌ نَقِيَّةٌ زَكِيَّةٌ فَرَضِي اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ وَلَقَدْ
أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ الْبَاهِرَاتِ حَتَّى أَصْبَحْتِ بِطَاعَتِكَ اللَّهُ وَلِوَصِيِّ الْأَوْصِيَاءِ
وَحَبْلِكَ لِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ ((الزَّهْرَاءِ)) وَفِدَائِكَ أَوْلَادِكَ الْأَرْبَعَةَ لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ بَابًا
لِلْحَوَائِجِ فَاشْفَعِي لِي عِنْدَ اللَّهِ بِغُفْرَانِ دُونُوبِي وَكَشْفِ ضُرِّي وَقَضَاءِ حَوَائِجِي
فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَأْنًا وَجَاهًا مُحْمُودًا وَالسَّلَامُ عَلَى أَوْلَادِكَ الشُّهَدَاءِ الْعَبَّاسِ قَمَرِ

بَنِي هَاشِمٍ وَبَابِ الْحَوَائِجِ وَعَبْدَ اللَّهِ وَعُثْمَانَ وَجَعْفَرَ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا فِي نَصْرَةِ
الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَاءَ وَالسَّلَامُ عَلَى ابْنَتِكَ الدُّرَّةِ الزَّاهِرَةِ الطَّاهِرَةِ الرَّضِيَّةِ خَدِيجَةَ
فَجَزَاكَ اللَّهُ وَجَزَاهُمْ اللَّهُ ((جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا)) اَللّٰهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٣٧

تزيين

عبره

عليها
من آمنة

١٩ جمادى الآخرة



المناسبات الدينية لشهر جمادى الثانية

تزويج عبد الله من آمنه ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين. كان الغالب على مجتمعات الجزيرة العربية قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها صفة الفقر في العيش، والشدة في التعامل، فقد كانوا يعتمدون في تحصيل معاشهم على الغارات والنهب والحروب، وكانوا يعبدون الأوثان، إلا قليل منهم كان على دين الحنفية.

إن آباء النبي ﷺ كانوا موحدين مؤمنين بالرسالات السماوية، متمسكين بشريعة إبراهيم ﷺ، نقل الشيخ الصدوق عن الأصبع بن نباتة (رحمه الله) قال: سمعت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول: (والله ما عبد أبي ولا جدي عبدُ المطلب ولا هاشمٌ ولا عبدُ منافٍ صنماً قط! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم ﷺ متمسكين به)^(١).

وقد أوضح حال العرب قبل البعثة الإمام أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له حيث قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ - وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ - وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ - مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشِنَ وَحَيَاتٍ ضُمَّ - تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ - وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ - الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ)^(٢)، ولكن نلاحظ أن في هذا المجتمع المملوء بالانحرافات وغيرها كانت هناك بيوتات وأسر عُرِفَت بالسجايا الطيبة والأخلاق الفاضلة، وقد تربع على قمتها بيت هاشم جد النبي ﷺ، فقد كان يدعى القمر ويسمى زاد الركب^(٣)، وهو - هاشم - أول من

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ١٧٤.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص ٦٨.

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٢٥.

سنَّ الرحلتين لقريش، وقد ورثَ هذه المنزلة أبناءه من بعده وبالأخص ولده عبد المطلب (رحمه الله)، أورد ابن الأثير: (وكان يقال لهاشم والمطلب: البدران لجمالهما)^(١). ومن الجدير بالذكر أن الانسان عندما يعيش في مجتمع غير قائم على العلاقات الإنسانية ويسوده الانحراف ومع كل ذلك تجده يتمتع بالأخلاق الطيبة والسجايا الكريمة، فهذا كاشف عن فضل هذا الإنسان وعظمته، وهكذا كان أجداد رسول الله ﷺ، فهذا أمير الكلام والبلاغة يصف لنا أجداد النبي الأعظم ﷺ وأرد ابن ميثم البحراني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((فَأَسْتَوْدَعُهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلْفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمُعَادِنِ مَنِتًى، وَأَعَزَّ الْأَرْوَمَاتِ مَغْرَساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمْنَاءُهُ عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ، فَهُوَ إِمَامٌ مَنْ اتَّقَى وَبَصِيرَةٌ مَنْ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمَعُهُ سِيرَتُهُ الْقُضْدُ، وَسُنَّةُ الرُّشْدِ وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَعَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ))^(٢).

عبد المطلب ونور النبوة

كان عبد المطلب يحمل نور النبي ﷺ، وقد لاحظ ذلك اليهود والكهَّان والملوك أمثال سيف بن ذي يزن ملك اليمن وغيرهم، ثم انتقل هذا النور إلى ولده عبد الله عليه السلام، وكان النبي ﷺ يفتخر بجده عبد المطلب في مواضع عدة، منها: في معركة حنين فقد ذكروا عند فرار المسلمين عنه، أنه افتخر بجده عبد المطلب، نقل العلامة المجلسي: ((رسول الله ﷺ وصلت سيفه في المجتلد، وهو

(١) الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٣٩٥.

على بغلته الدلدل، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب^(١).

أبناء عبد المطاب والذبيح منهم:

روى الصدوق في (الخصال) بسنده عن الصادق عن أبيه عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ((سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولد عبد المطلب فقال: عشرة والعباس، يعني: أحد عشر رجلاً، ثم قال الصدوق: أسنهم الحارث - وبه كان يكنى عبد المطلب - وعبد العزى وهو أبو لهب، وأبو طالب - وهو عبد مناف - وضرار، والزبير، والغيداق، والمقوم، والحجل، وحمزة، والعباس، وعبد الله، والد النبي صلى الله عليه وآله)^(٢).

عبد الله عليه السلام ثاني الذبيحين: والد النبي صلى الله عليه وآله عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ثاني الذبيحين! مع تقديس العرب لإبراهيم عليه السلام وللكعبة، فقد اعتنقوا الوثنية وعبادة الأصنام وأشهرها هبل واللات والعزى ومناة، حتى ذبح ملك المناذرة أسيره ابن ملك الغساسنة قرباناً لصنم العزى! وفي ذلك الظرف نذر عبد المطلب (رحمه الله) إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم لله تعالى، قرباناً للكعبة، وعندما تم له عشرة أولاده اقترع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله، فعزم أن يذبحه فأمره الله تعالى أن يفديه بقربان من الإبل، فاقترع فجاءت القرعة على مئة من الإبل، فكانت قصته كقصة جده إبراهيم وإسماعيل عليه السلام، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: أنا ابن الذبيحين، يقصد إسماعيل وعبد الله عليه السلام^(٣).

نسبه الشريف:

عبد الله بن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد، بن هاشم، واسمه عمرو، بن

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٧٩.

(٢) الخصال: ٤٥٢.

(٣) جواهر التاريخ للشيخ الكوراني: ج ١، ص ٩٤.

عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد، ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١).

زوجته: أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

الزواج المقدس:

كان أعداء الله من اليهود وغيرهم يعرفون علائم النبوة، وقد عرفوا أن النبي الموعود من صلب عبد الله، فأخذوا يخططون لقتله، وكان جده عبد المطلب عليه السلام يخشى عليه منهم، وذات يوم خرج عبد الله عليه السلام إلى خارج مكة فلحقه جمع من اليهود لاغتiale، فدافع عن نفسه وقتل منهم جماعة، وقد رأى ذلك وهب بن عبد مناف من بني زهرة-والد أمنة عليها السلام - فأخبر عبد المطلب بذلك، فأنقذوا عبد الله من كيد اليهود، قال العلامة المجلسي في بحاره: ((فلما كان في تلك الليلة أقبل وهب على زوجته برة بنت عبد العزى وقال لها: يا برة لقد رأيت اليوم عجا من عبد الله ما رأيت من أحد، وهو يكر على هؤلاء القوم، وكلما رامهم بنبله قتل منهم إنسانا، وهو أجمل الناس وجها مما خصه الله تعالى من الضياء الساطع، فامضي إلى أبيه واخطبيه لابنتنا واعرضيها عليه، فعسى أن يقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة، قالت له يا وهب: إن رؤساء مكة وأبطال الحرم وأشرف البطحاء قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك، وقد كاتبه ملوك الشام والعراق على ذلك فأبى عليهم، فكيف يتزوج بابنتنا وهي قليلة المال؟ قال لها: إن لي عليهم اليد، إنني أخبرتهم بأمر عبد الله مع اليهود، ثم إن برة قامت ولبست أفخر أثوابها وخرجت حتى أتت دار عبد المطلب فوجدته يحدث أولاده بالخبر، فقالت: أنعم الله مساءكم، ودامت نعماءكم، فرد عليها عبد المطلب التحية والاكرام، وقال لها: لقد سلف لبعلك اليوم علينا يد لا

نقدر أن نكافيه أبداً، وله أياد بالغة بذلك، وسنجازيه بما فعل إن شاء الله تعالى، فطمعت برة في كلامه، ثم قال: بلغني بعلك عنا التحية والإكرام وقولي له: إن كان له لدينا حاجة تقضى إن شاء الله مهما كانت، فقالت له برة: يا أبا الحارث قد طلبنا تعجيل المسرة، وقد علمنا أن ملوك الشام والعراق وغيرهم تطاولت إليكم، وقد رغبوا في ولدكم يطلبون أولادكم وأنواركم المضيئة، ونحن أيضاً طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، ورجوناه مثل من رجا، وقد رجا وهب أن يكون عبد الله بعلاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين وراغبين في النور الذي في وجه ولدكم عبد الله، ونسألکم أن تقبلونا، وهي هدية منا لابنك عبد الله، فلما سمع عبد المطلب كلامها نظر إلى ولده وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع، وقال أبوه: ما تقول يا بني فيما سمعت؟ فوالله ما في بنات أهل مكة مثلها، لأنها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة، عاقلة دينة، فسكت عبد الله ولم يرد جواباً، فعلم أبوه أنه قد مال إليها، فقال عبد المطلب: قد قبلنا دعوتكم، وأجبنا ورضينا بابتكم، قالت فاطمة زوجة عبد المطلب: أنا أمضي معك إليها حتى أنظر إلى آمنة، فإن كانت تصلح لولدي رضينا بها، فرجعت برة مسرورة بما سمعت، ثم سارت إلى زوجها مسرعة وبشرته وسمعت أم آمنة هاتفاً في الطريق يقول: (بخ بخ لكم يا معشر أهل الصفا، قد قرب خروج المصطفى)، فدخلت على زوجها فقال: وما وراءك؟ قالت: لقد سعدت سعادة علا قدرك في جملة العالمين، اعلم أن عبد المطلب قد رضي بابتك، فقال لها وهب بن عبد مناف: أخرجني هذه الساعة إلى ابنتك وزينيتها، فعمدت برة إلى بنتها وألبستها أفخر ما عندها من الثياب، وقالت لها: يا ابنتي إذا أتتك فاطمة فتأدي لها أحسن الأدب، وارغبني في النور الذي في وجه ولدها عبد الله، فبينما هما في ذلك إذ أقبلت فاطمة وخرج وهب من المنزل، وإذا بعبد المطلب فأدخلوا فاطمة، فقامت لها آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحبت بها أحسن المرحب، فنظرت إليها فاطمة وإذا بها قد

كساها الله جمالا لا يوصف، فلما رأت فاطمة ذلك الحسن والجمال وقد أضاء من نور وجهها ذلك المجلس، قالت فاطمة: يا برة ما كنت عهدت أن آمنة على هذه الصورة ولقد رأيتها قبل ذلك مرارا، فقالت برة: يا فاطمة كل ذلك بركتكم علينا، ثم خاطبت فاطمة آمنة وإذا هي أفصح نساء أهل مكة، فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطلب وعبد الله، وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبدا، ولقد ارتضيتها، وإن الله تعالى لا يودع هذا النور إلا في مثل هذه، ولما وقع الحديث بين وهب وبين عبد المطلب في أمر ابنته آمنة، قال وهب: يا أبا الحارث هذه آمنة هدية مني إليك بغير صداق معجل ولا مؤجل، فقال عبد المطلب جزيت خيرا ولا بد من صداق، ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا،..... فلما طلع الفجر أرسل عبد المطلب إلى بني عمه ليحضروا خطبتهم، ولبس عبد المطلب أفخر أثوابه، وجمع وهب أيضا قرابته وبني عمه فاجتمعوا في الأبطح، فلما أشرف عليهم الناس قاموا إجلالا لعبد المطلب وأولاده، فلما استقر بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح، وقام عبد المطلب فيهم خطيبا، فقال: (الحمد لله حمد الشاكرين، حمدا استوجه بما أنعم علينا وأعطانا، وجعلنا لبيته جيرانا، ولحرمه سكانا، وألقى محبتنا في قلوب عباده، وشرفنا على جميع الأمم، ووقانا شر الآفات والنقم، والحمد لله الذي أحل لنا النكاح، وحرم علينا السفاح، وأمرنا بالاتصال وحرم علينا الحرام، اعلموا أن ولدنا عبد الله هذا الذي تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجل ومؤجل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلك من ولدنا؟ قال وهب: قد رضينا منكم، فقال عبد المطلب: اشهدوا يا من حضر، ثم تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا، وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة، دعا فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها، فأقام الناس في مكة أربعة أيام^(١))، وفي التاسع عشر من جمادى الآخرة كان الزواج الميمون واجتمع النور مع النور.

قال يعقوبي في تاريخه: ((وبعد حفر زمزم بعشر سنين، وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة كان تزويجه بأمنة بنت وهب، وكان سنه يوم تزويجها أربعاً وعشرين سنة، وروى يعقوبي عن الصادق عليه السلام: أنه كان بين تزويج أبي رسول الله بأمه وبين مولده عشرة أشهر))^(١).

آباء النبي ﷺ:

ذكر السيد جعفر العاملي في كتابه الصحيح من السيرة: ((تفرد مذهب أهل البيت عليهم السلام بأن آباء النبي ﷺ كلهم مؤمنون، قال أبو حيان الأندلسي: ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي ﷺ كانوا مؤمنين). أما غير الإمامية فذهب أكثرهم إلى أن آباء النبي ﷺ كانوا كفاراً، ويستدل لما ذهبت إليه الإمامية بالخطب والأشعار الكثيرة التي أثرت عنهم التي فيها ذكر الله تعالى وتصريح بالتوحيد ونبوة إبراهيم، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك، ثم أن السيد العاملي قال: ويمكن أن يستدل على إيمان آباءه ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى حكاية لقول إبراهيم وإسماعيل:

﴿وَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾^(٢)، مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾^(٣)، أي: في عقب إبراهيم، فيدل على أنه لا بد أن تبقى كلمة الله في ذرية إبراهيم، ولو في واحدٍ واحدٍ، على سبيل التسلسل المستمر فيبقى أناس منهم على الفطرة، يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة، ولعل ذلك استجابة منه تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾^(٥)، ومن الواضح: لو أنه تعالى قد استجاب لإبراهيم في جميع ذريته لما كان أبو لهب من أعظم المشركين،

(١) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٧.

(٢) سورة البقرة: آية ١٢٨.

(٣) سورة الزخرف: آية ٢٨.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٣٥.

(٥) سورة إبراهيم: آية ٤٠.

وأشدهم على رسول الله ﷺ، وهذا ما يفسر الإتيان بـ(من) التبعيضية في قوله: ((وَمِن ذُرِّيَّتِي))^(١).

فعلى هذا فإن آباء النبي ﷺ كانوا موحدين مؤمنين بالرسالات السماوية، متمسكين بشريعة إبراهيم عليه السلام، وقال اليعقوبي في تاريخه: إنه - عبد المطلب - كان يوحد الله عز وجل، وقد رفض عبادة الأصنام، وسن سننا سننها رسول الله ﷺ ونزل بها القرآن، وهي: الوفاء بالنذر، ومائة من الإبل في الدية، وأن لا تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحد عليه، والقرعة، وأن لا يطوف أحد بالبيت عريانا، وإضافة الضيف، وأن لا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات فكانت قريش تقول: عبد المطلب إبراهيم الثاني^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) الصحيح من السيرة النبي ﷺ: ج ٢، ص ٧٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٠.



مناسبات الشهر

شهر رجب الأصب



الإمام الهادي عليه السلام من الولادة إلى الشهادة

٣-٢

ولادة الإمام علي عليه السلام

١٣

فتح خيبر

٢٤



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٢٠٠٦

الإمام



عليه السلام

السنة على الإمام المظالم

المناسبات الدينية لشهر رجب

الإمام الهادي عليه السلام من الولادة إلى الشهادة

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت عليه السلام ذو المكارم والأيادي، والمعجزات والفضائل المشهورة بين الخاص والعام والحاضر والبادي، الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام.

فنسبه عليه السلام من نسب أبيه، تلك الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، واصطفها على البرية جميعاً، وزكاها على خلقه، وجعلهم أئمة يهدون بأمره تعالى.

وأما أمه، فكانت جارية اشتراها الإمام الجواد عليه السلام وكانت تسمى سمانة المغربية، ويقال أنها معروفة بالسيدة أم الفضل، وهي من القانتات الصالحات، وكان الإمام الهادي عليه السلام يقول على ما روي: (أمي عارفة بحقي وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين)^(١).

مولده عليه السلام:

ولد عليه السلام في قرية (صريا) التي أسسها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والتي تقع على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة^(٢)، يوم الثلاثاء في الثاني من شهر رجب الأصعب من سنة اثنتي عشرة ومئتين للهجرة النبوية الشريفة، ويؤيد ذلك الدعاء في أول رجب: ((اللهم إني أسألك بالمولدين في رجب محمد بن علي الثاني وأبنة علي بن محمد المنتجب))^(٣).

كنيته وألقابه عليه السلام: يكنى عليه السلام بأبي الحسن، ويقال له تمييزاً «أبو الحسن الثالث» بعد أبي الحسن الأول الإمام الكاظم عليه السلام وأبي الحسن الثاني جده الرضا عليه السلام. وأما القابه فكثيرة منها: الهادي وهو أشهرها، والعسكري، والفقير، والمؤمن،

(١) دلائل الإمامة: ص ٤١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ٣٨٢.

(٣) مصباح المتعجب: ص ٨٠٥.

والنقي، والعالم، والمرضى، والناصح، والأمين، والمتقي والطيب، والنجيب وغيرها.

وأما لقب العسكري، فسببه أن جعفر المتوكل أشخصه من المدينة المنورة إلى بغداد إلى سر من رأى، وكان يعسكر فيها الجيش، ولذا سميت عسكرياً، وقد أقام بها ثمان عشر وقيل عشرون سنة، فلذلك قيل للإمام ولده عليه السلام العسكري نسبة لها، وإن غلب هذا اللقب على ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وقاره وهيبته: إن من جملة صفات المعصوم الوقار والهيبه التي تعكس عظمته وشموخه والفيوضات الروحية التي تصدر منه فالنور والبهاء والجمال المعنوي وحسن الكلام وفصل الخطاب وعذوبة اللسان وفصاحة المنطق تجعل الآخرين يقفون بكل احترام ووقار.

عن محمد بن الحسن الأشتر العلوي الحسيني قال: ((كنت مع أبي على باب المتوكل، وأنا صبي، في جمع من الناس، في جمع من الناس ما بين طالبي الى عباسي وجعفري الى غير ذلك، إذ جاء أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام فترجل الناس كلهم، حتى دخل فقال بعضهم لبعض: لم نترجل، لهذا الغلام؟ فما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا سنأ ولا بأعلمنا فقالوا: والله لا ترجلنا له. فقال أبو هاشم والله لنترجلنا له [على] صغره إذا رأيتموه.

فما هو إلا أن طلع وبصروا به حتى ترجل له الناس كلهم، فقال أبو هاشم للقوم: أليس زعمتم أنكم لا ترجلون له؟ فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا))^(١).

علمه: عاش الإمام الهادي عليه السلام في عصر كانت فيه المناقشات الفقهية والمجادلات الكلامية والفلسفية شاملة وعنيفة، وكان على شبابه وصغر سنه يرجع إليه شيوخ الكلام، وأساطين الفلسفة، ويُسأل عن رأيه، حتى تسالم العلماء والفقهاء على الرجوع إليه عليه السلام في المسائل المعقدة والغامضة من أحكام الشريعة الإسلامية ومسائل العقائد المختلفة، وكان له عليه السلام دور كبير وتأثير معروف في إغناء

المدرسة الإسلامية التي قاد أهل البيت عليهم السلام حركتها، وغذوها بروح الشريعة الغراء، وسنة المصطفى السمحاء، فقد عد الشيخ الطوسي في كتابه (الرجال) نحو ١٨٥ تلميذا وراويا أخذوا عنه العلم ورووا الحديث أو كاتبوه فأجابهم عن مسائلهم، وكان المتوكل العباسي - وهو ألد أعدائه - يرجع إلى رأيه عليه السلام في المسائل التي اختلف فيها علماء عصره، مقدماً رأيه عليه السلام على آرائهم، ولذلك شواهد كثيرة وجميعها تدل على أنه عليه السلام كان أعلم أهل عصره وفيما يلي نورد بعض الروايات الدالة على غزارة علمه الذي لا يحد وفقهه الذي لا يجارى:

١- كان المتوكل نذر أن يتصدق بمال كثير إن عافاه الله من علته، فلما عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير، فاختلفوا ولم يصيبوا المعنى، فسأل الإمام الهادي عليه السلام عن ذلك، فقال عليه السلام: يتصدق بثمانين درهماً. فسئل عن علة ذلك؟

فقال: إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(١)، فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين مواطناً، وسماها الله كثيرة، فسر المتوكل بذلك وتصدق بثمانين درهماً^(٢).

٢- وفي شرح شافية أبي فراس، قال: ومما نقل أن قيصر ملك الروم كتب إلى خليفة من خلفاء بني العباس كتاباً يذكر فيه: إنا وجدنا في الإنجيل أنه من قرأ سورة خالية من سبعة أحرف حرم الله تعالى جسده على النار، وهي: الشاء والجيم والخاء والزاي والشين والظاء والفاء، فإنا طلبنا هذه السورة في التوراة فلم نجدها، وطلبناها في الزبور فلم نجدها، فهل تجدونها في كتبكم؟ فجمع العلماء وسألهم في ذلك، فلم يجب منهم أحد عن ذلك إلا النقي علي ابن محمد بن الرضا عليه السلام، فقال: إنها سورة الحمد، فإنها خالية من هذه السبعة أحرف. فقيل: الحكمة في ذلك أن الشاء من الثبور، والجيم من الجحيم، والخاء من الخيبة، والزاي من الزقوم، والشين من الشقاوة، والظاء من الظلمة، والفاء من الفرقة، أو من الآفة.

(١) سورة التوبة: آية ٢٥.

(٢) تحف العقول: ص ٤٨١.

فلما وصل إلى قيصر وقرأه فرح بذلك فرحا شديدا، وأسلم لوقته، ومات على الإسلام^(١).

وأثرت عن الإمام عليه السلام روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين والباقر والصادق والرضا عليهم السلام، وكذلك محاجاته المبهرة عن امتناع رؤية الله عز وجل دنيا وآخره، واستحالة التجسيم واستحالة وصفه، وحقيقة التوحيد، وإبطال الجبر والتفويض وأثرت عنه عليه السلام الأدعية والمناجات والزيارات أيضاً ومن أشهر زيارات الإمام الهادي عليه السلام لأبائه الأئمة الطاهرين الزيارة الجامعة. وتعتبر الزيارة الجامعة من أشهر زيارات الأئمة عليهم السلام واعلاها شاناً، واكثرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها وزيارة الأئمة عليهم السلام بها خصوصاً في يوم الجمعة.

عصر الإمام الهادي عليه السلام:

امتاز عصر الإمام الهادي بعدة خصائص منها:

- ١- تعدد الجنسيات: حيث أصبح المجتمع الإسلامي متكوناً من العرب والفرس والأتراك والمغاربة والروميين والأقباط... وهذا ما يؤثر على اختلاف اللغة وشكل الملابس وطراز التعامل واختلاف الألوان والدماء ودخول عادات متباينة في الوسط الإسلامي، وإلى غيرها من أمور تنعكس سلبيًا وإيجاباً.
- ٢- توسع رقعة ونفوذ الأتراك: حتى أصبح تعيين الملك العباسي وخلعه بأيديهم.
- ٣- انغماس ملوك بني العباس باللهو والغناء وبناء القصور: مما يعني عدم وجود نظام اقتصادي، بل كانت الأموال التي تبذل على البناء والليالي الحمراء على حساب فقر الجماهير، فالطبقية كانت واضحة في ظل الحكم العباسي.
- ٤- استمرار الثورات: وذلك من العلويين في مختلف البلاد، ومن غير العلويين ممن نقم على بني العباس بسبب سياستهم القمعية.

٥- ظهور وشيوع الأفكار الهدامة في الأوساط الإسلامية: وكانت السياسة من ورائها مثل الفلسفة اليونانية الملحدة، والأفكار الجبرية التي تقول أن الإنسان

(١) شرح شافية أبي فراس الحمداني: ص ٥٦٣.

مسير ومجبور في أفعاله، والقول بأن القرآن الكريم قديم بقدم الله تعالى أزلي مع أزلية الله تعالى.

٦- الفسق: الذي تمثل في انتشار ظاهرة الفرق الغنائية والانحلال الأخلاقي والتفسخ الماجن وتأليف الكتب الماجنة وانتشار قصص الفاسدين والمنحرفين.

٧- كبت المؤمنين: الخناق الضيق الذي فرضته سياسة العباسيين على أهل البيت عليهم السلام ومطاردة أتباعهم وسجن كبار الشيعة وسمهم أو إبعادهم وتهجيرهم مما اضطر الإمام الهادي عليه السلام أن يجعل لنفسه وكلاء في البلاد، وطلب من الشيعة أن تتصل بالوكلاء وهو يتصل بهم عبر المراسلة أو اللقاءات النادرة.

٨- التنافس على السلطة بين العباسيين: وأخيراً التنافس المقيت بين رجال بني العباس على السلطة، حيث المؤامرات والخianات والاغتيالات والاغراءات، وهذا مما قوى الصراع الداخلي وأضعف الدولة من الخارج، وهذا ما حصل شيئاً فشيئاً حتى سقطت الدولة العباسية فيما بعد.

أهم أعمال الإمام الهادي عليه السلام:

وفي مثل هذه الأجواء والمراحل الصعبة لم يجلس إمامنا الهادي عليه السلام مكتوف اليدين بل خاض الجهاد ومعتك الحياة وعمل بأساليب هادئة وطرق رائعة على حفظ الشريعة الإسلامية الحقة وتوسيع رقعة الشيعة وحملة آثار آل محمد صلى الله عليه وآله العاملين بهذه الشريعة. فيمكن أن نختصر أعمال الإمام بما يلي:

١- محاربة الأفكار المنحرفة: وذلك بأفكار إسلامية واضحة موافقة للكتاب العزيز والعقل السليم، فحارب أفكار الجبرية وموضوع خلق القرآن أو قدمه، وحاول الإمام من خلال أحاديثه أن يربط الأمة بأهل البيت عليهم السلام باعتبارهم الثقل الثاني بعد القرآن وباعتبارهم حجج الله على الخلق وخلفائه في بلاده.

فمثلاً روى الإمام الهادي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن جده النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المحب لأهل بيتي والموالي لهم والمعادي فيهم والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم فيما ينوبهم من أمورهم))^(١).

وروي عنه عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله: ((إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله عز وجل فطمها وطم من أحبها من النار))^(١).

وروي عنه عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله: ((يا علي خلقتني الله تعالى وأنت من نور الله حين خلق آدم، فأفرغ ذلك النور في صلبه، فأفضى به إلى عبد المطلب، ثم افترق من عبد المطلب أنا في عبد الله، وأنت في أبي طالب، لا تصلح النبوة إلا لي، ولا تصلح الوصية إلا لك، فمن جحد وصيتك جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي كبه الله على منخريه في النار))^(٢).

ومثل هذه الأحاديث الذهبية التي تؤكد علاقة وارتباط الإنسان بالقدوة الصالحة هي الأسلوب الأنجح في إحياء الأمة.

٢- توضيح مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام: وعمل الإمام الهادي عليه السلام على توضيح مقامات الشموخ والمنازل العالية التي يتمتع بها الأئمة باعتبار أن الإمامة هي الخط الوحيد الذي يعبر عن النبوة، فهي الامتداد الطبيعي الذي جعله الله تعالى تكملة لرسالاته السابقة.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك هي الزيارة الجامعة التي خرجت من ثنايا أبي الحسن الهادي، ومن جملة فصولها: ((السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين...))^(٣).

وبلا شك أن ارتباط الأمة بالأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله يوفر لها مسارها الصحيح وعزها ويلهمها الأفكار النيرة والأخلاق السامية.

٣- احتواء الشيعة: وعمل الإمام الهادي عليه السلام على احتواء القواعد الشيعية المنتشرة في أرجاء البلاد، وكانت طريقة الاحتواء والاستيعاب عبر:

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٥.

(٢) المصدر السابق: ج ١٥، ص ١٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٩٠٦.

أ- إرسال الوكلاء في المدن المهمة.

ب- إرسال الرسائل إلى بعض الوجهاء والكبراء من الشيعة وربطهم به عليه السلام. وبذلك استطاع الإمام عليه السلام أن يرسخ قواعد التشيع الذي يحاول الظالمون اقتلاع جذوره، واستطاع الإمام أيضا أن يوسع رقعة انتشار المذهب من خلال هذه الطرق.

وبعبارة أخرى يمكن القول أن الإمام الهادي عليه السلام قاد الحركة الإسلامية المتمثلة بالخط الإسلامي النقي من البدع والانحرافات وهو المذهب الإمامي، كما واستطاع أن يحافظ وينشر رسالة جده الأكرم صلى الله عليه وآله.

ربط الأمة بأعظم الشهداء: ومن جملة الأمور والأعمال المهمة التي سعى إليها إمامنا الهادي عليه السلام هو العمل على ربط المسلمين بأعظم قتيلين وأعظم شهيدين في العالم كله، الأول هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والثاني هو الحسين بن علي عليه السلام.

ففي السنة الأولى التي كان الإمام الهادي عليه السلام في سامراء ذهب منها إلى مرقد جده الإمام علي عليه السلام وزاره بهذه الكلمات الرسالية والعقائدية المختزلة فيها كل معاني الحق والمظلومية والاضطهاد الذي تعرض له الإمام علي عليه السلام: ((السلام عليك يا ولي الله، أشهد أنك أول مظلوم وأول من غضب حقه فصبرت واحتسبت...))^(١).

وثانيا عندما ألم المرض بالإمام الهادي عليه السلام فإنه بعث بعض أصحابه وأعطاهم أموالا لكي يذهبوا إلى كربلاء ويدعون له بالشفاء عند مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وقد تعجب الأصحاب من طلب الإمام، فقال محمد بن حمزة: ((يوجهنا إلى الحائر وهو بمنزلة من في الحائر؟ فأجابه الإمام: إن لله مواضع يجب أن يعبد فيها وحائر الحسين عليه السلام من تلك المواضع))^(٢)، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر وكان يطوف بالبيت الحجر، وإن لله تعالى بقاعا يجب أن يدعى فيه فيستجيب لمن دعاه والحائر منها.

(١) كامل الزيارات: ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٩.

وكان هذا التصريح من الإمام طريقا جديدا لمعرفة عظمة الإمام الحسين عليه السلام والحائر المقدس، وإنما أراد الإمام أن يوضح هذا المعنى المهم، ومنذ ذلك الوقت انتشرت معرفة جديدة حول الحائر الحسيني وقدسيته.

وبهذا الشكل ربط الإمام الهادي عليه السلام المسلمين بموضوع زيارة الأئمة العظام لاسيما الأمير والإمام الحسين عليهما السلام لما كان من تأكيده على الزيارات والدعوات المأثورات والصلوات عليهما من قبل الإمام الهادي نفسه فاستطاع أن يركز شهادة الأولياء في قلوب الناس لينهلوا من نهج علي عليه السلام العدل والإنصاف ومن نهج الحسين والضمود والتضحية، وبذلك أوجد الإمام عليه السلام قاعدة روحية جديدة تلهم الثائرين عزيمة وتزيد المحبين له عقيدة.

شهادته عليه السلام: استشهد الإمام الهادي عليه السلام في مدينة سر من رأى، التي نقله إليها المتوكل - كما اسلفنا - والتي أبقاه هو وسلاطين بني العباس من بعده فيها ثمان عشر سنة وقيل عشرون سنة ليكون قريبا منهم، خاضعا لمراقبتهم، بعيدا عن كل ما يحتمل أن يتحرك لطلب الخلافة له.

ورغم ان الإمام عليه السلام كان في الواقع رهينة عندهم، فإنهم لم يتوانوا عن العمل للتخلص منه نهائياً، وينسب المورخون السبب استشهاد الإمام الهادي عليه السلام إلى السم الذي دسه له المعتز وذلك في السنة الثانية من عهده (وينسب البعض إلى المستعين الذي كان قبل المعتز، دس السم للإمام عليه السلام أيضاً) بل إن البعض ينسب دس السم إلى المعتمد العباسي الذي تولى الخلافة بعد استشهاد الإمام عليه السلام. أي أن المعتمد عمد إلى محاولة قتل الإمام عليه السلام قبل أن يصبح خليفة، والمشهور أن المعتز هو الذي قتل الإمام عليه السلام.

وقد كانت شهادته عليه السلام في الثالث من شهر رجب المرجب في السنة الرابعة والخمسين بعد المائتين من الهجرة النبوية المباركة، ودفن عليه السلام في بيته وهو المكان الذي هو قبره اليوم. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية



ولادة



٢٣ رجب



المناسبات الدينية لشهر رجب

ولادة الإمام علي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ولادة النور:

حقّ لفتى الإسلام العظيم أن لا يأتي إلى هذا الوجود إلا في مناقب أسنى من الثريا في علوها، وأقرب من إنكار الشانئ في دنوها، فقبل أن يخلق الله تعالى آدم عليه السلام بأربعة آلاف عام، كان النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام نوراً واحداً بين يدي الله تعالى، قد أودعه سبحانه في صلب آدم بعد خلقه، ولم يزل ينقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة حتى أقره في صلب عبد المطلب، فلما أخرجه من صلبه قسم ذلك النور قسمين، قسم في صلب عبد الله وقسم في صلب أبي طالب^(١).

ولما أذن الله تعالى بولادة أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الدنيا، جعل محل ولادته في بيته الحرام الذي جعله قبلة للناس وأمناً، ولم يولد قبله ولا بعده أحد فيه، وقد روي عن يزيد بن قعنب في ذلك قوله: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: ((رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي)) قال: فرأينا البيت وقد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز

(١) الخصال: ص ٦٤٠.

وجل، ثم خرجت بعد اليوم الرابع ويدها أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

نبذة من مناقبه السنية:

ما عسى القلم أن يكتب في وصف رجل قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: ((لو أن الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإنس كُتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام)) ^(٢). وما عسى المادح أن يشي عليه بعد أن قال فيه صلى الله عليه وآله: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) ^(٣)، ولو لم يكن في بيان مكانته الا قول الرسول صلى الله عليه وآله: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) ^(٤) لكفى.

ولأجل أن نتعطر بطيب ذكره المبارك، ارتأينا أن نمر على قبسات من نور سيرته المثلى وسلوكه الطاهر، لننال بذلك أجر ذكر فضائله الشريفة، ونكون ممن يقتدي بهديه الكريم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن الله تعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر...)) ^(٥).

طيب العاشرة:

لقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام للمسلمين بصورة عامة ولأتباعه ومواليه بصورة خاصة أروع المناهج الإسلامية من خلال سلوكه العملي، فكان له أعظم الدور وأوضح الأثر في هذا المضمار، بحيث أطبقت الأحاديث الصحيحة

(١) الأملالي: ص ١٩٤.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص ٣٢.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ١٠٧.

(٤) الامالي: ص ١٨٤.

(٥) كشف الغمة: ج ١، ص ١٠٩.

المتسالم عليها من قبل كل المسلمين على أنه عليه السلام من أكثر الناس اقتفاء لسنة النبي ﷺ وأشدهم التزاماً بها، ومن الجوانب التي اشتهر بها عليه السلام في سيرته وسلوكه الشخصي، الجانب الأخلاقي الذي تعتبره الشريعة الإسلامية من أهم الأسس التي يجب أن يبنى عليها الإنسان المؤمن مبادئه، فكان أمير المؤمنين عليه السلام القدوة المثلى في الخلق الإسلامي الأمثل.

ولعل من الأمور التي عرفت عنه عليه السلام في هذا المجال بالذات: لين الجانب والتواضع والمقاربة لعموم الناس على ما هو عليه من سمو وعظمة، وعلى ما هم عليه من أخطاء وعلل، بل لقد سار فيهم بحسن العشرة إلى درجة أنه لم يكن يمتاز عنهم في شيء أصلاً حتى بعد تسلمه للخلافة، قال صعصعة بن صوحان يصفه: كان فينا كأحدنا، لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد...^(١)، وقال فيه ضرار بن ضمرة: ((رحم الله علياً، كان والله فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألناه، ويقربنا إذا زرنه، لا يغلق له دوناً باب، ولا يحجبنا عنه حاجب...))^(٢).

ولقد كان عليه السلام مضافاً إلى ذلك يسير فيهم بصفة البشاشة وطلاقة المحيا، وقد تعارف عنه ذلك إلى درجة حاول معها المنحرفون أن يتخذوا من هذا السلوك الراقى مطعناً فيه، فقالوا: أن فيه دعابة، وحق لهم ذلك وهم مثال الجفاء والقسوة وخشونة الجانب، لأن طبعهم يأبى سنة الأنبياء والصالحين وسيرة النبي الكريم ﷺ الذي ورد عنه قوله: ((إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً))^(٣).

وصدق القائل حين قال: (وكل إناء بالذي فيه ينضح)، قال معاوية لقيس بن سعد: ((رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذاكاهة. فقال قيس: نعم كان رسول الله ﷺ يمزح وييسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسوا في ارتغاء وتعيه

(١) كتاب الأربعين: ص ٤٢٠.

(٢) الأمالي: ص ٧٢٤.

(٣) المعجم الكبير: ج ١٢، ص ٢٩٩.

بذلك، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين، قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، ليس كما يهابك طغام أهل الشام))^(١).

عبوديته لله تعالى:

أيمكن أن نجد بعد عبادة أمير المؤمنين عليه السلام عبادة عابد؟ أم نسمع بعد خشية سيد الوصيين عليه السلام خوف خاشع؟ وقد قيل للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: كيف عبادتك من عبادة علي، فقال: ((عبادتي منه كعبادته عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم))^(٢).

روي عن أبي الدرداء قوله: ((شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعُد عليَّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله. فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: «إلهي، كم من موبقة حملت عني فقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك» فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله أن قال: (إلهي، أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي) ثم قال: (آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشرينه، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملائ إذا أذن فيه بالنداء) ثم قال: (آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى) ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، فأتيته فإذا هو

(١) بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٤٧.

(٢) كشف الغطاء: ج ١، ص ١٦.

كالحشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله علي ابن أبي طالب. فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: (يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟) فأخبرتها الخبر فقالت: (هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله))^(١). وروي عن ضرار بن ضمرة يصف الإمام علي عليه السلام معاوية: ((... ولو رأيته إذ مثل في محرابه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو قابض على لحيته، يتململ تملل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا، إلي تعرضت، أم إلي تشوقت، هيهات هيهات لا حاجة لي فيك، أبنتك ثلاثا لا رجعة لي عليك. ثم يقول: واه واه لبعد السفر، وقلة الزاد، وخشونة الطريق))^(٢).

القوة والشجاعة:

إنه من أوضح الواضحات، وأبين البيّنات إطالة الكلام في وصف شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وقوته، فلقد ضجّ بهذه الحقيقة التاريخ ورضخ لها الأعداء قبل الأولياء، فقد أعد الله سبحانه وتعالى وليه علي بن أبي طالب عليه السلام إعدادا جعله بحق السيف الحارس لدينه والعضد المدافع عن نبيه، وصار ضرغامه الذي يفتخر المشركون بقتلاهم الذين سقطوا بحد سيفه، لا يثبت له شجاع ولا يطيق هيبته محارب، إذا مشى إلى الحرب هرول، وإذا أمسك بذراع رجل لم يستطع أن يتنفس، وما صارع أحدا إلا صرعه^(٣).

وهو الذي قلع باب خيبر الذي عجز عنه الرجال الأشداء، وهو القائل: ((وَاللَّهِ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرْصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا))^(٤).

روي عن جابر بن عمير الأنصاري أنه قال في علي عليه السلام يوم الهريز من حرب

(١) الأمل: ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٢٤.

(٣) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ج ١، ص ٣٦.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص ٤١٨.

صفيين: ((فلا والذي بعث محمداً بالحق نبياً، ما سمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، إنه قتل - فيما ذكر العادون- زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيًا فيقول: (معذرة إلى الله وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه، ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) وأنا أقاتل به دونه ﷺ قال الراوي: فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه ﷺ في عدوه))^(١).

علمه وحكمته:

ما عسى القائل أن يقول في علم أمير المؤمنين ﷺ بعدما ورد عن رسول الله ﷺ من مدح فيه يغني عن كل مدح وبيان، روي عن رسول الله ﷺ قوله في علي ﷺ: ((أنا مدينة العلم وعلي باهما))^(٢)، وقال ﷺ: ((أعلم أمتي علي بن أبي طالب))^(٣).

وقد تفجر هذا العلم الذي اندمج عليه الإمام علي ﷺ عن تراث غزير وافر عظيم الأثر، تمثل في الأحاديث والأقوال التي وردت عنه ﷺ في مضمار العقيدة والفقهاء والأخلاق والحكمة، امتزجت ببلاغة المعنى وفصاحة الجمل، وكان كتاب (نهج البلاغة) أحد الشواهد على هذه الحقيقة، ويطيب لنا أن نورد مقتطفات من الحكم القصار التي وردت في كتاب نهج البلاغة، لنقف على نموذج من هذا العلم المحمدي العلوي الاصيل قال ﷺ: ((كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَسَعُ بِهِ))^(٤).

وعنه ﷺ: ((إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ فَإِنَّهُ قَلٌّ مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢١٠.

(٢) ينابيع المودة للفندوزي: ج ١، ص ١٣٧.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ٢١٦.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص ٥٠٥.

مِنْهُمْ))^(١).

وعنه عليه السلام: ((لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضْرُّ مِنْهُ))^(٢).

وعنه عليه السلام: ((مَنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ وَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فَيَمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ))^(٣).

وعنه عليه السلام: ((عَاتِبَ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْزُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ))^(٤).

وعنه عليه السلام: ((أَخْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ))^(٥).

وعنه عليه السلام: ((أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ))^(٦).

وعنه عليه السلام: ((يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ))^(٧).

وعنه عليه السلام: ((شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ فَإِنَّهُ أَخْلَقَ لِلْغِنَى وَأَجْدَرَ بِإِقْبَالِ الْحِظِّ عَلَيْهِ))^(٨).

وعنه عليه السلام: ((الْحُجْرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا))^(٩).

وعنه عليه السلام: ((أَحْسِنُوا فِي عَقَبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقَبِكُمْ))^(١٠).

وعنه عليه السلام: ((مَنْ بَالِغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلِمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ))^(١١).

إن التعرف على سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخلاقه ومناقبه وأقواله أمر

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص ٦٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٨٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٩١.

(٤) المصدر السابق: ص ٥٠٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٥٠١.

(٦) المصدر السابق: ص ٥٠٥.

(٧) المصدر السابق: ص ٥٠٣.

(٨) المصدر السابق: ص ٥٠٩.

(٩) المصدر السابق: ص ٥١٠.

(١٠) المصدر السابق: ص ٥٢١.

(١١) المصدر السابق: ص ٥٢٨.

ضروري جدا لا غنى للمرء المسلم عنه، لأن هذه المعرفة تؤثر بشكل مباشر في معرفة سيرة وأخلاق ومناقب رسول الله ﷺ، لأن الفرع الكريم يدل على الأصل العظيم، وعلي بن أبي طالب عليه السلام أخو الرسول وربيبه ووزيره وخليفته وصهره، كما أنهما من نور واحد، ولن نجد أحدا من الناس له من القرابة القريبة والصلة الشديدة بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أكثر من هذا البطل الهام الذي جعل الله تعالى ولايته ومحبه فرضا على العباد ومنجاة في يوم المعاد.. علي بن ابي طالب عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٤٢

فتح خير

٢٤ رجب



المناسبات الدينية لشهر رجب

غزوة خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله المعصومين الطاهرين.

غزوة خيبر: قبل أن نخوض في أحداث خيبر لابد لنا أولاً أن نتكلم بإيجاز عن خصائص النبي الكريم ﷺ وعجائبه الكثيرة، والتي منها أنه ﷺ استطاع أن ينشئ أمة كبيرة، وكذلك أنشأ أكبر مد حضاري في تاريخ البشرية، كل ذلك في مقطع زمني قصير لم يتجاوز العقد الواحد، كما لم يكن في هذه النهضة المباركة سوى ست مئة من الشهداء في الغزوات والسرايا التي خاضها ضد الأعداء، ومن جملة الأعداء الذين كانوا يكيدون للإسلام وأهله، ويتحينون الفرص لذلك هم اليهود، فهم - كانوا ولا زالوا - يمثلون مركز التآمر على الدين الإسلامي وأهله، فكان لهم الدور الكبير في تجييش الأحزاب وغيرها. وعندما عقد النبي ﷺ صلح الحديبية مع قريش، ذلك الفتح المبين كما عبر عنه القران، وأمن جهة قريش، عزم ﷺ على استئصال الخطر اليهودي، وتوجه نحو خيبر لفتح حصونها، والقضاء على وكر التآمر. وعندما أمر ﷺ بالخروج واستنفر الذين شهدوا معه الحديبية، جاءه المتخلفون عن الحديبية فقال ﷺ: ((لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا، ثم أمر منادياً ينادي بذلك))^(١).

لذا فإن غزوة خيبر لها أهمية من بين غزوات النبي ﷺ ففيها هزم ﷺ يهود خيبر، وقوّض مركز التآمر على دينه وحكومته الجديدة.

تاريخ مدينة خيبر: خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ وهي ناحية على ثمانية بُرْد من المدينة لمن يريد الشام، وتشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم، والقموص حصن أبي الحقيق،

(١) الصحيح من سيرة النبي ﷺ: ج ١٧، ص ٧٢.

وحصن الشق، وحصن النظاة، وحصن السلام، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود: الحصن، ولكون هذه البقعة تشمل على هذه الحصون سميت خيابر^(١).

جاء في جواهر التاريخ: هاجر اليهود بعد المسيح ﷺ إلى الجزيرة ينتظرون النبي الموعود ﷺ، ونزلوا في مواضع منها تيماء ووادي القرى وخبير وحول المدينة، وكان في خيبر أودية فيها بعض العيون، فسكن فيها اليهود وزرعوها، ونجحت فيها زراعة النخيل، واشتهر تمرها بعد هجر، ولعل كلمة خيبر التي سموها بها نفس كلمة كيبوتس بمعنى مستوطنة أو قرية، وكان يهود خيبر عندما بُعث النبي ﷺ نحو عشرة آلاف نسمة، ومقاتلوهم بضعة آلاف، وروي أنهم أربعة عشر ألفاً، ثم انضم إليهم كثير ممن أجلاهم النبي ﷺ من يهود قينقاع والنضير وقريظة، ومنهم حاخامات وزعماء كبار رأسهم أهل خيبر عليهم، مثل حي بن أخطب الذي ذهب إلى مكة لحث قريش وقبائل العرب على حرب النبي ﷺ، ووعد قبائل نجد بموسم تمر خيبر!^(٢).

تاريخ غزوه خيبر: جاء في الصحيح من السيرة: لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة من الحديبية، وذلك في ذي الحجة - كما قال ابن إسحاق - من سنة ست، مكث بها عشرين ليلة، أو قريباً منها، ثم خرج في المحرم إلى خيبر، وكان الله عز وجل وعده إياها، وهو بالحديبية، فقد نزلت عليه سورة الفتح، فيما بين مكة والمدينة، وفيها قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾^(٣) يعني خيبر^(٤).

وصول النبي ﷺ إلى خيبر: وكان أهل خيبر يتوقعون وصول النبي ﷺ من جهة معينة، لكنه فاجأهم فجاء من جهة لا يتوقعون مجيئه منها - أي من

(١) معجم البلدان: ج ٢، ص ٩٠٤.

(٢) جواهر التاريخ للكوراني: ج ٢، ص ٤٦٩.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٠.

(٤) الصحيح من سيرة النبي ﷺ: ج ١٧، ص ٧٣.

جهة الشام-، فرآه بعض المزارعين فقالوا: محمد والخميس وأدبروا هرباً! فقال ﷺ ورفع يديه: الله أكبر، خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(١). كما قالها عند محاصرة بني قريظة، وعسكر ﷺ بأصحابه قرب حصن ناعم، حيث قال لأصحابه: قفوا، فوقفوا، فقال: (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله)^(٢).

قال الكوراني: فتح الإمام علي عليه السلام كل حصون خيبر، وخيبر ثلاث مناطق: النطاة، وفيها ثلاثة حصون: حصن ناعم، وحصن الصعب، وحصن قلة^(٣). وتتصل بها منطقة الشق وفيها حصن أبي، وحصن البرئ، وعلى بعد كيلو مترات منها منطقة الكتبية، وفيها واد فيه أربعون ألف نخلة وعلى جبلها ثلاثة حصون: حصن القموص، والسلام، والوطيح، وقد استغرق فتح خيبر كلها وترتيب أمرها نحو شهرين. وبدأ النبي ﷺ بحصن ناعم في النطاة، ففتحه بعد بضعة أيام، ثم حاصر حصن الصعب أياماً، ثم فتح بقية الحصون في مدة قليلة، ثم ترك علياً عليه السلام في منطقة النطاة والشق، واتجه إلى الكتبية فحاصر حصنها (القموص) وهو حصن خيبر الأكبر، وطالت محاصرته له بضعة وعشرين يوماً! وكان يرسل جيشه كل يوم بقيادة صحابي، فيصلون إلى خندق الحصن فيرميهم اليهود من أبراجه بالسهم والأحجار، فيرمونهم هم، ويرجعون! ثم تجرأ مرحب وفرسانه فأخذوا يخرجون من الحصن ويتحدون المسلمين أن يعبروا إليهم، فلا يجروا أحد منهم عبور الخندق، بل كانوا يرجعون منهزمين حتى أحضر النبي ﷺ علياً عليه السلام! وروت مصادرنا أن فتح حصون خيبر

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج ١، ص ٤١٣.

(٢) الصحيح من سيرة النبي ﷺ: ج ١٧، ص ١٠٣.

(٣) جواهر التاريخ: ج ٢، ص ٤٦٧.

كلها كان بيد علي عليه السلام، وروى نحو ذلك في السيرة الحلبية، والعظيم آبادي في عون المعبود، قال: ((وقصة فتح هذه الحصون: أن النبي صلى الله عليه وآله ألبس علياً عليه السلام درعه الحديد وأعطاه الراية، ووجهه إلى الحصن، فلما انتهى علي عليه السلام إلى باب الحصن، اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض، ففتح الله ذلك الحصن على يده عليه السلام)) (١).

وروى أبو سعيد الخدري: ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل عمر إلى خيبر فانهزم هو ومن معه، حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يبين أصحابه ويحنونه، فبلغ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله كل مبلغ، فبات ليلته مهموماً فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه! فتعرض لها المهاجرون والأنصار، ثم قال: أين علي؟ فقالوا: يا رسول الله هو أرمد، فبعث إليه سلمان وأبا ذر، فجاءا به وهو يقاد لا يقدر على فتح عينيه، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم أذهب عنه الرمد وانصره على عدوه، فإنه عبدك يحبك ويحب رسولك، ثم دفع إليه الراية، فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله أتأذن لي أن أقول فيه شعراً؟ فأذن له فقال:

وكانَ عَلِيٌّ أَرْمَدَ الْعَيْنَ يَبْتَغِي * دَوَاءً فَلَمَّا لَمْ يُحْسَ مُدَاوِيَا
شَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ بَتَفْلَةٍ * فَبُورِكَ مَرْقِيَاً وَبُورِكَ رَاقِيَا
وَقَالَ سَأُعْطِي الرَّايَةَ الْيَوْمَ صَارِمًا * كَمِيًّا مَجْبَبًا لِلرَّسُولِ مُوَالِيَا
يُحِبُّ إلهِي وَالْإلهُ يُحِبُّهُ * بِهِ يَفْتَحُ اللهُ الْحُصُونِ الْأُوَايَا
فَأُصْفَى بِهَا دُونَ الرِّيَّةِ كُلِّهَا * عَلِيًّا وَسَمَاءَ الْوَزِيرِ الْمُؤَاخِيَا

فقال: إن علياً عليه السلام لم يجد بعد ذلك أذى في عينيه)) (٢).

وعن البخاري ومسلم أنه قال: ((لما قال النبي صلى الله عليه وآله حديث الراية بات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الصبح غدوا على رسول الله كلهم

(١) جواهر التاريخ: ج ٣، ص ٤٧٧.

(٢) رسائل المرتضى: ج ٤، ص ٤٠١.

يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا هو يشتكي عينيه فقال فأرسلوا إليه فأتي به فتفل النبي في عينيه ودعا له فبرأ فأعطاه الراية [وكانت راية بيضاء] فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: على رسلك انفذ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه من الحق، فوالله لئن يهدي الله بك الرجل الواحد خير لك من حمر النعم))^(١).

بغض وحسد: وفي رواية ابن جرير ومحمد بن إسحاق: فغدت قريش يقول بعضهم لبعض أما علي فقد كفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه فلما أصبح قال ادعوا لي عليا فقالوا به رمد فقال أرسلوا إليه وادعوه، فجاء وعينه معصوبة بخرقه برد قطري.

دعاء النبي ﷺ: روي أنه ﷺ قد قال لعلي عليه السلام: ((خذ الراية، وامض بها فجزئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في قلوب القوم... واعلم يا علي، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا)، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يُجذلون إن شاء الله تعالى))^(٢).

متى رمدت عيننا علي عليه السلام؟

كانت الراية يومئذ - أي: في خيبر - لأمر المؤمنين عليه السلام، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب^(٣)، أي: إن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الراية، وأنه كان قد طرأ عليه ولم يدم إلا برهة قصيرة.

والجدير بالذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام وصل الحصن قبل جيش المسلمين، بل أنه عليه السلام قد فتح الحصن قبل أن يلحق آخر الناس بأولهم، كما صرحت به بعض الروايات، وفي نص آخر: روي عن عبد الله بن عمر، قال: ((فلا والله ما تنامت الخيل حتى فتحتها الله عليه))^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣١٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٥.

(٣) الارشاد للشيخ المفيد: ج ١، ص ١٢٥.

(٤) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٢٣.

ولما كان يوم خيبر خرج رجل من اليهود يقال له مرحب، وكان طويل القامة عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره، قال: فخرج في ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله ﷺ فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحب، ثم حمل عليه فلم يثبت له، قال: وكانت له ظئر، وكانت كاهنة، وكانت تعجب بشبابه وعظم خلقته، وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك وغالب كل من غالبك إلا من تسمى عليك بحيدرة، فإنك إن وقفت له هلكت، قال: فلما كثر مناوشته، وبعث الناس بمقامه شكوا ذلك إلى النبي ﷺ وسأله أن يخرج إليه علياً، فدعا النبي ﷺ علياً، وقال له: يا علي اكفني مرحباً، فخرج إليه أمير المؤمنين علياً، بها يهول هرولة حتى ركز رايته في رضح من حجارة تحت الحصن [وهو حصن القموص وهو من أعظم حصون اليهود] فاطلع إليه يهودي فقال من أنت؟ فقال أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي غلبتم وما أنزل على موسى، فخرج يهول هرولة وسعد يقول يا أبا الحسن أربح يلحق بك الناس فخرج إليه مرحب في عامة اليهود وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على أم رأسه وهو يرتجز ويقول: قد علمت خيبر أني مرحب * شاك سلاحي بطل مجرب أظعن أحياناً وحيناً اضرب * إذا الليوث أقبلت تلتهب فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سميتني أمي حيدرة * ضرغام آجام وليث قسورة
على الأعادي مثل ريح صرصرة * أكيلكم بالسيف كيل السندرة
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟ فقال: قد تسمى علي هذا القرن بحيدرة، فقال له إبليس: فما حيدرة؟ فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرنى من مبارزة رجل اسمه حيدرة، وتقول: إنه قاتلك، فقال

له إبليس: شوها لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن يخطئن أكثر مما يصبن، وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتله سدت قومك وأنا في ظهرك استصرخ اليهود لك، فرده فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي عليه السلام ضربة سقط منها لوجهه وانهمز اليهود وهم يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب^(١).

سؤال عمر:

أن عمر سأل علياً عليه السلام قال: ((يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعاً، وأنت ثلاثة أيام خميصاً، فهل قلعتها بقوة بشرية؟! فقال عليه السلام: ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية))^(٢).

أوسمة وصفات إلهية:

الملاحظ في هذه الغزوة أن النبي صلى الله عليه وآله قد منح الإمام علياً عليه السلام أوسمة وأوصاف عظيمة، لم يصل إليها ولا يستحقها أحد غيره عليه السلام، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن بعض هذه الأوصاف تستبطن تعريضا وتقييحا بمن أخذ الراية ثم انهمز هو ومن معه، بل أكثر من ذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أوضح أنهم كانوا يحملون صفات مناقضة للصفات التي أطلقها النبي صلى الله عليه وآله، فعندما يقول صلى الله عليه وآله ويصف الإمام علياً عليه السلام بأنه (يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله)، فهذه كلمة عظيمة من عظيم بحق عظيم، لكن لا يعرفها إلا من جرد نفسه عن العصبية والنزعات الشيطانية، كما أنها إشارة إلى أن غيره لم يكن كذلك وساحة القتال والجهاد تشهد لهذا، فإن من يتصف بهذه الصفة لا يؤثر النجاة على الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق، ولا يرتكب الفرار من الزحف الذي هو من المحرمات العظيمة، وهناك من الشواهد التي توضح ذلك جليا دون لبس من خلال

(١) الأماي للشيخ الطوسي: ص ٤.

(٢) بحار الانوار: ج ٢١، ص ٤٠.

ما نقلته المصادر الإسلامية، فقد نقل البخاري في صحيحه^(١) وكذلك أحمد في مسنده^(٢) وغيرهما واللفظ للأول: عن زهرة بن معبد عن جده قال كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال -عمر- والله لانت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي فقال النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه، فقال عمر: فلانت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: الآن يا عمر!! وهنا لا بد أن نتذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

كرار غير فرار: وهذا وسام آخر نطق به سيد الكائنات ﷺ ليوضح أن صفة الكر في الحروب إضافة الى أن الامام ﷺ يتحلى بها فهي أصبحت لتكرارها عنده ﷺ من الملكات، بخلاف غيره ممن تقدم براية المسلمين فإنه لم يكن منهزما وفارا في تلك الغزوة فقط بل أصبح الفرار طبعاله بل من ملكاته، فحاله كما قال أبو الطيب:

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه * حريصا عليها مستهما بها صبا
فحب الجبان النفس أوردته البقا * وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

خصائص علوية على لسان النبي ﷺ: قال علي عليه السلام: ((قال لي رسول الله ﷺ يوم فتحت خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصرارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر على مالا من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجلك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

(١) صحيح البخاري: ج ٧، ص ٢١٨.

(٢) مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٣٣.

(٣) سورة التوبة: آية ٢٤.

بعدي...))^(١).

النصر الإلهي: قال أبان: حدثني زرارة قال: قال الباقر عليه السلام: ((وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن علياً دخل الحصن، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علي عليه السلام يتلقاه، فقال صلى الله عليه وآله: قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك، فبكى علي عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا علي؟ فقال: فرحاً بأن الله ورسوله صلى الله عليه وآله عني راضيان))^(٢).

رحمة وتكريم: وأخذ علي فيمن أخذ صفية بنت حيي، فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: ((لا تضعها إلا في يدي رسول الله حتى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومر بها إلى رسول الله على القتلى، وقد كادت تذهب روحها فقال صلى الله عليه وآله لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال؟! ثم اصطفاها صلى الله عليه وآله لنفسه، ثم أعتقها وتزوجها))^(٣).

الخاتمة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ظهر على أهل خيبر صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم، وللنبي صلى الله عليه وآله الصفراء والبيضاء، والحلقة، والسلاح، ويخرجهم، وشرطوا للنبي صلى الله عليه وآله أن لا يكتموه شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فلما وجد المال الذي غيبوه في مسك الجمال سبى نساءهم وغلب على الأرض والنخل ودفعها إليهم على الشطر^(٤)..

إستسلام اليهود: وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنزل فأكلمك؟ قال: نعم، فنزل وصالح رسول الله صلى الله عليه وآله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرارهم ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ٢٤٧.

(٢) إعلام الوری بأعلام الهدى: ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٣٢.

والخلقة وعلى البز إلا ثوبا على ظهر إنسان، وقال رسول الله ﷺ فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئا فصالحوه على ذلك، فلما سمع بهم أهل فذك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل، فكانت فذك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب^(١).

وبهذا تم فتح كل حصون اليهود، عدا الوطيح والسلام فإنهما فتحا بالصلح فكانا ملكا خالصا للنبي ﷺ^(٢).

سرور وفرح: ولما افتتح رسول الله ﷺ خير قدم عليه جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة ومن كان بقي بها من المسلمين، فقبله رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه^(٣)، وقال: (ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خير أم بقدم جعفر)!!^(٤).
رد الشمس: وقد روي أن الشمس ردت لأمر المؤمنين عليهم السلام في مواضع كثيرة منها بالصهباء في غزوة خيبر، قال ابن حماد:

والشمس قد ردت عليه بخير * وقد انبدت زهر الكواكب تطلع
وبابل ردت عليه ولم يكن * والله خير من علي يوشع

وقال العوني:

ولا تنس يوم الشمس إذ رجعت له * بمنتشر وار من النور مقنع
كذلك بالصهباء وقد رجعت له * ببابل أيضا رجعة المتطوع

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) تفسير الميزان للطباطبائي: ج ١٨، ص ٢٩٧.

(٢) الصحيح من سيرة النبي ﷺ: ج ١٨، ص ٧٠.

(٣) نهاية الأرب للنويري: ج ١٧، ص ١٧.

(٤) الصراط المستقيم: ج ١، ص ٢٥٩.



مناسبات الشهر

شهر شعبان



١٥هـ الغيبة الصغرى ودور السفراء

١٩هـ غزوة بني المصطلق



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(٤٣)

الغيبة الصغرى ودور السفراء



المناسبات الدينية لشهر شعبان

الغيبة الصغرى ودور السفراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

قضية الإمام المهدي قضية أممية:

ليس المهدي عليه السلام تجسيدا لعقيدة كلامية ذات طابع ديني فحسب بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله - على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب - أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تحقق فيه رسالات السماء بمغزاهها الكبير وهدفها النهائي، وتجذ فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مر التاريخ استقرارها وطمانيتها بعد عناءٍ طويل، بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتد إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشد الأيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات وآمنت بيوم موعود تصفى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام، وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارسها الإنسانية على مر الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الانسان.

وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ويؤكد أن الأرض في نهاية المطاف ستمتلئ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوّله الى إيمان حاسم بمستقبل المسيرة الإنسانية، وهذا الإيمان ليس مجرد مصدر للسלו والعزاء فحسب، بل مصدر عطاء وقوة فهو مصدر عطاء لأن الإيمان بالمهدي إيمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها، وهو مصدر قوة لانهاية، لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس

(١) سورة القصص: آية ٥.

الإنسان ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمت الخطوب وتعمق الظلم، لأن اليوم الموعود يثبت أن بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور فيزعزع ما فيه من أركان الظلم ويقيم بناءه من جديد، وإن الظلم مهما تجبرَّ وامتدَّ في أرجاء العالم وسيطر على مقدراته فهو حالة غير طبيعية ولا بد أن ينهزم، وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده يضع الأمل كبيراً أمام كل فرد مظلوم وكل أمة مظلومة في القدرة على تغيير الميزان وإعادة البناء.

الإسلام رسالة أمل:

إننا نطالب أي إنسان معاصر يعلن تفاؤله وأمله في مستقبل الإنسانية أن يقنعنا بخطة ممكنة وفكرة محتملة للإصلاح العالمي والتغيير الشامل؟ ونحن نعتقد أن المنبع الوحيد لروافد الأمل والتفاؤل هو الإسلام فقط والذي يؤكد في نصوصه وتعاليمه ضرورة انبثاق فجر السعادة في تأريخ الإنسانية، ويصر على حتمية انتصار واقع العدالة والأمن والاستقرار على جحافل الظلم والشقاء والألم الذي يؤطر حياة الإنسان عبر التاريخ، الإسلام والإسلام وحده يحمل للإنسان رسالة أمل وفكرة تفاؤل تنقذ الإنسان من قلق اليأس القاتل تدعمها خطة إصلاحية شاملة وتصور تغييرى متكامل، وبعد مرور أربعة عشر قرناً من عمر هذه الرسالة الخالدة يتضح جلياً هذا المعنى، إذ جربت الإنسانية حظها أكثر من مرة في وضع نظام يحقق لها العدل والصلاح في الحياة فلم تفلح، ولعل من علل وحكم غيبة الإمام عليه السلام أن تستنفد البشرية أفكارها في هذا المجال، فتُدعن بعد ذلك لمثل الساء وهو يرسم للناس طريق الخلاص الإلهي من الظلم والفساد.

تؤكد مجموعة كبيرة من آيات القرآن الحكيم هذه الحقيقة وتبشر بعهد سعيد لا بد وأن يسود العالم وتنعم البشرية بالأمن والرخاء والعدالة والحرية وجميع مستلزمات الحياة الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ

يَرْتُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١﴾.

فالإسلام ما هو إلا امتداد للرسالات السماوية السابقة والتي تبشر كلها بمستقبل سعيد للإنسانية فلا بد وأن يكون حكم الأرض وسيادة العالم للطليعة المؤمنة الصالحة، وحينما يكون الحكم بيد طليعة مؤمنة صالحة فتلك هي فرصة السعادة وعهد الرخاء.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢)، فالرسل هم دعاة السعادة والعدالة والحرية وأتباعهم الذين نذروا أنفسهم لخدمة تلك الأهداف المقدسة، هؤلاء الرسل وأتباع الرسل كم عانوا من الأذى والألم والاضطهاد، إن معاناة الرسل والأتباع أشد من معاناة سائر الناس، لأن الرسل وأتباعهم كانوا يتزعمون جبهة النضال والجهاد من أجل سعادة البشرية وكرامتها ولذلك فقد اتجهت حراب الظلم والطغيان نحو صدورهم السامية مما صير حياة الأنبياء وأتباعهم قطعة من الألم والعذاب في سبيل الله، ولكن الله تعالى يتعهد لجميع الرسل والمؤمنين بأهدافهم النبيلة.. يتعهد بإتاحة الفرصة لهم في هذه الحياة ليقطفوا ثمار جهادهم وجودهم وليتدوقوا حلاوة النصر العاجلة في الدنيا بالإضافة إلى ثواب الله الآجل في الآخرة.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣)، وقد تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم لتؤكد وعد الله بسيطرة الدين الإسلامي على ربوع المعمورة وظهوره الفعلي والتطبيقي بعد فشل جميع المبادئ والأديان الأخرى.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٥.

(٢) سورة غافر: آية ٥١.

(٣) سورة الصف: آية ٩.

الْوَارِثِينَ ﴿١﴾.

إنها آيات صريحة كلها تؤكد انتصار الحق أخيراً وأخذه بزمان العالم إلى شاطئ الأمن والإيمان، ولاشك أن هذه الوعود لم تتحقق فيما مضى من تاريخ الإنسان وليست متحققة في واقع الإنسان المعاصر، فليس أمامنا إذن إلا التشكيك بصدق هذه الوعود -والعياذ بالله- أو الإيمان بأنها ستتحقق في المستقبل، وإذا كان لا يمكننا التشكيك في صحة هذه الوعود وصدقها لأنها: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾^(٢) و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾^(٣)، فلا بد لنا إذن من الاطمئنان بأن هذه الوعود ستصبح حقيقة واقعة في مستقبل الحياة وإن طال الأمد.

مفهوم الانتظار في مدرسة التشيع:

عن يمان التمار قال: كنا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جلوساً فقال لنا: ((إن لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد ثم قال: هكذا بيده، فأيكم يمسك شوك القتاد بيده؟ ثم أطرق ملياً، ثم قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليثق الله عبد وليتمسك بدينه))^(٤). مفهوم الانتظار الذي ينبغي أن يتمثله الإنسان المسلم إضافة إلى ما يعنيه من العمل على التهيئة والإعداد للإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) في الإصلاح والتغيير، كذلك هو الثبات على الولاية والتمسك بالعقيدة المهدوية في زمن التشكيكات والمشككين، فإن انتظار المهدي ثبات على الولاية والثبات على الولاية ثبات على الدين وهو أفضل أعمال الإنسان في زمن الغيبة.

وفي ضوء ما تعطيه اللغة لمعنى (الانتظار) حين تحدده بالترقب والتوقع.. قد يتوهم: أن علينا أن نعيش في فترة الغيبة مترقبين لليوم الموعود الذي يبدوه الإمام المنتظر عليه السلام بالقضاء على الكفر وبالقيام بتطبيق الإسلام، لتعيش الحياة

(١) سورة القصص: آية ٥.

(٢) سورة الروم: آية ٦.

(٣) سورة آل عمران: آية ٩.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٣٣٥.

تحت ظلاله في دعة وأمان غير معتنين على القيام بمسؤولية تفعيل الإسلام في حياتنا بكل مجالاتها وبخاصة مجالها السياسي بدافع من إيماننا بأن مسؤولية تحكيم الإسلام في كل مجالات الحياة هي وظيفة الإمام المنتظر عليه السلام فلسنا بمكلفين بها الآن.

وقد يتوهم بأنها من عقيدة الشيعة فتتحول عقيدتنا بالإمام المنتظر فكرة تخدير عن القيام بالمسؤولية المذكورة بسبب هذا التوهم إلا أننا نحاول تجلية واقع الأمر بما يرفع أمثال هذه الألوان من التوهم نجد أن منشأ هذه المفارقة هو محاولة عدم الفهم أو سوء الفهم في الواقع.

وذلك لأن ما يفاد من الانتظار في إطار واقعه كلازم من لوازم الاعتقاد بالإمام المنتظر عليه السلام يتنافى وهذه الألوان من التوهم تمام المنافاة، لأنه يتنافى وواقع العقيدة الإسلامية التي تضم عقيدة الإمامة كجزء مهم من أجزائها.

ومما يجدر أن نعرفه في هذا الصدد: ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ المهدي عليه السلام أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... بل المسلم أبداً مكلف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية وواجب عليه السعي لمعرفة على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾^(١).

إذن ما هو الانتظار؟ إن المراد من الانتظار هو وجوب التمهيد والتوطئة لظهور الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) وعلى أساس ما تقدم ننتهي إلى النتيجة الآتية وهي: إن الانتظار ليس هو التسليم.. وإنما هو واجب آخر يضاف إلى قائمة الواجبات الإسلامية.

السفارة والسفير:

منذ شهادة مولانا الإمام محمد الجواد عليه السلام والظروف السياسية المكتنفة بالطائفة الشيعية وقادتها قد تغيرت وبات من المحتم على الإمام الهادي عليه السلام تدريب الشيعة والفرقة الحقة على نوع جديد من التعامل متمثلاً بالابتعاد عن أسلوب الاتصال المباشر بالإمام عليه السلام، ونتيجة للضغوط الكبيرة والمخاطر الجمة التي أحاطت بالإمام الهادي عليه السلام ومن شايعه واعتقد به حتى إن الإمام كان يوصي أصحابه بعدم اللقاء به بل والسلام عليه علانية حفاظاً على حياتهم ودينهم. أكد الإمام الهادي عليه السلام على أسلوب الاتصال غير المباشر بالشيعة عن طريق الوكلاء أو الرسائل والمكاتبات وسار على ذات النهج الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام الذي ظل مقيماً مجبراً على الإقامة في منطقة العسكر بسامراء إلا أنه صلوات الله عليه استطاع إدارة أمور البلاد والعباد بواسطة وكلائه وقد ذكر التاريخ أسماءهم وألقابهم بل وسيرتهم.

الأمر ذاته انتهجه إمامنا المفدى صاحب العصر والزمان وعديل القرآن المهدي المنتظر أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء إلا أن الأمور باتت مختلفاً عن نهج آبائه بشدة التستر وظهور النيابة الخاصة أو السفارة في فترة الغيبة الصغرى حيث يتصل بالإمام عليه السلام نائب واحد هو الوكيل الخاص يأخذ على عاتقه مهام إيصال أوامر الإمام إلى المؤمنين ومنهم إليه يحمل الأسئلة والمطالب.

النواب الأربعة:

إن الإمام عليه السلام في فترة الغيبة الصغرى كان وثيق الصلة بقواعده الشعبية لكن بطريقة تماس تناسب مع غيبته عليه السلام وهذه الطريقة تمثلت بنص السفراء. مسألة السفراء من المسائل المهمة والحساسة في ذلك الوقت: بمعنى كيف نعرف أن هذا الشخص سفير عن الامام سلام الله عليه لا سيما وأننا نعلم أن هنالك من ادعى السفارة كذباً باعتبار أن مقام السفارة عن الامام مقام مقدس وعظيم وأقرب شيء من مقام المرجع الأعلى الوحيد للطائفة الشيعية

كلها في العالم، فلا يبعد أن يتنافس عليه الكثير وأن يدّعيه الكثير، وكان للإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى وكما هو معروف ومشهور أربعة نواب وهم:

الأول: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي وقد نُسب إلى جدّه لأُمّه الملقَّب بـ «السَّمان» ويُقال له: الزِّيَّات الأسديّ. وأمّا لقبه «السَّمان» فلأنّه كان يتّجر بالسَّمن تغطيةً على نشاطه وكان الشيعة إذا حملوا إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى عثمان بن سعيد فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى الإمام عليه السلام تقيّةً..^(١). وثقّه الإمام الهادي عليه السلام بقوله: ((هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أذاه إليكم فعني يؤدّيه))^(٢) وثقّه الإمام العسكري عليه السلام بمثل ذلك وترحم عليه الإمام المهدي عليه السلام عند وفاته حينما أرسل رسالة تعزية إلى ولده أبي جعفر. وقبره عنه بالجانب الغربيّ من مدينة السلام (بغداد)، في شارع الميدان في مسجد الذرب، والقبر في نفس قبلة المسجد^(٣).

الثاني: أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري لقّب بالخلّاني لكثرة اختلاّئه بأصحابه، وثقّه الإمام العسكري عليه السلام وقال عنه الإمام الحجّة عليه السلام: ((وأما محمّد بن عثمان - رضي الله عنه وعن أبيه من قبل - فإنّه ثقتي وكتابه كتابي))^(٤)، كانت وكالته للإمام المهدي عليه السلام أطول فترات الوكالة حيث قضاها في بغداد. كان متواضعاً قال عنه أحمد الدينوري: ((فصرت إلى أبي جعفر العمري فوجدته شيخاً متواضعاً عليه مبطنة بيضاء قاعداً على لبد في بيت صغير ليس له غلمان ولا له من المروّة والفرس ما وجدت لغيره))^(٥). وقد استعدّ لموته وعمل ساجدة

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سفينة البحار للشيخ عبّاس القمّي: ج ٤، ص ٢٥.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٨٤.

(٥) دلائل الإمامة: ص ٥٢١.

(خشبة) نقش عليها يوم وفاته وتوفي في آخر جمادى الآخرة سنة (٣٠٥هـ) ودفن عند والدته في شارع باب الكوفة ببغداد ومرقده شاخص الآن في منطقة الباب الشرقي سمى: مرقد الشيخ الخلائي.

الثالث: هو أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، عينه محمد بن عثمان سفيراً ثالثاً بقوله: ((هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامى والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم))^(١). وثقه الإمام الحجة عليه السلام بقوله: ((نعرفه، عرفه الله الخير كله ورضوانه وأسعده بالتوفيق، وقفنا على كتابه وثقتنا بما هو عليه، وإنه عندنا بالمنزلة والمحلّ للذين يسهرونه، زاد الله في إحسانه إليه إنه وليّ قدير))^(٢).

ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وتوفي ببغداد في الثامن عشر من شعبان سنة (٣٢٦هـ)^(٣).

وكان قوي الإرادة شديد الصلابة في الحق يقول أبو سهل النوبختي: ((لو كان الحجة عليه السلام تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه))^(٤).

ومرقده ببغداد جانب الرصافة مشهور معروف مشيد عامر، عليه قبة صغيرة، وفوق دكة قبره شبك مجلل يزدحم عليه الزائرون المتعبدون، يُعرف موضع قبره خلف سوق الشورجة التجاري ببغداد على جانب شارع الجمهورية، في زقاق غير نافذ، ويُعد مرقده من المراكز الشيعية في بغداد

الرابع: الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري (أو السيمري، أو الصيمري) والمشهور (السمري)، ولد في النصف الثاني من القرن الثالث.^(٥)

(١) الغيبة للطوسي: ص ٣٧١-٣٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٨.

(٤) الغيبة للطوسي: ص ١٩٣.

(٥) أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٨.

قال الشيخ الطوسي: عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدّثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتّّب، قال: ((كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري قدس سره، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم))^(١).

وقد روى أبو نصر هبة الله بن محمد الكاتب أن قبر أبي الحسن السمري رضي الله عنه في الشارع المعروف بشارع الخلنجي - ببغداد - من ربيع باب المحول قريب من شاطي نهر أبي عتاب^(٢). وهذا القبر الآن في منطقة السراي في باب المعظم ببغداد.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) الغيبة للطوسي: ص ١٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٩٣.



تسعة الشهور الجديدة
صحة التلاوة
سلسلة إصدارات التلاوات السنوية

٤٤
الشعبان

غزوة

بني المصطلق



التاسعات الدينية لشهر شعبان

غزوة بني المصطلق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله المعصومين الطاهرين.

من الأمور الواضحة أن الدين الإسلامي لم ينتشر في الجزيرة العربية وما حولها فيما بعد، إلا بما قام به النبي ﷺ وخلص أصحابه من الجهاد والصبر والتضحية وبذل الأموال والأنفس في سبيل الله، لذا عندما نقرأ حياة الرسول الكريم ﷺ تجدها مليئة بالمتاعب والأذى والأحداث حتى روي عنه ﷺ: ((ما أُوذي نبي مثلاً أُوذيت))^(١)، وذلك منذ نزول الوحي إليه ﷺ وإلى حين التحاقه بالرفيق الأعلى، فلقد خاض الكثير من الحروب ومختلف المصادمات مع الكفار والمشركين من العرب واليهود وغيرهم، وتتفاوت الغزوات من حيث الأهمية، فمنها ما تكمن أهميتها من الناحية العسكرية، ومنها من حيث الكشف عن مواطن بعض أفراد الجيش، وغير ذلك، وغزوة بني المصطلق من الغزوات التي لها أهمية كبيرة، وذلك لوقوع كثير من الأحداث فيها كادت تعصف وتزعزع وحدة وانسجام المسلمين، وما ذاك إلا لكثرة ما خرج من المنافقين في صفوف جيش النبي ﷺ، إما طمعا بالغنائم، أو غير ذلك، لهذه الأسباب وغيرها نحاول الحديث عن هذه الغزوة، من عدة جوانب.

تسمية الغزوة:

لكون الغزوة حدثت مع قبيلة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة، قال العيني (المتوفى ٨٥٥) في عمدة القاري: بني المصطلق، بضم الميم وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة وكسر اللام وبالقاف: وهي بطن من خزاعة، والمصطلق هو ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، ويقال: إن المصطلق لقب واسمه جذيمة، بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة: ابن سعد بن عمرو، وعمرو هو أبو خزاعة، وقال ابن دريد: سمي المصطلق

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٤٢.

لحسن صوته، مفتعل من الصلق، والصلق شدة الصوت وحدثه، من قوله عز وجل: ﴿سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ حِدَادٍ﴾^(١)، ويقال: صلق بنو فلان بني فلان، إذا وقعوا بهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً^(٢). كما تسمى المريسيع، ذكر الشيخ الكليني: (مريسيع) مصغر مرسوع: بئر أو ماء لخزاعة، وإليه تضاف غزوة بنى المصطلق، وذكر المؤرخون أنها حدثت في شعبان السنة السادسة^(٣).

أسباب الغزوة:

هناك عدة من الأسباب أدت إلى تحرك النبي ﷺ واتخاذ قرار الحرب منها:

(١) إن هذه القبيلة لها تحالف مع قريش ضد النبي ﷺ، وقد شاركت فعلا في الحروب إلى جانب قريش، وذكروا أنها كانت من أحاييش قريش، وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبشي وهو جبل بأسفل مكة، على ستة أميال منها فحالفوا قريشاً، وتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجاليل ووضح نهار وما أرسى حبشي مكانه، فسموا أحاييش قريش^(٤).

(٢) كون موقعها حاجزا عن وصول المسلمين إلى مكة.

(٣) وصول الأخبار إلى النبي ﷺ بأنهم يعدون العدة والعدد لغزو المدينة، واستنهاض من يشاركونهم الهدف ذاته.

تحرك النبي ﷺ:

من الصفات التي يتمتع بها النبي ﷺ القيادة الحكيمة والحنكة الفائقة في معالجة المواقف إلى جانب غيرها من الصفات الأخرى، وهذا واضح من خلال معالجته ﷺ للمواقف، ومنها قضية بني المصطلق، إذ كان ﷺ قد شكل جهازا استخباريا منظما لجمع المعلومات ورصد تحركات العدو، لذا بعث ﷺ أحد أصحابه للتحقق وبيان الأمر، وهذا درس عملي يضعه لنا ﷺ للتعامل مع

(١) سورة الأحزاب: آية ١٩.

(٢) عمدة القاري: ج ١٣، ص ١٠٢.

(٣) الكافي: ج ٥، ص ٤٥.

(٤) لسان العرب لابن منظور: ج ٦، ص ٢٧٨.

الأحداث، وعدم التسرع في اتخاذ القرار، ذكر الواقدي (المتوفى ٢٠٧) في المغازي: ((فبعث صلى الله عليه وآله بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، واستأذن النبي صلى الله عليه وآله أن يقول، فأذن له، فخرج حتى ورد عليهم ماءهم فوجد قوماً مغرورين قد تألبوا وجمعوا الجموع، فقالوا: من الرجل؟ قال: رجل منكم قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فتكون يدنا واحدة حتى نستأصله، قال الحارث بن أبي ضرار: فنحن على ذلك فعجل علينا، قال بريدة: أركب الآن فأتاكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني فسروا بذلك منه ورجع إلى رسول الله فأخبره خبر القوم...))^(١).

فندب صلى الله عليه وآله القوم للخروج، فأسرع الناس للالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وفيهم ثلاثون فارساً، عشرة من المهاجرين، وفي هذه الغزوة خرج معه صلى الله عليه وآله بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غيرها قط: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾^(٢)، وما كان خروجهم رغبة منهم في جهاد أو إحدى الحسينين، بل طمعاً في الحصول على حطام الدنيا، وقرب المسافة، ولو ثوقهم بانتصار النبي صلى الله عليه وآله، وذلك لعلمهم بأنه مؤيد من السماء، ومنصور بالرعب الذي يقذفه الله في صفوف المشركين، تقول أم المؤمنين جويرية- وذلك بعد زواجها بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:- أتنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن على الميسيع، فأسمع أبي وهو يقول: ((أنا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنه رعب من الله عز وجل يلقى في قلوب المشركين))^(٣).

مسيره صلى الله عليه وآله:

في أرض يقال لها بلقاء وجدوا عيناً للمشركين، فعرض عليه الإسلام فأبى

(١) المغازي: ج ١، ص ٤٠٥.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠١.

(٣) إعلام الوری بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٠٨.

وفضّل الضلال على الهدى، قال اليوسفي الغروي في موسوعته: ف ضرب عنقه، فذهب خبره إلى بني المصطلق فساء بذلك زعيمهم الحارث بن أبي ضرار ومن معه وخافوا خوفا شديدا، وتفرق عنه من كان قد اجتمع إليه من أفناء العرب حتى ما بقي منهم أحد سوى بني المصطلق^(١).

في المريسيع: لقيهم النبي ﷺ على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، وقد اجتمعوا وتهيئوا للقتال، فصف رسول الله أصحابه، ثم أمر ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، واقتتلوا قتالا فهزم الله بني المصطلق ونفل النبي ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال اليوسفي: فقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رجلين من القوم هما مالك وابنه... وكان هو عليّ بن أبي طالب جويرية بنت الحارث أمير القوم، فجاء بها إلى النبي ﷺ، فاصطفاها النبي ﷺ، وأصاب رسول الله منهم سببا كثيرا فقسمه في المسلمين^(٢).

جويرية أم المؤمنين: يتمتع النبي ﷺ بسياسة حكيمة ورحمة كبيرة، فلا يرى فرصة للرحمة والمساعدة إلا واقتنصها، امرأة كريمة ابنة سيد قومها، وقعت في السبي، فيعتقها النبي ﷺ، ثم تأتي الخطوة الإيجابية الأخرى والتي كان لها الأثر الكبير في تغيير الأحداث، وهي جعل النبي ﷺ هذه المرأة من جملة زوجاته بعد إسلامها، فهو حفظ لماء الوجه، ونزع الآثار التي خلفتها المعارك، قال العاملي: وفي المريسيع سبا عليّ بن أبي طالب جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية وهي التي تزوجها رسول الله ﷺ^(٣). نعم أسلمت وأسلم أهلها، ذكر اليوسفي: وبعد إسلام بقية القوم جاء الحارث أبو جويرية إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابنتي لا تسبي، إنها امرأة كريمة، قال: اذهب فخيرها، قال: قد أحسنت وأجملت، وجاء إليها

(١) موسوعة تاريخ الإسلام: ج ٢، ص ٥٧٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٨٠.

(٣) الصحيح من سيرة الإمام عليّ بن أبي طالب: ج ٤، ص ١٧٢.

أبوها، فقالت له: اخترت الله ورسوله!^(١).

قال الطبرسي المتوفى في ٥٤٨ هـ: ((فلما بلغ الناس أن رسول الله تزوج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله، فأرسلوا ما كان في أيديهم منهم، وأطلق جميع أسرى بني المصطلق رجالاً ونساء بفضل هذا الزواج المبارك، وبفضل سياسة النبي ﷺ الحكيمة، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها))^(٢).

الله تعالى ينتصر لنبيه ﷺ:

هناك من المسلمين من نطقوا بالشهادتين ودخلوا الإسلام ولكنه لم يتأصل في نفوسهم، بل بقيت آثار الجاهلية في ممارساتهم وأفعالهم، ونجد هذا واضحاً في هذه الغزوة، فقد ذكر أرباب التاريخ والسير الذين تعرضوا لهذه الغزوة، أنه حصل تشاجر بين أحد المهاجرين والأنصار في قضية سقي الماء، ونادى كل منهم بقومه، وكادت الحرب أن تقع بينهم، وقد استغل هذه الحادثة المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول، فأخذ يوجه كلاماً للأنصار بأنهم قد غلبوا على أمرهم في ديارهم، وأصبحوا غير ذي منعة، بسبب إيوائهم للمهاجرين، وكان هناك من يسمع كلامه ويروج له، فكاد هذا الحدث أن يشرخ وحدة المسلمين آنذاك، وبالتالي يقضي على الإسلام، لولا تدخل النبي ﷺ وحسم الموقف. لكن نقول بألم وحرقة: إن هذه الوحدة التي أسسها النبي ﷺ، وسقاها أصحابه المنتجبون المؤمنون بدمائهم الزاكية، لم يحافظ عليها المسلمون، فسرعان ما تزاحموا على شق الصف الإسلامي وأزاحوا أهله عن مراتبهم، فما أحوجنا اليوم لموقف يرجع الحق إلى أهله، ويمحق النفاق وأهله، نعم أطلق بن أبي سلول كلامه فنزل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) موسوعة تاريخ الإسلام: ج ٢، ص ٥٨١.

(٢) إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ١٩٧.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، وحين عرف ابن أبي سلول أن كلامه بلغ النبي ﷺ أتى النبي ﷺ فحلف بالله أنه لم يقل ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٢﴾، وهنا جاء وجه آخر للمنافقين، يطلب من النبي ﷺ قتل ابن سلول، إلا أن النبي ﷺ لم يلتفت إلى قوله، مما حدى بالنبي ﷺ إلى الرحيل في ساعة لم يكن يرتحل في مثلها والعودة إلى المدينة، وعند وصول المسلمين إلى المدينة جاء الابن ليمنع أباه من الدخول، حتى يأذن له النبي ﷺ.

توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب غزوة بني المصطلق:

نزلت سورة (المنافقون) بعدما رجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق، في طريقهم إلى المدينة، فقد تحدثت السورة بإسهاب عن المنافقين، وأشارت إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم وفضحت أكاذيبهم، إلا أنها في الختام حذرت المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا ومتاعها، وحثت على الإنفاق، ويمكن لدارس هذه السورة أن يلاحظ عدة محاور مهمة منها:

١ - تحدثت السورة الكريمة في البدء عن أخلاق المنافقين، وفضحت كذبهم في أقوالهم ووصفت حالهم، فابتدأت هذه السورة بإيراد صفات المنافقين التي من أهمها الكذب في ادعاء الإيمان، وحلف الأيمان الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتأميرهم على النبي ﷺ وعلى المؤمنين، وصددهم الناس عن دين الله، قال تعالى:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم

(١) سورة المنافقون: آية ٨.

(٢) سورة المنافقون: آية ١.

حُشِبَ مُسْنَدَةٌ يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾.

٢- ثم بينت الآيات عنادهم وتصميمهم على الباطل، وعصيانهم لمن يدعوهم إلى الحق وبينت مقالاتهم الشنيعة بالتفصيل خاصة ما قالوه في غزوة بني المصطلق من أنهم سيطرّدون الرسول والمؤمنين من المدينة، وأن العزة لهم، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة الفظيعة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

وهكذا كان المجتمع المدني يتربى بالأحداث، والقرآن الكريم يقوم بتوجيهه وتعليمه، ورسول الله ﷺ يقوم بالإشراف على ذلك، فينبغي لنا أن نأخذ الدروس والعبر من هذه الأحداث التاريخية حتى لا نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الآخرون ولنعرف العدو من الصديق والمؤمن من المنافق قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٥).

النبي ﷺ رائد الانسانية:

الله تعالى خلق الإنسان وأراد له الرفعة والسمو والكرامة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (٦)، ونلاحظ أنه لا يوجد شريعة أو قانون ودستور وضعي، يولي الإنسان أهمية كما أولاه الدين الإسلامي، ونجد هذا الشيء واضحاً من خلال

(٣) سورة المنافقون: الآيات ١-٤.

(٤) سورة المنافقون: الآيات ٥-٨.

(٥) سورة يوسف: آية ١١١.

(٦) سورة الإسراء: آية ٧٠.

أفعال وأقوال المعصوم عليه السلام، كما أنه لا يقتصر الاحترام والتقدير على المسلمين فقط دون سواهم، بل حتى غير المسلم، كما أن الإسلام يرفض استغلال المسؤول نفوذه في تحقيق مآربه، وما أوجنا اليوم إلى هذا الفكر وهذا التعامل، فلا بد أن توجد عند الإنسان مبادئ وثوابت يتعامل بها مع المجتمع، فالمجتمع الذي يتعامل على أساس الالتزام بالعامل الديني والأخلاقي يرتقي ويسمو نحو الكمال، لكن نجد هناك من يتجاوز ويتناول على القيم الإنسانية، وهذا بعينه حدث مع هذه القبيلة التي أسلمت، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يبعث بعض السرايا فيما حول مكة للدعوة وبيان الأحكام، ومنها البعثة إلى حي من بني المصطلق وكان عليها خالد بن الوليد المخزومي، وكان بين قومه وبينهم أحقاد وعداوات في الجاهلية، فلم يلتزم بأمر النبي صلى الله عليه وآله بدعوة الناس لا القتال، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم غدر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، فلما انتهى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله استقبل القبلة، ثم قال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد). ثم التفت صلى الله عليه وآله وقال لعلي عليه السلام: يا علي، أتت بني جذيمة من بني المصطلق، فأرضهم مما صنع خالد، ثم رفع صلى الله عليه وآله قدميه فقال: يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك، فأتاهم علي عليه السلام، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله، قال: يا علي، أخبرني بما صنعت. فقال: يا رسول الله، عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة، ولكل مال مالا، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة (الإناء الذي يبلغ فيه الكلب) كلاهم وحبلة رعاهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني، رضي الله عنك يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(١).

(١) الأماي: ص ٢٣٨، صحيح البخاري: ج ٨، ص ١١٨، وغيرهما.

حادثة الإفك:

من عوامل الرقي والنجاح كون المجتمع يعيش في حالة انسجام يسودها الحب والاحترام المتبادل والصدق والأمانة، كما ينبغي الابتعاد عن كل ما يؤدي بشكل أو آخر الى ثلم العلاقة الطيبة، وفصم عرى الألفة والانسجام، وتعتبر عملية تحصيل المجتمع بصورة عامة من الأمور التي اهتم بها الدين الإسلامي، لما لها من انعكاسات ايجابية ومؤثرة في مسيرة الإنسان، كما حذر من التصرفات اللامسؤولة والانجرار وراء الشائعات والشعارات الزائفة، فعلى الإنسان أن يبصر أين يضع نفسه، ولا ينزلق في دهاليز الظلمة ودعاة الباطل، ولعل زماننا اليوم لا يخلو من هذه الأمور، خصوصاً مع ما يمتلكه المغرضون من الإمكانيات المتطورة، كما أن لنا دعوة إلى الاعتبار والاستفادة من تصرفات وعواقب الآخرين، وهي دعوة قرآنية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، فبين أيدينا حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ حيث أدى غياب العامل الإيماني، من جهة وعدم الشعور بالمسؤولية عند البعض من جهة أخرى إلى رمي امرأة مؤمنة بالباطل، فقد ذكر المفسرون أن الآيات من ١١-٢٦ من سورة النور نزلت لتعالج هذه القضية، مما يبين لنا أهمية ذلك. والأفك هو الكلام المنحرف عن الحق المجانب للصواب، أو هو قلب الحق وصرفه عن وجهه. وعلى كل حال فقد أتهم شخص بريء بعمل مغل بالعفة والشرف، وأن الشائعات كانت منتشرة في المدينة، كما يفهم من الدلائل الموجودة في هذه الآية أن هذه التهمة كانت موجهة لشخص له أهمية خاصة في المجتمع آنذاك، وأن مجموعة من المنافقين المتظاهرين بالإسلام أرادوا الإخلال بالمجتمع الإسلامي بترويجهم هذه الشائعة، فنزلت هذه الآيات، وتصدت لهذه الحادثة بقوة، ودفعت المنحرفين والمنافقين الحاقدين إلى جحورهم، وقد ذكرت هذه الحادثة بعض كتب العامة على أنها في خصوص عائشة بنت أبي بكر، إلا

(١) سورة يوسف: آية ١١١.

أن هذا لا يصمد أمام الدلائل والأحداث، وفي المقابل ذكرت كتب أتباع أهل البيت عليهم السلام وكتب العامة أنها في قضية اتهام أم المؤمنين مارية، قال القمي: (... عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟! فما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأمره بقتله، فقال: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسار المحمي في الوبر، أم أثبت؟! قال: لا بل اثبت. فذهب علي عليه السلام ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، فضرب علي عليه السلام باب البستان، فأقبل جريح، ليفتح له الباب، فلما رأى علياً عليه السلام، عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً، ولم يفتح الباب. فوثب علي عليه السلام على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه. وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد علي في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال، ولا ما للنساء، فانصرف علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، ولا ما للنساء. فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا سوء أهل البيت^(١).

الايمان والفسق:

ذكر الزمخشري: أن النبي صلى الله عليه وآله بعث الوليد بن عقبة -أخا عثمان لأمه، وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: هل أزيدكم؟- مصدقاً إلى بنى المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٠٠.

وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^{(١)(٢)}.

ورد في الأمثل: لقد جعل عز وجل (الفاسق) في مقابل (المؤمن) في هذه الآية، وهذا دليل على أن للفسق مفهوما واسعا يشمل الكفر والذنوب الأخرى، لأن هذه الكلمة أخذت في الأصل من جملة (فسقت الثمرة) إذا خرجت من قشرها، ثم أطلقت على الخروج على أوامر الله والعقل وعصيانها، ونعلم أن كل من كفر، أو ارتكب معصية فقد خرج على أوامر الله والعقل، ومما يجدر ذكره أن الثمرة ما دامت في قشرها فهي سالمة، وبمجرد أن تخرج من القشر تفسد، وبناء على هذا فإن فسق الفاسق كفسق الثمرة، وفساده كفسادها^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله المعصومين.

(١) سورة الحجرات: آية ٦.

(٢) الكشف: ج ٣، ص ٥٥٩.

(٣) تفسير الأمثل: ج ١٣، ص ١٢٧.



مناسبات الشهر

شهر رمضان



١٠هـ وفاة السيِّدة خديجة عليها السلام

١٥هـ ولادة الإمام الحسن الزكي عليه السلام

١٧هـ غزوة بدر الكبرى



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات التأسيس السنوية

٤٨

شهر
رمضان
عليه
السلام



في
ذكرى
وفاة
السيدة
خديجة
عليها
السلام
١٠ ارمضان
سنة ٣ قبل الهجرة

المناسبات الدينية لشهر رمضان

وفاة السيدة خديجة عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين المعصومين.

ان الله تعالى أمر الإنسان بالعبادة والطاعة، ولم يقصر ذلك على صنف معين من نوع الإنسان، بل هذا الأمر يشمل كلا الصنفين: الذكر والأنثى، قالت الآية الكريمة:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)

يعد الالتزام في المجتمع أمراً ليس بالعسير، وكذا الفضيلة في محيط طاهر أمر يسير، ولكن الالتزام والتمسك بالطهر في مجتمع فيه انحراف، أمر صعب ونادر، وخديجة بنت خويلد عليها السلام كانت من هذا النوع، فالمجتمع الذي عاشت فيه كان موبوءاً بالمعصية، ولكن المعدن الطيب لهذه المرأة الصالحة، ورجحان عقلها جعلها تسلك طريق الكمال والفضيلة والطهر، حتى لُقِّبت في أيام الجاهلية بالطاهرة، وهي السيدة المؤمنة المجاهدة المنفقة أم الذرية النبوية الطاهرة، وقد يسأل غير المسلم من هي خديجة؟ ولا غرابة بسؤاله إذ ما عرفناه أن التاريخ الذي كتبه أيدي السلطة غيبت الكثير ممن لهم الفضل في تشييد الدين الإسلامي وانتشاره، ولم يُذكروا إلا بذكر يسير لا يروي الظمان، ومن الذين شملهم هذا الظلم، أم المؤمنين خديجة، متناسين أنها أول زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وأحبهم إلى قلبه حيث لم يتزوج عليها بحياتها، ولم ينمح ذكرها عن لسانه بعد رحيلها، كما سوف نرى سيرتها العطرة من خلال هذه الصفحات.

نسبها عليها السلام:

هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشية فنسبها عليها السلام يرجع إلى

(١) سورة النحل: آية ٩٧.

قبيلة قريش ويلتقي نسبها بنسب رسول الله الأعظم ﷺ عند جدها الثالث من أبيها وعند جدها الثامن من أمها.

ألقابها ﷺ:

لها سلام الله عليها عدة من الألقاب، وهي مشتقة من صفاتها، فهي أم المؤمنين، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (١) وأيضا وسمها الرسول الكريم ﷺ بوسام عظيم حيث وصفها بأنها سيدة نساء العالمين، كما أن لها ألقابا عرفت بها قبل الإسلام وبعده منها: سيدة قريش، الطاهرة، المباركة، الرضية، الصديقة، وهي أول سيدة مؤمنة بالرسالة والولاية، وأول سيدة مصلية.

أول من أسلمت ﷺ:

جاء في البحار: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء من الله ووازرته على أمره (٢).

كما ذكر الشيخ الطوسي: وكان رسول الله ﷺ يقول لخديجة ﷺ ويخبرها بما يأتيه من قبل أن ينبأ به، وما يراه في منامه، فلما أتاه الوحي من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلك ودعاها إلى الإسلام، فأمنت، كما آمن علي ﷺ، فكانا أول مسلمين به، وعن ابن عباس يقول: ((أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال علي، ومن النساء خديجة ﷺ)) (٣).

وفي الأخبار الواردة أن الإسلام لم يقيم إلا بال خديجة ﷺ، كما صرح به رسول الإنسانية ﷺ، ذكر الشيخ الطوسي: ((قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله يعني ابن أبي رافع: أو كان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة ﷺ، وقال: إن رسول الله ﷺ قال: ما نفعني مال قط مثل

(١) سورة الأحزاب: آية ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٠.

(٣) الأمالي: ص ٢٥٩.

ما نفعتني مال خديجة عليها السلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفك من ماله الغارم والعاني، ويحمل الكل ويعطي في النائبة ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت أكثر قريش مالاً^(١)، وهذه شهادة عظيمة المنزلة والقدر لمولاتنا وسيداتنا خديجة عليها السلام من خاتم النبيين.

إخلاصها للرسول صلى الله عليه وآله:

كانت خديجة عليها السلام تقوم بأدوار بطولية ورسالية، فكانت تمثل بلسماً لآهات وآلام النبي صلى الله عليه وآله، كما كان النبي صلى الله عليه وآله مدة وجوده في مكة يتمتع بحماية عمه ودفاعه عنه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((ما اغتممت بغم أيام حياة أبي طالب وخديجة))^(٢). ولقد كانت هذه المرأة العظيمة في غاية الإخلاص والاحترام للرسول صلى الله عليه وآله لا سيما في أصعب الظروف التي مرت به صلى الله عليه وآله، فكانت مؤنسته عندما يرجع إلى بيته صلى الله عليه وآله فتزيل عنه الهموم والغموم والآلام، وتستقبله بالحب، وتسمعه أجهل الكلمات التي من شأنها أن تذهب عنه الآلام والجراح التي تحمّلها لأجل نشر هذه الرسالة الخالدة العظيمة.

منزلة خديجة عند الله ورسوله:

كان لها منزلة عظيمة عند الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله، وتتمتع بمكانة خاصة حيث ورد في الأخبار أن الله أمر النبي صلى الله عليه وآله بالسلام عليها، وغير ذلك، قال المجلسي: إن جبرائيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أن ربهما يقرؤها السلام^(٣) وزاد ابن حجر^(٤) أنها قالت: (إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله)، لا إشكال أن لهذا السلام منشأ، وإلا فإنه لا يصدر عن الحكيم لأنه يلزم اللغوية، والخالق منزّه من اللغوية، بالأدلة العقلية والنقلية، وهذا السلام يكشف أن لهذا الفرد خصوصية عند

(١) الأمالي: ص ٤٦٨.

(٢) شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٨.

(٤) الإصابة: ج ٨، ص ١٠٢.

المولى تعالى.

وكان يجلبها في حياتها وحتى بعد وفاتها، ويعتز بها ويقدر مواقفها المشرفة، كما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: ((يا خديجة إن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً))^(١)، وروي ابن هشام في سيرته^(٢)، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((والله ما رزقت خيراً من خديجة، آمنت بي حيث كذّبتني الناس، وأعطتني حيث منعني الناس، وكانت من أحسن النساء حجلاً، وأكملهن عقلاً، وأتمهن رأياً، وأكثرهن عفة وديناً وحباً ومروّة ومالاً))^(٣).

كما ذكر الكنجي الشافعي عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: ((ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وآله إلا على خديجة، وإني لم أدركها. وكان رسول الله إذا ذبح شاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قال: فأغضبتة [عائشة] يوماً... فقال: إني رزقت حبها))^(٤).

وذكر ابن الجوزي في تاريخه عن عائشة: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة عليها السلام فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر الناس، وصدقني إذ كذبتني الناس، وواستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد الناس))^(٥)، ولعمري لقد كان هذا من عائشة بعد وفاة خديجة عليها السلام، فكيف لو كانت سلام الله عليها على قيد الحياة؟! وإذا كانت غيرة عائشة قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء، وكيف كانت معاملتها لهن؟!

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٨.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٨٠.

(٣) الخصائص الفاطمية: ج ١، ص ٤٤٢.

(٤) صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٨٨، كفاية الطالب: ص ٣٥٩.

(٥) تاريخ ابن الجوزي: ج ٣، ص ١٨.

أقول: لو لم يكن إلا هذه الرواية في ذكر سيدتنا ومولاتنا أم المؤمنين خديجة عليها السلام لكانت أعظم شهادة لها في هذا الكون وعلى لسان من؟ لسان رسول الإنسانية وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، ويقسم بالله العظيم على عظم شأنها وحبها وإيمانها وتصديقها بالله ورسوله في وقت كفر الناس به وصدوا عنه، وأن الله لم يخلفه خيراً منها - أي أنه لم تسد مكانها أية زوجة من زوجاته صلى الله عليه وآله - .
هذه الشهادة عند الإنسان العاقل والمنصف، وعند من لا تتحكم به العصبية والحقد البغيض، ليست بقليلة بل هي حقيقة واضحة وشهادة عظيمة لهذه الإنسانية العظيمة التي ضحت بنفسها وأموالها وذريتها، وكل ما ملكت من أجل إعلاء كلمة الحق وإحياء هذا الدين ونصرته ودحض الباطل وأهله.

وصاياها عليها السلام:

وجاء في كتاب شجرة طوبى: ((ولما اشتد مرضها قالت: يا رسول الله اسمع وصاياي... الوصية الثالثة فإني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقول لك فإني مستحبة منك يا رسول الله، فقام النبي صلى الله عليه وآله وخرج من الحجرة، فدعت بفاطمة وقالت: يا حبيبي وقرّة عيني قولي لأبيك إن أمي تقول أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفّني فيه، فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسرت به سروراً عظيماً، فلما توفيت خديجة أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرائيل وقال: يا رسول الله إن الله يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمد إن كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سيلنا فجاء جبرائيل بكفن وقال: يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهده الله إليها، فكفنها رسول الله بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرائيل ثانياً، فكان لها كفنان، كفن من الله وكفن من رسول الله صلى الله عليه وآله))^(١).

وفاة السيِّدة خديجة عليها السلام:

أقامت عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله أربعاً وعشرين سنة وشهراً، ولم يتزوج غيرها، إلا بعد أن توفيت عليها السلام (١). وكانت وفاتها مصيبة عظيمة على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تبعتها مصائب وكوارث تحملها النبي صلى الله عليه وآله برباطة جأش وصبر على المكاره، حتى إنه صلى الله عليه وآله سمى العام الذي توفي فيه أبو طالب وخديجة عليها السلام بعام الحزن (٢). وعند دفنها نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفرتها وأدخلها القبر بيده الشريفة في مقبرة الحجون - والحجون: بفتح الحاء جبل بمكة - (٣)، وكان على قبرها قبة، وقد طالتها ايدي التخريب، فهدمت.

وكانت وفاة السيِّدة خديجة عليها السلام وأبي طالب عليه السلام في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين أي في السنة العاشرة من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب (٤). وبعد وفاة السيد خديجة عليها السلام أصبح منزلها أحد الأماكن المقدسة التي يؤمها آلاف الحجاج سنوياً، ويذكر الفقهاء يستحب للحجاج أن يزور قبر خديجة عليها السلام (٥). وللأسف الشديد لم تترك الفرقة الوهابية الضالة عدوة الدين والإسلام قبة الوحي فقد امتدت إليها بالتخريب والتدمير كما هو شأن باقي الآثار الإسلامية وسوّتها بالأرض فإننا لله وإنا إليه راجعون، فسلامٌ على أم المؤمنين خديجة قرينة سيِّد الأنبياء والمرسلين وأم سيِّدة نساء العالمين. والسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد واله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق: ج ١٩، ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق: ج ١٨، ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق: ج ١٩، ص ٢٠.

(٥) ذخيرة المعاد: ج ١، ص ٦٩٥.

المناسبات الدينية لشهر رمضان

المجتبى

المجتبى السبى

الزكى
الطيب

الولى
السيد

الولى
التقى

المجتبى
السبى

الزكى
الطيب

الولى
التقى

الولى
السيد

المجتبى



قسم الشؤون الدينية
شعبة التأليف
سلسلة إصدارات المؤسسات المسورة

٤٥

(١٥) رمضان

ولاحة الإمام

الحسين
ع

المجتبى

الزكى

التقى

السبى

الطيب

عالم

ولادة الإمام الحسن الزكي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
أسمه: الحسن عليه السلام.

ولادته: ولد عليه السلام في (١٥ رمضان ٣ هـ - ٤ مارس ٦٢٥ م) وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام مدة الحمل وكان حمل أبي عبد الله عليه السلام ستة أشهر.

أبوه: علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله ﷺ أمه: فاطمة بنت رسول الله ﷺ
مدّة عمره وإمامته عليه السلام: عمره ٤٧ عاماً، وإمامته ١٠ سنوات، فأقام أبو محمد مع جده رسول الله ﷺ سبع سنين، وأقام مع أبيه بعد وفاة جده ثلاثين سنة، وأقام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام عشر سنين.

كنيته: أبو محمد.

لقابه: المجتبي، التقي، الزكي، السبط، الطيب، السيد، الولي.

زوجاته: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، أم بشير بنت أبي مسعود عتبة بن عمرو الخزرجي، حولة بنت منظور الفزارية، جعدة بنت الأشعث.

هيئته عليه السلام:

ذكر المؤرخون في هيئته عليه السلام ما رواه غير واحد، منهم ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة مرفوعاً إلى أحمد بن محمد بن أيوب المقبري وغيره قالوا: ((كان أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين (والدعج وهو شدة سواد العين مع سعتها)، سهل الخدين، كث اللحية، جعد الشعر ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، حسن البدن، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الكراديس، دقيق المسربة، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً))^(١).

(١) ذخائر العقبى: ص ١٢٧.

شخصيته وصفته ﷺ :

خير ما يمكن أن يتعرف عليه القارئ الكريم من شخصية الإمام الحسن المجتبي ﷺ ويرى صفته هو أقوال رسول الله ﷺ فيه، فمن حيث الشخصية فقد قال ﷺ له: ((أشبهت خلقي وخلقي))^(١).

ومن كان خلقه خلق المصطفى ﷺ فكيف بالقلوب لا تحن إليه والنفوس لا تأنس بجواره حتى من خالفه وانصرف عنه إلى غيره، فقد عرف معاصروه ذلك فوصفوه بما استطاعوا ولكن لم يعرفوا حقه.

وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ترقصه وتقول :

أشبهه أباك يا حسن * واخلع عن الحق الرسن
وأعبد إلهاً ذا منن * ولا توالسي ذا الإحن

قال عنه واصل بن عطاء (مؤسس مذهب الاعتزال وهو مذهب كلامي في أصول الدين، نشأ هذا المذهب مطلع القرن الثاني الهجري)^(٢): ((كان الحسن بن علي عليهما السلام عليه سيماء الملوك وهيبة الأنبياء. وقال معاوية: ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ، إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي عليهما السلام)^(٣).

وقال الحافظ الذهبي: ((كان عليهما السلام حليماً، ورعاً، فاضلاً، وقال ابن حجر في الصواعق أيضاً: في بعض مآثره عليهما السلام: كان عليهما السلام سيداً، كريماً، زاهداً، ذا سكينة ووقار وحشمة، جواداً، ممدوحاً))^(٤).

وقيل له عليهما السلام: ((ان فيك عظمة، قال: في عزة قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٥.

(٢) الملل والنحل: ج ١، ص ٥٧ - ١١٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٢٧.

(٤) مناقب أهل البيت عليهم السلام: ص ٢٤٠.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٧٦.

هيبته عليه السلام :

قالت فاطمة عليها السلام: ((يا رسول الله هذان ابناك فأنحلهما، فقال رسول الله ﷺ: أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي))^(١). وهذه الهيبة كانت تدخل على نفس القريب والبعيد ممن عرفوا الإمام الحسن عليه السلام. قال عبد الله بن عروة بن الزبير: ((رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي عليه السلام في غداة من الشتاء باردة، قال، فوالله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقاً فغاضني ذلك فقممت إليه فقلت يا عم، قال ما تشاء؟ قال، فقلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فأقممت حتى تفسخ جبينك عرقاً؟!)).

قال: يا بن أخي أنه ابن فاطمة عليها السلام لا والله ما قامت النساء عن مثله))^(٢).

حلمه عليه السلام:

ذكر ابن خلكان عن ابن عائشة: ((أن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أر أحسن وجهاً ولا سمماً ولا ثوباً، ولا دابة منه فمال قلبي إليه، فسألت عنه، ف قيل هذا الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فامتلاً قلبي له بغضا وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه وقلت له أنت ابن علي بن أبي طالب قال أنا ابنه قلت: فعل بك وبأبيك أسبهما!!، فلما انقضى كلامي قال لي: (أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاوناك)).

قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحب إليّ منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي))^(٣).

(١) الخصال: ص ٧٧، دلائل الإمامة: ص ٦٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٢٤٠؛ تهذيب الكمال: ج ٦، ص ٢٢٣.

(٣) وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٦٨.

تواضعه عليه السلام:

كان من تواضعه على عظيم مكانته أنه مرّ بفقراء وضعوا كسيرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: ((هلم يا ابن رسول الله إلى الغداء! فنزل وقال: إن الله لا يحب المتكبرين وجعل يأكل معهم. ثم دعاهم الى ضيافته فأطعمهم وكساهم))^(١).

عبادته عليه السلام:

كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا، حج خمساً وعشرين حجة ماشياً، والنجائب لتقاد معه. وكان إذا توضأ، أو إذا صلى ارتعدت فرائضه واصفر لونه. وإذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث بكى، وإذا ذكر المر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنة وتعوذ بالله من النار، ولم ير في شيء من أحواله إلا ذكراً لله سبحانه))^(٢).

سخائه وكرمه عليه السلام:

يكفي في كرمه وسخائه أن يقال انه انفق طوال عمره كل أمواله وممتلكاته عليه السلام مرتين في سبيل الله، وقاسم أمواله ثلاث مرات حيث انفق نصفها في سبيل الله و نصفها الآخر احتفظ بها لنفسه

أولاده عليه السلام: أولاد الإمام الحسن عليه السلام على ما ذكره الشيخ المفيد فهم خمسة عشر ولدا ذكرا وأنثى، فأما الذكور فهم:

- ١- زيد بن الحسن، وأمه هي أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية.
- ٢- الحسن بن الحسن، وأمه خولة بنت منظور الفزارية.
- ٣- عمرو بن الحسن.
- ٤- القاسم بن الحسن.

(١) صلح الحسن عليه السلام الشيخ راضي آل ياسين: ص ٨٢.

(٢) الأماي: ص ٤٤٢.

٥- عبد الله بن الحسن. ٦- عبد الرحمن بن الحسن.

٧٨- الحسين الملقب بالاثرم وطلحة وأمهما أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي.

وأما البنات فهن:

أم الحسن، وأم الحسين، وأمهما هي أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو الخزرجية. وفاطمة بنت الحسن، وأمها أم إسحاق بنت طلحة. وأم عبد الله، وفاطمة، وأم سلمه، ورقية فهن لأمهات شتى.

الصلح مع معاوية:

روى فريق من المؤرخين، فيهم الطبري وابن الأثير: ((أن معاوية أرسل إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بختمه)، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت، فهو لك))^(١).

ثم بتروا الحديث، فلم يذكروا بعد ذلك، ماذا كتب الإمام الحسن عليه السلام على صحيفة معاوية، وبتتبع المصادر المتيسرة، لم نر فيها عرضته من شروط الحسن عليه السلام، إلا النزر اليسير الذي يعترف رواها بأنها جزء من كل، وسجل مصدر واحد صورة ذات بدء وختام، فُرِضَ أنها (النص الكامل لمعاهدة الصلح)، ولكنها جاءت - في كثير من مواضعها - منقوذة بروايات أخرى تفضلها سنداً، وتزيدها عدداً.

وبتأليف صورة من هذا الشتات تجمع الأصح الأهم، مما حملته الروايات الكثيرة عن هذه المعاهدة، لتكون - مع هذه العناية في الاختيار والتسجيل - أقرب إلى واقعها الذي وقعت عليه كما يلي:

صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، وبسيرة الخلفاء الصالحين.

(١) تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٩٣ الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤١٠.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده، فإن حدث به حدث فلا أخيه الحسين عليه السلام، وليس معاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمل تسليم الأمر.

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمنَ الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة، وعلى أمان أصحاب عليٍّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقبهم بشيء، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب عليٍّ حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، غائلة، سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق. وكان ذلك في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ على أصح الروايات.

ويقول السيد عبد الحسين شرف الدين في تحليله لبنود الصلح: فلم يهدف معاوية في صلحه مع الحسن عليه السلام، إلا الأستيلاء على الملك، ولم يرض الحسن بتسليم الملك لمعاوية إلا ليصون مبادئه من الانقراض، وليحفظ شيعة من الإبادة، ولتأكد السبيل إلى استرجاع الحق المغصوب يوم موت معاوية ..

تصريحات الإمام الحسن عليه السلام لشيعته بخصوص الصلح:

- ١- ما تدرون ما فعلت والله للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس
- ٢- وما قاله مرة أخرى لبشير الهمداني وهو أحد رؤساء شيعة في الكوفة:

((ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل))^(١).

٣- وما قاله في خطابه - بعد الصلح - : ((أيها الناس إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا، وقد سالمت معاوية، وإن أدري لعله فتنة ومتاع إلى حين))^(٢).

من وصايا عليه السلام:

- ١- قال عليه السلام: ((المزاح يأكل الهيبة، وقد أكثر من الهيبة الصامت))^(٣).
- ٢- قال عليه السلام: ((الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود))^(٤).
- ٣- قال عليه السلام: ((علم الناس علمك، وتعلم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم))^(٥).
- ٤- قال عليه السلام: ((القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسبه، لا شيء أقرب من يد إلى جسد، وإن اليد تفل فتقطع وتُحسم))^(٦).
- ٥- قال عليه السلام: ((لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروءة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرّة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الداران جميعاً، ومن حرم العقل خسرهما جميعاً))^(٧).
- ٦- روى الطبراني في المعجم الكبير^(٨): ((إن علياً عليه السلام سأل ابنه الحسن بن علي عليه السلام عن أشياء من أمر المروءة فقال: يا بني ما السداد؟

قال: يا أبا السداد دفع المنكر بالمعروف.

(١) الأخبار الطوال: ص ٢٢١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المعجم الكبير: ج ٣، ص ٦٨.

قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة وموافقة الإخوان وحفظ الجيران. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المال. قال: فما الدقة؟ قال: النظر في السير ومنع الحقير. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه. قال: فما السماحة؟ قال: البذل من العسير واليسير. قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما أنفقته تلفا. قال: فما الإخاء؟ قال: المواساة في الشدة والرخاء. قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قل، وإنما الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس، ومنازعة أعزاء الناس. قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقة [الصدمة]. قال: فما العي؟ قال: العبث باللحية وكثرة البزق عند المخاطبة. قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو عن الجرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلما استوعبته. قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما حسن الثناء؟ قال: إثيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة. قال: فما السفه؟ قال: إتباع الدناءة ومصاحبة الغواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد، وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك. قال: فما المفسد؟ قال: الأحمق في ماله المتهاون في عرضه^(١).

من الشعر المنسوب إلى الإمام الحسن عليه السلام:

يا أهل لذة دنيا لا بقاء لها * إن اغترارا بظل زائل حمق

الشهادة المزعجة:

قُتل مسموماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث الكندي، بأمر من معاوية بن أبي سفيان. قال الشيخ المفيد رحمته: ((وَصَمِنَ [أي: معاوية] لها أن يزوجهَا بابنه يزيد، وأرسل إليها مائة ألف درهم، فسقته جعدة السم))^(١)، ففعلت وسمت الإمام الحسن عليه السلام، فسوَّغها المال ولم يزوجهَا من يزيد. فمضى إمامنا الحسن عليه السلام شهيداً صابراً وهو ابن سبع وأربعين سنة، وذلك في السابع من صفر سنة (٥٠) للهجرة على المشهور، ودفن في البقيع. فسلام الله عليك يا سيدي ومولاي يا أبا محمد الحسن الزكي يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٤٦



المناسبات الدينية لشهر رمضان

غزوة بدر الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

على مدى ثلاث عشرة سنة كان النبي ﷺ يجاهد من أجل نشر الإسلام وأحكامه في مكة. إلا أنه لم يجد أرضاً خصبة لإنبات هذه البذرة ونموها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد له لأهم ناصرين له وهما عمه أبو طالب، وزوجه أم المؤمنين عليها السلام، لذا كان الأمر الإلهي بالهجرة إلى المدينة المنورة، وبوصول النبي الأعظم ﷺ إلى المدينة بدأت حقبة جديدة، أسس خلالها ﷺ دولته دولة الإسلام الخالد. نعم، هاجر النبي ﷺ والمسلمون تاركين أموالهم وما يملكون في مكة، فما كان من قريش إلا أن صادرت هذه الممتلكات واستولت عليها. وبعد أن استقر النبي ﷺ في دار هجرته، أخذ يؤسس دولته الإسلامية ويعزز كيانه حتى تميزت بعد السنة الثانية بمميزات عدة منها: أن النبي ﷺ أخذ بالضغط على قريش وذلك من خلال إرسال السرايا إلى خارج المدينة والتعرض للقوافل التجارية التابعة لقريش، وهذه السرايا تمثل استعراضاً عسكرياً ومناورات حربية هدفها إرسال رسالة إلى المشركين، بأن المسلمين لديهم القدرة والقابلية على المواجهة، كما أنهم قادرون على تغيير الخارطة وميزان القوى في المنطقة، ولهم القدرة على تهديد تجارة قريش واعتراضها. لم يكن هدف النبي ﷺ من بعث السرايا الحصول على الأموال، بل كان الهدف جمع المعلومات عن العدو ورصد تحركاته، وبيان أن المسلمين قوة فاعلة في المنطقة، وتشكيل ضغط على قريش للاعتراف بالإسلام والمسلمين وعدم إلحاق الأذى بهم، وإعلام قريش بأن طريق تجارتهم أصبح في متناول يده، وبالتالي استطاعته أن يشل اقتصاد قريش.

كما أن من المميزات والأحداث العظيمة التي حدثت في هذه السنة، والتي لها أثر كبير في حياة الإسلام والمسلمين هي واقعة بدر الكبرى، ويعبر عنها بالغزوة، والغزوة مصطلح درج عليه أهل التاريخ ويراد به المعركة التي كان يقودها النبي ﷺ بنفسه. مثل غزوة العشيرة، التي كانت بقيادته ﷺ، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفيها كني علي عليه السلام بأبي تراب. أما السرية فهي التي لم يشترك بها ﷺ بنفسه بل يعين لها أحد القادة، كالسرية التي بعثها ﷺ بقيادة حمزة بن عبد المطلب وعقد له أول لواء عسكري، وغيرها من السرايا.

تاريخ غزوه بدر:

كانت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية والتي حدثت بين المسلمين ومشركي مكة، قرب بئر ماء تدعى (ماء بدر) على بعد (١٦٠ كم) من المدينة تقريباً بين مكة والمدينة، خرج الرسول الأعظم ﷺ ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، عدد أصحاب طالوت، وكان معهم من الإبل سبعون بعيراً يتعاقبون عليها، الإثنان والثلاثة، وكان معه من الخيل: فرس للمقداد قطعاً بإجماع المؤرخين، وخرجت قريش بألف مقاتل تحمل أحقادها وكبرياءها، فجاءت ونزلت قرب ماء بدر..

تحليل:

لقد كان لا بد للمسلمين من الاستفادة من حق الدفاع عن النفس في مقابل المكيين، الذين كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم، ويصدون عن سبيل الله، ومن حق كل أحد: أن يقاتل من أجل أن يمتلك حرية الرأي، والفكر، والعقيدة، وحرية الدعوة إلى الله، ولا سيما حين يكون الطرف الآخر مصراً على استعمال العنف، وكافة الأساليب الخارجة عن أنماط السلوك الإنساني، فالإسلام لا يريد أن يجبر أحداً على الدخول فيه، وإنما يريد أن يحصل على الحرية في الرأي وفي الاعتقاد، وفي الموقف، وحتى حين ينتصر على أعدائه، فإنه يضع أمام من

يتصر عليهم عدة خيارات، ليس اعتناق الإسلام إلا واحداً منها، وكان من يعتنق الإسلام يعتنقه بملاء رغبتة، وحرية، وإرادته، ومن دون أي ضغط من قبل المسلمين، ولقد اعتنقت كثير من البلدان الإسلام بمجرد اطلاعها عليه، من دون انتظار الفتح الإسلامي. ولكن ذلك لا يعني أن يقف الإسلام والمسلمون مكتوفي الأيدي أمام أي اضطهاد، أو اعتداء، أو ظلم يمارس ضدهم، وأن يخضعوا لضغوط وإرادات الآخرين، الذين لن يرضوا إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين نهائياً. كما أن ذلك لا يعني أن لا يعد المسلمون لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم، لأن الإسلام الذي يدعون إليه، ويطالبون بحرية التفكير والنظر فيه، ليس مجرد طقوس فردية، وتزكية نفسية، وإنما هو نظام عام شامل يريد أن يقود عملية تغيير شاملة على مستوى العالم بأسره، الأمر الذي يحتم أن تتوفر الحماية الكاملة لهذا الإسلام، الذي لا بد أن يصطدم بأصحاب الأطماع، والأهواء، وبالجارين الذين يحكمون الناس بوحى من مصالحهم ورغباتهم. نعم، لا بد من الحماية الكافية ولا بد من استعمال أسلوب القوة إذا لم يمكن تأمين حرية الفكر، والرأي، والعقيدة إلا بذلك، وليوجد من ثم الجو والمناخ المناسب لتطبيق الجانب التشريعي للإسلام.

فالمسلمون إذا قاتلوا، فإننا يقاتلون انطلاقاً من حقهم الذي جعله الله لهم، ومن أجل ذلك الحق في سبيله، وطلباً له، على حد تعبير الرسول الأكرم ﷺ في قوله لعلي عليه السلام، وحمزة وعبيدة: (فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم)؟، وكما قرره الله تعالى حيث يقول: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(١) فالإذن بالقتال للمسلمين إنما هو في صورة كون غيرهم قد بدأهم به، بالإضافة إلى كونهم قد أُخْرِجُوا من ديارهم.

ما هو الحق الذي جعله الله للمسلمين:

الحق الذي أشار إليه النبي ﷺ هو حق حرية الرأي والعقيدة، وحق الدفاع عن دين الله، وعن النفس، وردّ البغي والعدوان في مقابل القرشيين الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوا أموالهم، بل وقتلوا منهم من قتلوا، وبغوا عليهم أقبح البغي؟! . وخلاصة الأمر: أنهم يريدون أن يعيشوا أحراراً، وأن يدافعوا عن دين الله في مقابل من يريد الاستمرار في الانحراف والتعدي. وللمظلوم حق في أن يطالب بإنصافه من ظالمه، والباغي عليه، نعم، قريش أرادت إطفاء نور الله، وأصرت على حرب المسلمين وإذلالهم.

مقدمات الغزوة:

وذلك أن العير التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة وأفلتت منهم إلى الشام، ظل النبي ﷺ يترقبها، حتى علم بعودتها، وكانت بقيادة أبي سفيان، ومعه بين ثلاثين إلى سبعين راكباً. وفيها أموال قريش، حتى قيل: إن فيها ما قيمته خمسون ألف دينار، في ذلك الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة، فندب رسول الله ﷺ المسلمين للخروج إليها، يقول عدد من المؤرخين: وأبطأ عن النبي ﷺ كثير من أصحابه، وكرهوا خروجه، وكان في ذلك كلام كثير واختلاف. وتخلف بعضهم، كعثمان بن عفان الذي تخلف عن بدر في جملة من كرهوا الخروج مع النبي ﷺ. ويؤيد ذلك عدة أمور منها: أن عبد الرحمن بن عوف - وهو اخو عثمان بالمؤاخاة - قد عيّره بالتخلف عن بدر، فقد ذكروا أن عبد الرحمن لقي الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك قد جفوت عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أي لم أفر يوم عينين - يوم أحد - ولم أتخلف يوم بدر. ونلاحظ أن مؤرخي السلطة رووا أن عثمان اعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه رقية^(١) لكن الحقيقة غير ذلك وهي أن هناك صحابي آخر تأخر عن الخروج مع النبي ﷺ لتمريض أمه، فأمره النبي ﷺ بالمقام معها، وهو أبو امامة بن ثعلبة، وقد

ضرب له النبي ﷺ بأجره وسهمه^(١).

وقد حكى الله تعالى في كتابه الكريم كراهة البعض للخروج، فقال: ﴿كَمَّا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٢).
نعم لقد كرهوا ذلك لعلمهم بأن قريشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا.

أبو سفيان ينجو:

غير أبو سفيان طريقه واتجه نحو الساحل بعد أن عرف بمسير المسلمين للاستيلاء على القافلة، وأرسل إلى قريش من يخبرهم بتعرض النبي ﷺ لقاقتهم، فجاءهم النذير يناديهم: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة، اللطيمة، العير العير، أدركوا، وما أراكم تدركون، إن محمداً والصبابة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم، فتهيئوا للخروج، وما بقي أحد من عطاء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، وخرج معهم العباس بن عبد المطلب...، وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف^(٣).

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بقريش، فأمر بحبسهم، فحسبوا، فعلم مشركو قريش، ففزعوا، وندموا على مسيرهم، حيث إنهم بعد أن علموا بنجاة العير أصروا على المجيء إلى بدر لتهاجم العرب. وقد اعترف عتبة بن ربيعة، الذي كان ولده أبو حذيفة مع النبي ﷺ: بأن مسيرهم بعد نجاة عيرهم كان بغياً منهم وعدواناً، وبذلت محاولة للاتفاق على الرجوع، لكن أبا جهل أبى ذلك، وقال: لا، واللات والعزى، حتى نقحم عليهم يثرب، ونأخذهم أسارى، فندخلهم مكة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يقوم بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه. فخطب

(١) الاستيعاب: ج ٤، ص ١٦٠١.

(٢) سورة الأنفال: الآيات ٥ - ٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٢١٦.

النبي ﷺ قريشاً قائلاً: يا معشر قريش إني أكره أن أبدأكم، فخلّوني والعرب وارجعوا.

أهداف الحرب:

والملاحظة الهامة هنا هي: أن النبي ﷺ يصرح بأن حرب بدر حرب مصيرية، وأن هدفه من هذه الحرب هو التمكين لعبادة الله تعالى، وليس عبادة الذات، أو المال، أو الجنس، أو الجاه، أو السلطان، ولا غير ذلك. إن هدف الحرب الهداية والإصلاح لا الإبادة والانتقام، ولذلك أنزل الله تعالى على نبيه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) أما هدف المشركين، فهم أنفسهم قد أفصحوا عنه، وهو لكي تهاجم العرب، وأن لا يكون بينهم وبين متجرهم أحد يكرهونه. وشتان ما بين الهدفين، وكذلك ما بين نتائج الحرب.

النبي ﷺ يطالب المشورة:

لما كان المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قريش، ومجيئها، خافوا وجزعوا من ذلك، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في الحرب، أو طلب العير، فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلت منذ عزت، ولم تخرج على هيئة الحرب، فقال له رسول الله ﷺ: إجلس، فجلس، فقال ﷺ: أشيروا علي، فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فأمره النبي ﷺ بالجلوس، فجلس. ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمن بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا: أن نخوض جمر الغضا - الغضا شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب -، وشوك المهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢) ولكننا

(١) سورة الأنفال: آية ٦١.

(٢) سورة المائدة: آية ٢٤.

نقول: اذهب أنت وربك، فقاتلا، إنا معكم مقاتلون. والله لقاتلن عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لتبعناك. فأشرق وجه النبي ﷺ، ودعاه، وسر لذلك، وبهذه الكلمة غير الموقف وأعطى المقاتلين عزماً وإقداماً، ثم قال ﷺ: أشيروا علي - وإنما يريد الأنصار، لأن أكثر الناس منهم، ولأنه كان يخشى أن يكونوا يرون: أن عليهم نصرته في المدينة، إن دهمه عدو، لا في خارجها، فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كأنك أردتنا؟ فقال: نعم. فقال: فلعلك قد خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ قال: نعم. قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت. إلى أن قال: والله، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل الله يريك ما تقرب به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسّر النبي ﷺ، وأمرهم بالمسير، وأخبرهم بأن الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، ثم قال: والله، لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة الخ..^(١) وسار حتى نزل بدرأ. وهكذا أصحاب المواقف يُعرفون عند المحك، فمن موقف الشيخين من جهة، وموقف المقداد وسعد من جهة أخرى، يتضح زيف ما زعموا من أحاديث حول تفضيل كل أصحاب بدر على لسان الرسول الكريم ﷺ. ويتضح هذا الأمر أكثر عندما نلاحظ سرور النبي ﷺ بكلام المقداد المنسجم مع أهدافه ﷺ ومع المنطق السليم، حتى أننا نجد أن من الصحابة من يتمنى أن يكون هو صاحب هذا الموقف، فقد ذكروا أن ابن مسعود قال عن موقف المقداد هذا: ((شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به))^(٢)، كما أننا نلاحظ أن المقداد وسعد بن معاذ لم يقدموا بين يدي رسول الله ﷺ

(١) الدر المنثور: ج ٣، ص ٣٦١ و ٩٦١، والبداية والنهاية: ج ٣، ص ٣٦٢.

(٢) تاريخ الإسلام: ج ٢، ص ٨١.

أمراً، ولم يبدياً رأياً، وهذا لعمري هو الأيمان بعينه، وغاية التسليم، وقمة الوعي، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١) أما ما قاله الآخران فاستحق الإعراض من قبله ﷺ لأنه كان ينطوي على عدم الإيمان، كما كان يتعارض مع أهداف النبي ﷺ وما يرمي الوصول إليه.

لماذا الاستشارة:

من المسلم به أن النبي ﷺ لم يكن بحاجة رأيهم، ولكنه ﷺ استشارهم لأنهم الذين سوف يتحملون أعباء الحرب، ويعانون من نتائجها، على مختلف الأصعدة، كما أنه ﷺ يهدف إلى كشف دخائل نفوسهم، وتمييز الشجاع من الجبان، والمؤمن من المنافق، والولي من العدو، وغيرها من الأمور. كما أن هناك أمراً آخر وهو أنه يبدو أن الأنصار كانوا يرون: أن عليهم نصر النبي ﷺ في دارهم، إن دهمه أمر، فيمنعون مما يمنعون منه أنفسهم. أما إذا كان هو نفسه المهاجم لغيره، أو كانت الحرب في غير بلدهم، فلا نصرة له عليهم، وذلك هو ظاهر ما تم الاتفاق عليه في بيعة العقبة التي كانت قبل الهجرة. ويدل على ذلك: أن المؤرخين يصرحون في غزوة بدر: أنه ﷺ كان يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممن دهمه في المدينة، وليس عليهم أن يسير بهم.

في بدر:

وسبق المشركون إلى بدر، فنزلوا في العدو القصوى، في جانب الوادي مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين. قال تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾^(٢). ومحل نزولهم كان صلباً، ونزل المسلمون في العدو الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لا ماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم، مما يعني أن منزل المسلمين كان من وجهة نظر عسكرية غير مناسب. ولكن

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٦.

(٢) سورة الأنفال: آية ٤٢.

الله أيد عباده ونصرهم على عدوهم، وجاء المطر ليلاً على المشركين، فأوحلت أرضهم، وعلى المسلمين، فلبدها، وجعلها صلبة، وجعلوا الماء في الحياض. وهكذا بدأت المعركة ودارت رحاها طاحنة مدمرة، وكان لعلي بن أبي طالب عليه السلام في هذه المعركة دور فعال وظهرت شجاعته المتميزة بين صفوف المسلمين حيث قتل لوحده نصف قتلى المشركين، واشترك مع المسلمين في النصف الآخر، وتدخلت يد الغيب، وجاء الإمداد الملائكي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فحقق الله النصر للإسلام بسيف علي عليه السلام وبمدده الغيبي. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: ((لما نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى كثرة المشركين، وقلّة المسلمين، استقبل القبلة، وقال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)، فنزلت الآية: ﴿إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)))، واندحرت قريش تجرّ أذيال الخيبة والخسران، إذ تشتت عسكرها بين قتيل وجريح وأسير، وانهزم الباقون. إنّ يوم بدر يوم عظيم أعزّ الله فيه الإسلام والمسلمين، ورفع معنوياتهم، وأذلّ الشرك والمشركين، وهزّ عروش الظالمين، وهو اليوم الذي سمّاه القرآن بيوم الفرقان، كما في الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ﴾^(٢) وكان عدد القتلى من المشركين سبعين رجلاً، وقد أسر منهم سبعين رجلاً، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، واستشهد من المسلمين سبعة مجاهدين.

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل بنفسه قتالاً شديداً^(٤)، كما أنهم يروون عن علي عليه السلام أيضاً قوله: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول

(١) سورة الأنفال: الآيات ٩ - ١٠.

(٢) الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ج ٥، ص ٢٩٨.

(٣) سورة الأنفال: آية ٤١.

(٤) السيرة الحلبية: ج ٢، ص ١٢٣ و ١٦٧.

الله ﷺ، فكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه^(١).
وفي الختام نسال الله تعالى أن يوفقنا والجميع لنصرة الحق وأهله، وأن نكون
من الثابتين على ولاية آل محمد ﷺ إنه سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين المعصومين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ١٣٥.



مناسبات الشهر

شهر شوال



١هـ زكاة الفطرة

١٥هـ غزوة أحد وغزوة بني القينقاع

١٥هـ رد الشمس

٢٥هـ شهادة الإمام الصادق عليه السلام



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(١)

زكاة الْفطْرَة



المناسبات الدينية لشهر شوال

أحكام زكاة الفطرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((من تمام الصوم إعطاء الزكاة))^(١) يعني زكاة الفطرة.

زكاة الفطرة:

السؤال: على من تجب زكاة الفطرة؟

الجواب: يجب على كل بالغ عاقل مالك لقوت سنته فعلا (بأن كان يملك قوت سنته لنفسه ولعِياله)، أو قوة (بأن كان له صنعة أو حرفة مثلا يتمكن بها من توفير قوت نفسه وعِياله) أن يخرج زكاة الفطرة عن نفسه وعن كل من يعول به، واجب النفقة كان أم غيره، قريبا أم بعيدا مسلما أم كافرا، صغيرا أم كبيرا، مسافرا أم حاضرا، حتى ضيفه إذا نزل عنده قبل دخول ليلة عيد الفطر [أو بعد دخولها على الأحوط وجوبا] وانضم إلى عِياله وعد ممن يعول به، ويجب في أدائها قصد القربة على النحو المعتبر في زكاة المال.

السؤال: يتصور البعض أن كل ضيف ليلة العيد تجب زكاة فطرته على مضيّقه فهل هذا صحيح؟

الجواب: كلا هذا غير صحيح بل لا بد أن يعد الضيف عرفا أنه ممن يعول به المضيّف حيث يعتبر في العيال نوع من التبعية بمعنى كونه تحت كفالته في معيشته ولو في مدة قصيرة سواء أكل أم لم يأكل، كالضيف الذي ينزل على مضيّقه قبل الهلال وبقي عنده ليلة العيد وإن لم يأكل عنده، وكذلك فيما إذا نزل بعده - أي بعد الهلال - على الأحوط لزوما، وأما إذا دعا شخصا إلى الافطار ليلة العيد لم يكن من العيال، ولم تجب فطرته على من دعاه.

السؤال: هل يستحب إخراج زكاة الفطرة للفقير؟

(١) وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٠٧.

الجواب: نعم يستحب للفقير إخراجها أيضا عنه وعمّن يعوله، وإذا لم يكن عنده إلا صاع واحد تصدق به على بعض عياله، ثم هو على آخر يديرونها بينهم، والأحوط استحبابا عند انتهاء الدور التصدق على الأجنبي، كما إن الأحوط استحبابا إذا كان فيهم صغير أو مجنون أن يأخذه الولي لنفسه ويؤدي عنه.

السؤال: من وجبت فطرته على غيره هل تسقط عنه؟

الجواب: نعم تسقط عنه، ولكن الأحوط وجوبا عدم السقوط إذا لم يخرجها من وجبت عليه عصيانا أو نسيانا.

السؤال: إذا كان المعيل فقيرا فهل تجب زكاة الفطرة على العيال؟

الجواب: نعم تجب زكاة الفطرة على العيال إذا اجتمعت شرائط الوجوب.

مقدار زكاة الفطرة وجنسها:

السؤال: ما هو جنس زكاة الفطرة؟

الجواب: الضابط في جنس الفطرة أن يكون قوتا شايعا لأهل البلد يتعارف عندهم التغذي به وإن لم يقتصروا عليه سواء أكان من الأجناس الأربعة (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) أم من غيرها كالأرز والذرة.

السؤال: هل يجوز الدفع من القسم المعيب من الطعام؟

الجواب: الأحوط وجوبا أن لا تخرج الفطرة من القسم المعيب.

السؤال: هل يجزي دفع قيمة الطعام؟

الجواب: نعم يجزي دفع القيمة من النقود عوضا عن الأجناس المذكورة، والمدار قيمة وقت الأداء لا الوجوب، وبلد الإخراج لا بلد المكلف.

السؤال: ما هو المقدار الواجب دفعه من الفطرة؟

الجواب: المقدار الواجب صاع وهو أربعة أمداد، ويكفي فيها إعطاء ثلاث يلوغرامات.

السؤال: هل يجزي ما دون الصاع من الجيد إذا كانت قيمته تساوي قيمة صاع من غير الجيد؟

الجواب: كلا لا يجزي بل لا بد من دفع صاع كامل.

السؤال: هل يجزي الصاع الملقق من جنسين؟

الجواب: كلا لا يجزي، ولكن لا يشترط اتحاد جنس ما يخرج عن نفسه مع ما يخرج عن عياله، ولا اتحاد ما يخرج عن بعضهم مع ما يخرج عن البعض الآخر.

وقت عزل زكاة الفطرة ودفعها:

السؤال: متى يجب عزل زكاة الفطرة؟

الجواب: يجب عزل زكاة الفطرة بدخول ليلة العيد على المشهور ويجوز تأخيرها إلى زوال الشمس يوم العيد لمن لم يصل صلاة العيد والأحوط لزوماً عدم تأخيرها عن صلاة العيد لمن يصليها.

السؤال: إذا عزل المكلف زكاة الفطرة فهل يجب عليه أن يدفعها فوراً أو يجوز له تأخير الدفع؟

الجواب: إذا عزلها جاز له التأخير في الدفع إذا كان التأخير لغرض عقلائي، فإذا عزلها ولم يؤديها إلى الفقير لئسيان، أو لانتظار فقير معين، أو نحو ذلك جاز أداءها إليه بعد ذلك.

السؤال: إذا لم يعزل المكلف الفطرة حتى زالت الشمس فماذا يصنع؟

الجواب: إذا لم يدفع ولم يعزل المكلف الفطرة حتى زالت الشمس لم تسقط عنه على الأحوال لزوماً، ولكن يؤديها بعدئذٍ بقصد القربة المطلقة من دون نية الاداء والقضاء.

السؤال: هل يجوز تقديم زكاة الفطرة في شهر رمضان؟

الجواب: الظاهر جواز تقديمها في شهر رمضان، وإن كان الأحوال استحباباً التقديم بعنوان القرض.

السؤال: هل يجوز عزلها في مال مخصوص؟

الجواب: نعم يجوز عزلها في مال مخصوص من تلك الأجناس أو من النقود بقيمتها، والأحوط وجوباً عدم جواز عزلها في الأزيد بحيث يكون المعزول مشتركاً بينه وبين زكاة الفطرة، وكذا الأحوال وجوباً عدم جواز عزلها في مال مشترك بينه وبين غيره وإن كان ماله بقدرها.

السؤال: إذا عزل المكلف زكاة الفطرة فهل يجوز له تبديلها؟

الجواب: كلا فإنه إذا عزلها تعينت، فلا يجوز تبديلها بمال آخر.

السؤال: إذا عزل زكاة الفطرة ولكنه أخر دفعها إلى أن تلفت فهل يضمنها؟
الجواب: نعم يضمنها إذا تلفت مع إمكان الدفع إلى المستحق ولكنه أهمل في أدائها إليه.

السؤال: هل يجوز للمكلف نقل زكاة الفطرة إلى غير بلده مع وجود المستحق في بلده؟

الجواب: نعم يجوز نقل زكاة الفطرة إلى الإمام عليه السلام أو نائبه وإن كان في بلد المكلف من يستحقها، والأحوط لزوماً عدم النقل إلى غيرهما خارج البلد مع وجود المستحق فيه، نعم إذا سافر عن بلد التكليف إلى غيره جاز دفعها في البلد الآخر.

مصرف زكاة الفطرة:

السؤال: لمن تدفع زكاة الفطرة؟

الجواب: الأحوط لزوماً اختصاص مصرف زكاة الفطرة بالفقراء والمساكين مع استجماع الشرائط المذكورة في زكاة المال.

السؤال: هل يجوز لغير الهاشمي إعطاء فطرته للهاشمي وبالعكس؟

الجواب: تحرم فطرة غير الهاشمي على الهاشمي، وتحل فطرة الهاشمي على الهاشمي وغيره، والعبارة على المعيل دون العيال، فلو كان العيال هاشمياً دون المعيل لم تحل فطرته على الهاشمي، وإذا كان المعيل هاشمياً والعيال غير هاشمياً حلت فطرته على الهاشمي.

السؤال: هل يجوز إعطاء زكاة الفطرة لمن تجب نفقته على دافع الزكاة كالأب أو الأم أو الزوجة أو الولد.

الجواب: كلا لا يجوز.

السؤال: هل يجوز للمكلف دفع فطرته إلى الفقراء بنفسه، أو لا بد من دفعها إلى الفقيه؟

الجواب: يجوز للمالك دفعها إلى الفقراء بنفسه ويستحب تقديم الأرحام والجيران على سائر الفقراء، وينبغي الترجيح بالعلم، والدين، والفضل، ولكن الأحوط استحباباً والأفضل دفعها إلى الفقيه.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٣

غزوة أحد

وبني القينقاع



المناسبات الدينية لشهر شوال

غزوة أحد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين. في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٣ هـ، وقعت غزوة أحد، وأحد جبل يبعد عن المدينة المنورة ميلين أو ثلاثة. ويسمى بذلك لانفراده وانقطاعه عن جبال أحر هناك، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ حين وقع نظره إليه: ((أحد جبل يحبنا ونحبه))^(١).

سبب هذه الغزوة:

بعد الهزيمة القاسية التي مُني بها المشركون في معركة بدر حيث أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون شخصا وأسر سبعون آخرون، وعندما رجعت قريش من بدر إلى مكة منعهم أبو سفيان من البكاء والنوح على قتلاهم ليقوا على حنقهم وغيظهم ويفكروا في الثأر لقتلاهم، وقال تأكيداً لذلك: الدهن والنساء عليّ حرام حتى أغزو محمداً، وهكذا ألبت قريش الناس على المسلمين وحرّكتهم لمقاتلتهم وسرت نداءات «الانتقام الانتقام» في كل نواحي مكة.

وفي السنة الثالثة للهجرة عزم قريش على غزو النبي ﷺ، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، مجهزين بكل ما يحتاجه القتال الحاسم، وأخرجوا معهم النساء والأطفال والأصنام، ليثبتوا في ساحات القتال.

العباس يرفع تقريراً إلى النبي ﷺ:

لم يكن العباس عم النبي قد أسلم إلى تلك الساعة، بل كان باقياً على دين قريش،

(١) عوالي اللثالي: ج ١، ص ١٧٧.

ولكنه كان يجب ابن أخيه غاية الحب، ولهذا فإنه عندما عرف بتعبئة قريش وعزمهم الأكيد على غزو المدينة ومقاتلة النبي ﷺ، بادر إلى إخبار النبي ﷺ عن طريق إرسال رسالة عاجلة يذكر فيها الموقف في مكة وعزم قريش على مقاتلته.

النبي يشاور المسلمين:

لما تأكد النبي ﷺ من وجود قوات كبيرة يقودها أبو سفيان تزحف باتجاه المدينة استدعى النبي ﷺ جميع أصحابه وأهل المدينة لدراسة الموقف، وما يمكن أو يجب اتخاذه للدفاع، وبحث معهم في أمر البقاء في المدينة ومحاربة الأعداء الغزاة في داخلها، أو الخروج منها ومقاتلتهم خارجها، ولقد كان هناك خلاف شديد في الرأي بين المسلمين في هذه الأمور، فاختار النبي ﷺ بعد المشاورة رأي الأغلبية، والتي كانت تتألف - في الأكثر - من الشباب المتحمسين، وهو الخروج من المدينة ومقاتلة العدو خارجها، بعد الاستقرار عند جبل «أحد» باعتباره أفضل مكان من الناحية العسكرية والدفاعية ..

المسلمون يتهيؤون للدفاع:

تولّى النبي ﷺ بنفسه قيادة المقاتلين وقد أمر بأن تعقد ثلاثة ألوية، دفع واحدا منها للمهاجرين، واثنين منها للأَنْصار، ثم إن النبي ﷺ قطع المسافة بين المدينة و«أحد» مشيا على الأقدام، وكان يستعرض جيشه طوال الطريق، ويرتب صفوفهم، وبعد أن وصل استقر عند الشَّعب من «أحد» في عدوة الوادي وجعل «أحدا» خلف ظهره واستقبل المدينة. وبعد أن صلى بالمسلمين الصبح صفّ صفوفهم وتعبأ للقتال، فأمر على الرماة «عبد الله بن جبير» والرماة خمسون رجلا جعلهم ﷺ على الجبل خلف المسلمين وأوعز إليهم قائلا: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم .
ومن جانب آخر، وضع أبو سفيان (خالد بن الوليد) في مأتي فارس كميناً

يتحينون الفرصة للتسلل من ذلك الشعب ومباغته المسلمين من ورائهم.

بدء القتال:

اصطفَّ الجيشان للحرب فصاح طلحة بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: مَنْ يُبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فبدره بضربة على رأسه فقتله، ثم تقدّم بلواء المشركين أخوه والنساء خلفه يجرّضن ويضربن بالدفوف فتقدم نحوه حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وضربه ضربة واحدة وصلت إلى رثته فمات، وبدأ القتال وحمل المسلمون على المشركين حملة شديدة هزمتهم شر هزيمة، وألجأتهم إلى الفرار وراح المسلمون يتعقبونهم ويلاحقون فلولهم، وفي إرشاد المفيد: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم علي عليه السلام عن آخرهم. ولما علم «خالد» بهزيمة المشركين وأراد أن يتسلل من خلف الجبل ليهجم على المسلمين من الخلف رشقه الرماة بنابهم، وحالوا بينه وبين نيته.

هذه الهزيمة التي لحقت بالمشركين دفعت ببعض المسلمين الجديدي العهد بالإسلام إلى التفكير في جمع الغنائم والانصراف عن الحرب، بظن أن المشركين هُزموا هزيمة كاملة، حتى أن بعض الرماة تركوا مواقعهم في الجبل متجاهلين تذكير قائدهم «عبد الله بن جبير» إياهم بما أوصاهم به النبي صلى الله عليه وآله ولم يبق معه إلا قليل، فتنبه «خالد بن الوليد» إلى قلة الرماة في ذلك المكان، فكرّر راجعا بالخيّل (وعددهم مائتا رجل كانوا معه في الكمين) فحملوا على «عبد الله بن جبير» ومن بقي معه من الرماة وقتلوهم بأجمعهم، ثم هجموا على المسلمين من خلفهم، وفجأة وجد المسلمون أنفسهم وقد أحاط بهم العدو بسيوفهم، وداخلهم الرعب، فاختل نظامهم، وأكثر المشركون من قتل المسلمين، وألحقوا بهم ضربات مؤلمة، حتى إنهم كسروا رباعية النبي صلى الله عليه وآله، وشجوا جبينه المبارك، واستشهد - في هذه الكرة - طائفة من أصحاب النبي الشجعان، وفرّ بعضهم خوفا، ولم يبق حول النبي صلى الله عليه وآله سوى نفر قليل جدا يدافعون عنه ويردّون عنه

عادية الأعداء، وكان أكثرهم دفاعاً عن النبي ﷺ ورداً لهجمات العدو، وفداء بنفسه هو « الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام » الذي كان يذبّ عن النبي ﷺ الطاهر ببسالة منقطعة النظير، حتى إنه تكسّر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه المسمى بذئ الفقار، ثم تترس النبي ﷺ بمكان، وبقي علي عليه السلام يدفع عنه حتى لحقه - حسب ما ذكره المؤرخون - ما يزيد عن ستين جراحة في رأسه ووجهه ويديه وكل جسمه المبارك، وفي هذه اللحظة قال جبرائيل « إن هذه هي المواساة يا محمد » فقال النبي ﷺ: « إنه مني وأنا منه » فقال جبرائيل: (وأنا منكما). قال الإمام الصادق عليه السلام: نظر رسول الله ﷺ إلى جبرائيل بين السماء والأرض وهو يقول: ((لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي))^(١).

شهادة الحمزة عليه السلام:

كان الحمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً: بأنه إن قتل محمداً، أو علياً، أو حمزة، لأعطته رضاه.

فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيتُه رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، وأما حمزة فإني أطمع فيه، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه.

ويقول وحشي: والله إني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يلقي أحداً يمر به إلا قتله فهزرت حربتي فرميته فوقعت في أرييته^(٢) حتى خرجت من بين رجله فوقع فأمهلته حتى مات وأخذت حربتي وانهزمت من المعسكر.

وروي أن هند وقعت على القتلى ولما وصلت إلى حمزة بقرت بطنه وأخرجت كبده، فلاكته فلم تستطع أن تسيغه فلفظته، كما قطعت أصابعه وأنفه وأذنيه وجعلتها

(١) تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٤٩٧.

(٢) أصل الفخذ.

قلادة لها، ولما رأى رسول الله ﷺ ما صنع بحمزة انتحب وتأذى لذلك كثيرا .

من الصائح (قتل محمد)؟

وفي أثناء المعركة صاح صائح: قتل محمد، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن (ابن قمئة) الذي قتل الجندي الإسلامي البطل (مصعب بن عمير) وهو يظن أنه النبي، هو الذي صاح (واللات والعزى: لقد قتل محمد). وسواء كانت هذه الشائعة من جانب المسلمين، أو العدو فإنها - ولا ريب - كانت في صالح الإسلام والمسلمين لأنها جعلت العدو يترك ساحة القتال ويتجه إلى مكة بظنه أن النبي ﷺ قد قتل وانتهى الأمر، ولولا ذلك لكان جيش قريش الفاتح الغالب لا يترك المسلمين حتى يأتي على آخرهم لما كانوا يحملونه من غيظ وحنق على النبي، بل ولما كانوا يتركون ساحة القتال حتى يقتلوا رسول الله ﷺ لأنهم لم يجيئوا إلى (أحد) إلا لهذه الغاية. لم يرد ذلك الجيش الذي كان قوامه ما يقارب خمسة آلاف - وبعد تلك الانتصارات - أن يبقى ولو لحظة واحدة في ساحة القتال، ولذلك غادرها في نفس الليلة إلى مكة، وقبل أن يندلع لسان الصباح.

إلا أن شائعة مقتل النبي ﷺ أوجدت زلزالا كبيرا في نفوس بعض المسلمين، ولذلك فر هؤلاء من ساحة المعركة، وأما من بقي من المسلمين في الساحة فقد عمدوا - بهدف الحفاظ على البقية من التفرق وإزالة الخوف والرعب عنهم - إلى أخذ النبي ﷺ إلى الشعب من «أحد» ليطلع المسلمون على وجوده الشريف ويطمئنوا إلى حياته، وهكذا كان، فإنهم لما عرفوا رسول الله عاد الفارون وآب المنهزمون واجتمعوا حول الرسول ولا مهم النبي ﷺ على فرارهم في تلك الساعة الخطيرة، فقالوا يا رسول الله أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين. وهكذا لحقت بالمسلمين - في معركة أحد - خسائر كبيرة في الأموال والانسف، فقد قتل منهم في هذه الموقعة اثنان وسبعون من المسلمين في ميدان

القتال، كما جرح جماعة كبيرة، ولكنهم أخذوا من هذه الهزيمة والنكسة درسا كبيرا ضَمِن انتصاراتهم في المعارك القادمة.

أبرز عوامل الهزيمة في (أحد):

١- خطأ بعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام في فهم مفاهيمه وتعاليمه، حيث إنهم تصوروا أن إظهار الإيمان وحده يكفي لتحقيق الانتصار، وإن الله - لذلك - سينزل عليهم نصره، ويمدهم بالقوى الغيبية في جميع الميادين، ولهذا تناسوا وتجاهلوا السنن الإلهية في مجال الأسباب الطبيعية للانتصار من اختيار الخطة الصحيحة، وإعداد القوى اللازمة، واليقظة القتالية.

٢- عدم الانضباط العسكري ومخالفة أوامر النبي القائد ﷺ المشددة للرمية بالبقاء في الثغر من الجبل، والذبّ عن ظهور المسلمين وقد كان هذا هو العامل الحقيقي المؤثر للهزيمة.

٣- حب الدنيا والحرص على الحطام الذي دفع بعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام إلى الانصراف إلى جمع الغنائم، وترك ملاحقة العدو، ووضع الأسلحة حتى لا يتأخروا عن الآخرين في حيازة الغنائم، والحال أن الجهاد في سبيل الله يستدعي نسيان جميع هذه الأمور والتوجه بالكامل إلى الهدف الرئيس وهو القتال.

٤- الغرور الناشئ عن الانتصار الساحق واللامع في معركة بدر إلى درجة أنه أنسى بعض المسلمين قوة العدو، وجعلهم يحتقرون تجهيزاته وطاقاته، ويستصغرون شأنه^(١).

(١) تفسير الامثل: ج ٢، ص ٦٧٤.

غزوة بني قينقاع:

لما أصاب رسول الله ﷺ أصحاب بدر وقدم المدينة، بغت يهود (بني قينقاع) وقطعت ما كان بينها وبين النبي ﷺ من عهد، وكانوا أول من غدر من اليهود.

ثم انهم لم يكتفوا بذلك حتى إذا جاءت امرأة من العرب كانت تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع وجلست عند صائغ في حلي لها، جاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فربط ثوبها إلى ظهرها بشوكة، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها، فقام رجل من المسلمين واتبع (الرجل اليهودي الذي فعل ذلك بها) فقتله! فاجتمعت بنو قينقاع على المسلم فقتلوه! وبذلك حاربوا رسول الله ﷺ ونبذوا العهد بينهم وبينه.

فاستخلف النبي ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وسار إليهم فحاصروهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار ابتداءً من يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا (من الهجرة) إلى هلال ذي القعدة وكان لواء رسول الله ﷺ مع عمه الحمزة بن عبد المطلب وهو لواء أبيض. ولقد كانوا أشجع اليهود ولكنهم لزموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا إذ قذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: أفننزل وننطلق؟ قال رسول الله ﷺ: لا، إلا على حكمة. فنزلوا على صلح رسول الله ﷺ وحكمه، على أن تكون أموالهم لرسول الله وكانوا صاغة، فكانت لهم آلات صياغة وسلاح كثير، ولم تكن لهم مزارع ولا أرضون فكانت أموالهم لرسول الله، ولهم الذرية والنساء فلما نزلوا وفتحوا حصنهم، أمر رسول الله ﷺ بأخذ أموالهم وأن يربطوا حتى يقتلوا، فكانوا يكتفون كتافا.

ولكن النبي ﷺ قبل شفاعة بعض المسلمين فيهم فترك قتلهم، وأمر رسول الله ﷺ

٣٣٤.....الناسبات الدينية

عبادة بن الصامت أن يخرجهم من المدينة بعد أن طلبوا إمهالهم ثلاثة أيام
ليأخذوا ديونهم من الناس.

وقبض محمد بن مسلمة أموالهم وخمس رسول الله ﷺ ما أصاب منهم (وهو
أول خمس خمس بعد آية الخمس) وقسم ما بقي على أصحابه.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية



ردّ الشمس



المناسبات الدينية لشهر شوال

رد الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

تتصف بعض الظواهر والحوادث التاريخية بأنها تتجاوز حدود العقل والفهم البشري المحدود مع أنها غير مستحيلة عقلا ومنها بعض ما يرتبط بفضائل أهل البيت عليهم السلام الأمر الذي يستدعي أن يكون إثباتها مستندا إلى النصوص الثابتة والأخبار الصحيحة كما يستدعي نقلها إلى الأجيال اللاحقة طرقا تبعث على الاطمئنان وهذا هو الأسلوب الصحيح لإثباتها، أما من يحاول تفسير مثل هذه الظواهر من خلال العقل البشري العادي وضمن أطر الفهم الإنساني المحدود فإنه سوف لا يصل إلى نتيجة مقنعة، ويكثر فيها الأخذ والرد.

ومن هذه الحوادث التاريخية حادثة رد الشمس الواردة في كتب الفريقين والتي تنقل لنا الأخبار أنها حصلت لجملة من الأنبياء والأوصياء كنبى الله سليمان وموسى، ويوشع، والإمام علي عليه السلام.

رد الشمس للإمام علي عليه السلام مرتين:

ومما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السير والآثار ونُظمت فيه الأشعار رد الشمس لأمر المؤمنين عليهم السلام مرتين، الأولى في حياة النبي صلى الله عليه وآله والثانية بعد وفاته صلى الله عليه وآله، كما ورد ذلك عنه عليه السلام حيث يقول: ((إن الله تبارك وتعالى ردّ عليّ الشمس مرتين ولم يردّها على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله غيري))^(١).

رد الشمس في عهد النبي صلى الله عليه وآله:

هذه الواقعة نقلتها نصوص كثيرة، لكن الخصوصيات المنقولة متعددة، لأنه - غالبا - إذا كثرت الطرق في نقل واقعة معينة، ولا سيما إذا لم تكن ألفاظا

بل حدث تأريخي، فيكون النقل عادة للمعنى، وهو يختلف بحسب الناقل وما وصله من معلومات عن تلك الواقعة، وما غاب عنه منها، فتختلف الروايات بسبب ذلك في خصوصياتها بحسب ألسنة الرواة، ولكن مع هذا فإنه لا تنافي في الخصوصيات المذكورة في الروايات التي نقلت واقعة رد الشمس في عهد النبي ﷺ، بل إن كثرة الطرق وإن اختلفت مضامينها بعض الشيء مما يؤكد أصل الواقعة وهو ما يعبر عنه بالتواتر الإجمالي في علم الدراية، وهو من طرق اليقين في حصول الواقعة.

لذلك سوف نقتصر على خبر واحد في نقل هذه الواقعة، وهو: عن الإمام الصادق عليه السلام: ((صلى رسول الله ﷺ العصر، فجاء عليّ عليه السلام ولم يكن صلاحها، فأوحى الله إلى رسوله ﷺ عند ذلك، فوضع رأسه في حجر عليّ عليه السلام أي: فاجأته حالة الوحي، فنام في حجر علي لأخذ الوحي من الله تعالى، وقد كان عليه السلام إذا جاءه الوحي اعترته حالة خاصة يغيب فيها عن عالم الدنيا، فلم يستطع أمير المؤمنين عليه السلام التحرك لئلا يقطع حالة الوحي وتلقي الرسالة، وفي رواية أنه صلى إيماء وهو على هذه الحال، وبهذا البيان تندفع كثير من الإشكالات حول الرواية غير ما سيأتي ذكره من الإشكالات، فقام رسول الله ﷺ عن حجره حين قام وقد غربت الشمس فقال: يا عليّ، أما صليت العصر؟ فقال: لا يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: (اللهم إنّ عليّاً كان في طاعتك، فأردد عليه الشمس))^(١). ومن خلال هذه الرواية نفهم إن الإمام علي عليه السلام كان في طاعة الله تعالى مادام النبي ﷺ رأسه في حجره، وفي هذا الحديث معانٍ عميقة لا يتحملها هذا العمل المتواضع وبني في هذا المكان مسجد الفضيخ وهو يسمى باسم آخر وهو مسجد رد الشمس.

رد الشمس أيام خلافة الإمام علي عليه السلام:

وهذه الحادثة أيضا لها نقول متعددة ولكن مضمونها واحد، ونكتفي بنقل خبر واحد منها وهو ما ينقله جويرية بن مسهر: ((أقبلنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر، فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، فقال علي عليه السلام: (أيها الناس، إن هذه أرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرّات - وفي خبر آخر مرّتين - وهي تتوقّع الثالثة وهي إحدى المؤتفكات^(١))، وهي أول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحلّ لنبي ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل. فمال الناس عن جنبي الطريق يصلّون، وركب هو عليه السلام بغلة رسول الله ﷺ ومضى.

قال جويرية: فقلت: والله لأتبعن أمير المؤمنين عليه السلام ولأقلّده صلاتي اليوم، فمضيت خلفه، فوالله ما جزنا جسر سُوراء^(٢) حتى غابت الشمس فشككت، فالتفت إليّ وقال: يا جويرية أشككت؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فنزل عليه السلام عن ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسنه إلا كأنه بالعبراني، ثم نادى الصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير فصلّى العصر وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إليّ وقال: يا جويرية بن مسهر، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٤)، وإنّي سألت الله عزّ وجلّ باسمه العظيم فردّ عليّ الشمس، وروي أن جويرية لما رأى ذلك قال: أنت وصي نبي وربّ الكعبة^(٥).

وقد خلد الشعراء هاتين الحادثتين في شعرهم، منهم السيد الحميري رحمه الله في

(١) اتفكت البلدة بأهلها: أي انقلبت؛ فهي مؤتفكة.

(٢) سُوراء: موضع بالعراق من أرض بابل، وهي قريبة من الوقف والحلّة المزيديّة

(٣) معجم البلدان: ج ٣، ص ٨٧٢.

(٤) سورة الواقعة: آية ٧٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٠٣.

قصيدة مشهورة، يقول فيها:

رُدَّتْ عليه الشمس لما فاتهُ * * * وقت الصلاة وقد دنت للمغربِ
حتى تبلّج نأورها في وقتها * * * للعصر ثم هوت هوي الكوكبِ
وعليه قد رُدَّتْ ببابل مرة * * * أخرى وما رُدَّتْ لخلق مُعربِ
إلا ليُوشع أو له من بعده * * * ولرُدّها تأويلُ أمر مُعجبِ^(١)

سعة نقل حديث رد الشمس وشهرته:

لهذا الحديث شهرة ملأت الآفاق فقد رواه عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأبو رافع، وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو هريرة وأم سلمة وأسما بنت عميس.

ولقد أخرج حديث رد الشمس عدد كبير من محدثي أهل السنة وعلمائهم وقد صحح طرقه وأسانيده جمع من هؤلاء، فممن ذكره الفخر الرازي والرافعي والديار بكري والحافظ أبو بشر الدولابي والحافظ أبو القاسم الطبراني، والحاكم النيسابوري وابن مردويه الاصفهاني، والبيهقي، والخطيب البغدادي، وابن مندة، والقاضي عياض، وغيرهم.

وممن صحح هذا الحديث: أبو جعفر أحمد بن صالح الطبري المصري، والطحاوي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وابن حجر الهيتمي.

كما أفرد عدد كبير من الباحثين والمؤلفين تصانيف مستقلة عن الواقعة منهم أبو بكر الوراق والفضيلي والحسكاني والسيوطي وابن مردويه وغيرهم كثير.

أجوبة الإشكالات على واقعة رد الشمس:

إن أعداء الفضيلة لم يدخروا وسعا في سبيل إطفاء نور هذا الفضل العلوي والنيل من تألقه فراحوا يثيرون على هذه الواقعة إشكالات عديدة، ولكن العلماء لم يتركوها وأجابوا عليها.

الإشكال الأول: إن الأخبار التي تنقل هذه الواقعة ضعيفة السند.

وجوابه: إن الكثير من علماء أهل السنة ومحدثيهم صحّح طرق الحديث، وحتى لو كانت جميع طرق الحديث ضعيفة فإنه لا يؤثر، وذلك لأن نقوله بلغت من الاستفاضة ما يكفي لحصول الاطمئنان بوقوع أصل الحادثة. الإشكال الثاني: إن هذا الحديث معارض بحديث آخر وهو ((لم تجبس الشمس على أحد الا ليوشع))^(١).

وجوابه: إن هذا الحديث يفيد أن هذه الواقعة لم تحصل في الأمم السابقة إلا ليوشع، ولكن هذا لا يعني عدم وقوعها في المستقبل. الإشكال الثالث: إن الإيمان بهذه الواقعة لازمه طروء التغيير على نظام الافلاك، وهذا ممّا لا يمكن القبول به.

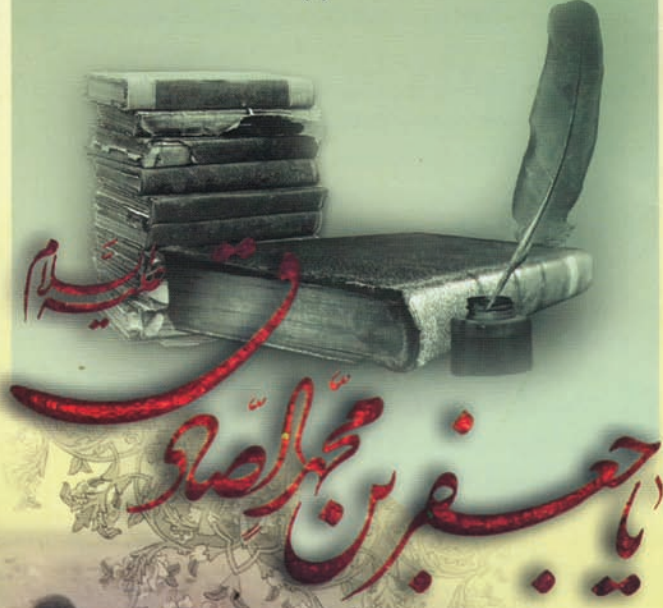
وجوابه: إنا ذكرنا في البداية أنّ الحادثة قد تكون أحياناً فوق التحليلات العقلية العادية، ومن ثمّ يكفي في إثبات هذه الحوادث عدم استحالتها وتعارضها مع النصوص الثابتة. وممّا لا ريب فيه أنّ وقوع مثل هذه الحادثة ليس محالاً عقلاً حتى تعدّ خارج دائرة القدرة الإلهية، غاية هي على خلاف العادة، وهذا لا يمنع من الإيمان بها، على أنّها قد وقعت فعلاً على عهد يوشع كما سلفت الإشارة إليه.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٢٨٥، تذكرة الخواص: ص ٥١، ميزان الاعتدال: ج ٣، ص ١٧٠.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة اصدارات المناسبات السنوية
(٤)



حسين مجاهد

المناسبات الدينية لشهر شوال

شهادة الإمام الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

الإمام الصادق عليه السلام سليل الدوحة الهاشمية للأئمة عليهم السلام التي تنتهي برسول الله صلى الله عليه وآله، فهو سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام وعنوان شيعتهم، إذ أنهم كانوا ولا زالوا يلقبون بـ(الجعفرية) تعبيراً عن انتمائهم لهذا الإمام العظيم الذي شيّد جامعة الدين الأصيل ورفد الأمة الإسلامية على سعتها بعلوم الدين والدنيا.

أبوه الإمام الباقر عليه السلام (باقر علوم الأولين والآخرين)، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، ولذلك كانت للإمام الصادق عليه السلام من حيث النسب مكانة عظيمة في قلوب المسلمين جميعاً.

ولد عليه السلام في يوم ١٧ ربيع الأول من سنة ٨٣هـ، وكانت شهادته في ٢٥ شوال من سنة ١٤٨هـ، وبذلك فإن عمره الشريف يبلغ ٦٥ سنة، والمشهور أنه أطول عمراً من جميع أئمة أهل البيت - باستثناء الإمام الحجة (عجل الله فرجه) -.

وقد ملك الإمام الصادق عليه السلام بأخلاقه وعبادته وأدبه جوامع القلوب، ويكفيها في ذلك ما روي عن مالك بن أنس فقيه المدينة حيث قال: (.. كان عليه السلام رجلاً لا يخلو من إحدى ثلاث خصال، إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً، وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم عزّ وجلّ، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد، فإذا قال: (قال رسول الله) اخضرّ مرة واصفرّ مرة أخرى حتى ينكره من يعرفه، ولقد حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد أن يخر من راحلته، فقلت يا بن رسول الله ولا بد لك أن تقول، فقال: (يا بن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن يقول الله عز وجل لي: لا لبيك ولا سعديك).

عصر الإمام الصادق عليه السلام:

لقد عاصر الإمام الصادق عليه السلام في فترة إمامته ظروفًا وأحداثًا متميزة في العالم الإسلامي، فلقد شهدت تلك الفترة سقوط الدولة الأموية ومجيء الدولة العباسية بعد حكم دام ١٠٠٠ شهر لبني أمية، وقد استتبع هذه الحادثة مآسي ومظالم كثيرة هزت كيان الأمة الإسلامية، فلقد كان خلفاء بني العباس الذين تصدروا الدولة العباسية - أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور - من أشد الناس سفكا للدماء وانتهاكا للحرمات لتوطيد دعائم حكمهم.

كما شهدت تلك الفترة انفتاح العالم الإسلامي على الثقافات الخارجية كالرومانية واليونانية والفارسية، فانتشرت الأفكار والمعتقدات الغربية وعلوم الفلسفة والكلام، مما ساعد على نشوء حركات الزندقة والارتداد عن الدين الإسلامي، حتى وصلت الحالة إلى أن تكون لتلك الحركات كيانات ومواقع مؤثرة في المجتمع. ثم إن هذه الفترة شهدت نشوء التيارات المذهبية في جسم الأمة الإسلامية نفسها، حيث تعددت المدارس الفقهية، وكثرت الآراء في علوم القرآن والسنة والحديث، وكان للانفتاح الثقافي آنذاك تأثير على تطور هذا الجانب، ولعل من أبرز معالم هذا المجال نشوء المذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة: الحنيفة والمالكية والحنبلية والشافعية.

وقد شهدت هذه الفترة أيضا بروز تيار الزيدية المناوئ للحكم، وهذا التيار كان يرفع شعارات لها وجه شبه شعارات الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ولكنه كان يؤمن بضرورة القتال ضد الأنظمة الظالمة، ويشترطون في مواصفات الإمام أن يكون خارجا بالسيف، لذلك كان خط الزيدية حركة بعيدة عن خط الأئمة الإثني عشر عليهم السلام.

جهاد الإمام الصادق عليه السلام:

ومن بين كل تلك المحن والملابسات وأمثالها، انبرى الإمام الصادق عليه السلام للدفاع عن الشريعة المقدسة وتثبيت دعائمها في صدور الناس، وعمل على حفظ الأمة الإسلامية من الاضمحلال والضياع، في الوقت الذي كان يؤدي فيه مسؤوليته الكاملة كإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام تجاه شيعته وأنصاره ومحبيه.

وعلى الرغم من أن تلك التيارات القوية تمكنت من أن تحرز مكاسب معينة آنذاك - كالدولة العباسية - إلا أنها تهاوت في النهاية وعصفت بهارياح التغيير إلى غير رجعة، وبقي خط أهل البيت عليه السلام هو الخط الوحيد الذي صمد في وجه تلك الزلازل واستمر بالنمو والتطور والاتساع إلى يومنا الحاضر، وكل ذلك كان بفضل المنهج العظيم الذي سلكه الإمام الصادق عليه السلام ولم يتزحزح عنه في أحلك الظروف والأحوال.

معالم مدرسة الإمام الصادق عليه السلام:

إن من أبرز معالم منهج الإمام الصادق عليه السلام هو توسيعه للمدرسة الإسلامية التي أنشأها أبوه الإمام الباقر عليه السلام بحيث تمكنت هذه المدرسة وخلال فترة قياسية من أن تغذي الأمة الإسلامية بالعلماء والمحدثين الذين كان لهم فضل عظيم في تثبيت قواعد الدين بوجه الغزو الثقافي المنحرف، ويكفيينا في ذلك قول أبي محمد الوشاء: إني أدركت تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد عليه السلام. ولا يقتصر هذا الأمر على شيعة أهل البيت عليه السلام، وإنما كان الامام الصادق عليه السلام رافدا علميا لغير أتباعه بشكل مباشر أو غير مباشر، وخير دليل على ذلك أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة الرئيسة، فأبو حنيفة النعمان كان يتصل بالإمام عليه السلام ويتهلل العلم منه، ومالك بن أنس كان تلميذا للإمام عليه السلام وشديد الصلة به، وأحمد بن حنبل تعلم على يد الإمام مالك، والشافعي درس على يد أحمد بن حنبل.

استشهاد الإمام الصادق عليه السلام:

كانت المكانة التي يحتلها الإمام الصادق عليه السلام في الأمة الإسلامية تقض مضاجع الظالمين، وعلى الرغم من أنه لم يبدر منه ما يدل على تحركه باتجاه إسقاط دولة بني العباس، إلا أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور لم ينفك عن التضييق عليه ومحاوله قتله، ومن ذلك أنه قال يوما لصاحب سره محمد بن عبد الله الاسكندري: يا محمد هلك من أولاد فاطمة مقدار مئة أو يزيدون وقد بقي سيدهم وإمامهم. فقال له محمد: من ذلك؟ فقال: جعفر بن محمد الصادق. فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل انحلت عبادة واشتغل بالله عن طلب الملك

والخلافة، فانتهره المنصور وقال: علمت أنك تقول بإمامته، ولكن الملك عقيم، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي عشيتي هذه أو أفرغ منه. ثم استدعى أحد جلاوزته وأمره بقتل الإمام لكن الله سبحانه أنجاه منه.

واستمرت محاولات المنصور على هذا المنوال إلى أن دس للإمام الصادق عليه السلام نقيع السم في عنب ورمان، حتى إذا أكل منه الإمام عليه السلام، تغير لونه وصار يجود بنفسه المقدسة وهو يتقياً كبده قطعاً قطعاً، ثم قضى نجه والتحق بالرفيق الأعلى مهزوماً.

إن الإمام الصادق عليه السلام يعد بحق خير قدوة للمسلمين على اختلاف مذاهبهم، فلقد أثبت للتاريخ أن الدين الإسلامي يقوم على أساس العقل والمنطق السليم، وهو شريعة لا تحمل أتباع الأهواء الذاتية والمصالح الوقتية التي تزول بزوال أهلها، ومهما توالى الخطوب وتكاثرت الرزايا، فلا بد من أن يأتي اليوم الذي تزدهر فيه شجرة الإسلام المقدسة وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

زيارة أئمة البقيع:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أئِمَّةَ الْهُدَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ التَّقْوَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحُجَجُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوَامُ فِي الرِّيَّةِ بِالْقِسْطِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الصَّفْوَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ آلَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّجْوَى، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَكُذِّبْتُمْ وَأُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةَ الرَّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ، وَأَنَّ طَاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ، وَأَنَّ قَوْلَكُمْ الصِّدْقُ، وَأَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ يُجَابُوا، وَأَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطَاعُوا، وَأَنَّكُمْ دَعَايْتُمُ الدِّينَ وَأَرَكَا الْأَرْضَ، لَمْ تَزَالُوا بَعَيْنَ اللَّهِ يَنْسَحُكُمْ مِنْ أَصْلَابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ، وَيَنْقُلُكُمْ مِنْ أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ، لَمْ تُدْنَسْكُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ، وَلَمْ تَشْرِكْ فِيكُمْ فَتَنُ الْأَهْوَاءِ، طَبِئْتُمْ وَطَابَ مَبْنِئُكُمْ، مَنْ بَكُمِ عَلَيْنَا دِيَانُ الدِّينِ، فَجَعَلَكُمْ فِي بَيْتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا، إِذْ اخْتَارَكُمْ اللَّهُ لَنَا، وَطَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنْ عَلَيْنَا مِنْ وَلايَتِكُمْ، وَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَمِّينَ بِعِلْمِكُمْ، مُعْتَرِفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ، وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ أَسْرَفَ وَأَخْطَأَ وَاسْتَكَانَ وَأَقْرَوَّ بِمَا جَنَى وَرَجَا بِمَقَامِهِ الْخُلَاصِ، وَأَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ الْهَلْكَى مِنَ الرَّدى،

فَكُونُوا لِي شُفَعَاءَ، فَقَدْ وَفَدْتُ إِلَيْكُمْ إِذْ رَغِبَ عَنْكُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَاتَّخَذُوا آيَاتِ
الله هُزُؤاً وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا (ثم ارفع رأسك الى السماء وقل:) يَا مَنْ هُوَ قَائِمٌ لَا
يَسْهُو، وَدَائِمٌ لَا يَلْهُو، وَمُحِيطٌ بِكُلِّ

شَيْءٍ لَكَ الْمُنُّ بِمَا وَفَّقْتَنِي وَعَرَّفْتَنِي بِمَا أَقَمْتَنِي عَلَيْهِ، إِذْ صَدَّ عَنْهُ عِبَادُكَ،
وَجَهَلُوا مَعْرِفَتَهُ، وَاسْتَحَفُّوا بِحَقِّهِ، وَمَالُوا إِلَى سِوَاهُ، فَكَانَتْ الْمِنَّةُ مِنْكَ عَلَيَّ مَعَ
أَقْوَامٍ خَصَّصْتَهُمْ بِمَا خَصَّصْتَنِي بِهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ إِذْ كُنْتُ عِنْدَكَ فِي مَقَامِي هَذَا
مَذْكُوراً مَكْتُوباً، فَلَا تَحْرِمْنِي مَا رَجَوْتُ، وَلَا تُحَيِّبْنِي فِيهَا دَعْوَتُ، بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

شيعتنا .. كونوا زينا ولا تكونوا شينا:

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((يا بن جندب لو أن شيعتنا استقاموا
لصافحتهم الملائكة ولأظلمهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن
تحت أرجلهم ولما سألو الله شيئاً إلا أعطاهم))^(١).

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((يا حفص من مات من أوليائنا
وشيعتنا ولم يُحسن القرآن عَلَّم في قبره ليرفع الله به درجته، فإن درجات الجنة
على قدر عدد آيات القرآن فيقال لقارئ القرآن إقرأ وارق))^(٢).

قال أبو الصباح الكناني لأبي عبد الله عليه السلام: ((ما نلقى من الناس فيك؟ فقال
أبو عبد الله عليه السلام: وما الذي تلقى من الناس في؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين
الرجل الكلام، فيقول: جعفري خبيث، فقال: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو
الصباح: نعم، قال: فقال: ما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم، إنما أصحابي
من اشتد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي))^(٣).

عن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((عليك بتقوى الله والورع
والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا
دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زينا ولا تكونوا شينا وعليك بطول

(١) تحف العقول: ص ٣٠٢.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٧٧.

الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت))^(١).

عن علي بن أبي زيد، عن أبيه قال: ((كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عيسى بن عبد الله القمي فرحب به وقرب من مجلسه، ثم قال عليه السلام: يا عيسى بن عبد الله ليس منا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أروع منه))^(٢).

عن زيد الشحام قال، قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ((إقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم فيأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله: أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برا وفاجرا. فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: «هذا جعفري» فيسرني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل «هذا أدب جعفر»، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل: «هذا أدب جعفر»، فوالله لحدثني أبي عليه السلام إن الرجل كأن يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة وأفضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث))^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٣٦.



مناسبات الشهر

شهر ذي القعدة

١هـ ولادة فاطمة المعصومة عليها السلام

٥هـ تجديد بناء الكعبة المعظمة

١١هـ ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

٢٥هـ يوم دحو الأرض من تحت الكعبة

٢٥هـ خروج الإمام الرضا عليه السلام

٢٩هـ شهادة الإمام الجواد عليه السلام



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

ولادة السيدة

(٥)

فاطمة المعكومة

((عليها السلام))



المناسبات الدينية لشهر ذي القعدة

ولادة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين. في بيت طاهر ضم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وزوجته الطاهرة تكتم وهي وإن كانت جارية أم ولد إلا أنها قد بلغت من الشرف والفضل والطهر والعفاف والكمال أعلى المراتب وأرفع الدرجات، حتى أصبحت من سيدات النساء فكانت بذلك مؤهلة لأن تكون قرينةً لإمام معصوم، وأما لإمام معصوم ولدت سليلة الطهر والعفاف فاطمة المعصومة عليها السلام، وكانت الظروف التي ألمت بأهل البيت عليهم السلام آنذاك عصيبة جداً إلى حد غاب فيها عن المؤرخين والرواة تسجيل أحداث الولادة وتأريخها، أو ذكر شيء مما يتعلق بها، خوفاً على أنفسهم من بطش الحكام وغضبهم بل انضم بعضهم إلى صفوف الحكام تزلفاً وطمعاً.

لذلك فقد غاب عنا كثير من الحقائق وخفيت علينا وقائع كثيرة، وذهبت في طي النسيان، ومنها تاريخ ولادة السيدة المعصومة عليها السلام، فلم يرد في شيء من الروايات ذكر السنة التي ولدت فيها فضلاً عن اليوم أو الشهر. وما بأيدينا من المصادر التي ذكرت تاريخ ولادتها عليها السلام هي في الحساب متأخرة جداً، ولم تذكر مستنداً لذلك، بل ذكر بعض الكتاب أن ذلك أمر مجهول، فتبقى هذه حلقة مفقودة تضاف إلى كثير من الحلقات الضائعة من تاريخ أهل البيت عليهم السلام. ونحن ننقل ما ذكره المؤلفون في تاريخ ولادتها، فقد ذكر عمر رضا كحالة أن ولادتها عليها السلام كانت سنة ١٨٣ هـ، وهي السنة التي استشهد فيها والدها الإمام الكاظم عليه السلام، في قول أكثر المؤرخين^(١) وعلى هذا فلم تحظ السيدة المعصومة

(١) أعلام النساء: ص ٥٧٦.

بلقاء أبيها عليه السلام ورعايته، وعاشت في كنف أخيها وشقيقها الإمام الرضا عليه السلام وصي أبيه والقائم مقامه.

ولكن الشيخ علي أكبر مهدي پور استبعد أن تكون ولادتها عليه السلام في تلك السنة، لأن السنوات الأربع الأخيرة من عمره عليه السلام - على أقل التقادير - كان فيها رهين السجون العباسية، ولذا فلا بد أن تكون ولادتها قبل سنة ١٧٩ هـ، وهي السنة التي قبض فيها على الإمام عليه السلام وأودع السجن، على أنه يمكن القول بأنه قد قبض على الإمام عليه السلام وأمها حاملها، وكانت ولادتها في سنة ٧٩ هـ^(١) وذهب الشيخ علي النمازي الشاهرودي إلى أن ولادتها عليه السلام كانت في غرة شهر ذي القعدة سنة ١٧٣ هـ^(٢)، وبناء على هذا التاريخ تكون السيدة فاطمة قد عاصرت من حياة أبيها عشر سنوات، غير أن السنين الأربع الأخيرة من عمره عليه السلام كان فيها رهين السجون العباسية كما ذكرنا، فلم تحظ منه إلا بست سنوات. هذه هي الأقوال في تحديد سنة ولادتها عليه السلام.

وعلى أي تقدير فقد فتحت هذه السيدة عينها على الدنيا في أيام محنة أبيها، وقد أحاطت به الخطوب، فارتسمت حياتها بالحزن والأسى، ولكن السيدة فاطمة المعصومة عليه السلام وإن فقدت أباهما وهي في مقتبل العمر إلا أنها ما كانت لتبقى مهملة بلا كفيل فقد عاشت في كنف شقيقها الرضا عليه السلام، وأولاها العناية الخاصة في تربيتها ورعايتها، حتى غدت أفضل بنات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ونشأت هذه السيدة تتلقى من أخيها العلم والحكمة في بيت العصمة والطهارة، فأصبحت ذات علم ورواية ومقام.

أسمائها وألقابها:

لما كانت السيدة المعصومة ربيبة الإمامة فقد حظيت بأحسن الأسماء، وأجمل الألقاب، وإن لأسمائها وألقابها من الدلالات والمعاني ما يشير إلى عظمتها، ذلك

(١) كريمة أهل البيت عليهم السلام: ص ١٠٣.

(٢) مستدرک سفينة البحار: ج ٨، ص ٢٦١.

لأن الاسم أو اللقب لم يطلق عليها جزافاً، وإنما صدر عن المعصوم الذي يضع الأشياء في مواضعها، الأمر الذي يدل على جلاله هذه الشخصية وعظمتها في كل شأن من شؤونها.

وأما أسماؤها وألقابها فهي:

١ - فاطمة:

وكم لهذا الاسم من شأن وخصوصية عند الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، وكم كان الأئمة عليهم السلام يولون هذا الاسم أهمية فائقة، لا نجدها في سائر الأسماء عندهم، ولذا ذكر بعض الباحثين أن جميع الأئمة عليهم السلام كانت لهم بنات بهذا الاسم. إن شيعة أهل البيت عليهم السلام يدركون تماماً خصوصية هذا الاهتمام وأبعاده ومغزاه، فإن المسميات بفاطمة من النساء كثير، إلا أنه ما إن يطلق هذا الاسم ويتناهى إلى الأسع حتى تتبادر الأذهان إلى فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله التي كانت واسطة العقد وملتقى النورين ومنشأ السلالة النبوية الشريفة والذرية الطاهرة. ويعود كل ما تمخض من أحداث مؤلمة وفجائع أصابت أبناء فاطمة عليها السلام وشيعتها عبر التاريخ إلى ما جرى عليها من الخطوب والمآسي، وما نالته من أصحاب أبيها واجتماعهم على هضمها، والتنكر لمقامها، وحرمانها من حقها.

٢ - المعصومة:

ويقترن هذا الاسم باسم فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، فيقال في الأعم الأغلب: فاطمة المعصومة، كما يقال عند ذكر أمها الكبرى: فاطمة الزهراء عليها السلام. وقد ورد هذا الاسم في رواية عن الرضا عليه السلام حيث قال: ((من زار المعصومة بقم كمن زارني))^(١).

ولهذه التسمية من الدلالة ما لا يخفى، فإنها تدل على أن السيدة فاطمة عليها السلام قد بلغت من الكمال والنزاهة والفضل مرتبة شامخة حيث سماها الإمام عليه السلام بالمعصومة، فإن الإمام عليه السلام لا يلقي الكلام جزافاً، وهي وإن لم تكن معصومة

بالمعنى الخاص لعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصديقة الزهراء عليها السلام فان عصمتهم عليهم السلام أمر لازم لا بد منه، وأما العصمة في هذه الشخصيات العالية فليست بلازمة إلا أن في التعبير عنها بالمعصومة إشعارا ببلوغها مرتبة عالية من الطهارة والعفة والنزاهة والقداسة، ولا غرو فإنها تنحدر من بيت العصمة وترت على يد المعصوم، وكانت ابنة معصوم وأخت معصوم وعمة معصوم.

٣- كريمة أهل البيت:

وهو من ألقاب هذه السيدة الجليلة، وعرفت به من دون سائر نساء أهل البيت. وقد اشتهر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بهذا اللقب من دون سائر الرجال، فكان يقال له كريم أهل البيت. وقد أطلقه عليها الإمام المعصوم عليه السلام في قصة وقعت للسيد محمود المرعشي، فانه كان يريد معرفة قبر الصديقة الزهراء عليها السلام، وقد توسل إلى الله تعالى من أجل ذلك كثيرا، حتى أنه دأب على ذلك أربعين ليلة من ليالي الأربعاء من كل أسبوع في مسجد السهلة بالكوفة، وفي الليلة الأخيرة حظي بشرف لقاء الإمام المعصوم عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: (عليك بكريمة أهل البيت)، فظن السيد محمود المرعشي أن المراد بكريمة أهل البيت عليها السلام هي الصديقة الزهراء عليها السلام فقال للإمام عليه السلام: جعلت فداك إنما توسلت لهذا الغرض، لأعلم بموضع قبرها، وأتسرف بزيارتها، فقال عليه السلام: مرادي من كريمة أهل البيت قبر السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قم، ثم قال: إن الله تعالى قد جعل قبر الصديقة الزهراء عليها السلام من الأسرار، وقد اقتضت الإرادة الإلهية تبعا لبعض المصالح أن يكون قبرها مخفيا لا يطلع على موضعه أحد من الناس، فلا يمكن الإخبار عنه، ولكن جعل الله تعالى قبر السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام موضعا يتجلى فيه قبر الصديقة الزهراء عليها السلام، وإن ما قدر لقبر الصديقة الزهراء عليها السلام من الجلال والعظمة والشأن - لو كان معلوما ظاهرا - قد جعله الله تعالى لقبر السيدة المعصومة. وعلى أثر ذلك عزم السيد محمود المرعشي على السفر من النجف الأشرف إلى قم لزيارة كريمة أهل البيت عليها السلام ..

ولهذا اللقب دلالة بعيدة الغور على شأن فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، فإنهم قد عرفوا الكرم بأنه إيثار الغير بالخير ولا تستعمله العرب إلا في المحاسن الكثيرة، ولا يقال كريم حتى يظهر منه ذلك، والكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، وعلى ضوء هذا المعنى الشامل للكرم يتجلى لنا المراد من وصف هذه السيدة الجليلة بأنها كريمة أهل البيت عليهم السلام، فإنها ذات خير وبركة على الخلق، ولا سيما شيعة آل محمد، وإن من أبرز مظاهر كرمها أن مثاها المقدس كان ولا يزال منبعاً للفيض، وملاذاً للناس، ومأمناً للعباد، ومستجاراً للخلق، وباباً من أبواب الرحمة الإلهية للقاصدين، وأن مدينة قم حيث تضم مرقدتها الطاهر كانت ولا تزال حاضرة العلم، وحرماً الأئمة وعش آل محمد عليهم السلام ومنفراً لأهل العلم من شتى بقاع الأرض، يتلقون علوم أهل البيت عليهم السلام محتضنة كوكبة من العلماء والطلاب، ولا زالت هي والنجف الأشرف فرسي رهان تتسابقان في تحريج حملة العلوم على شتى مراتبهم.

أسماء وألقاب أخرى:

ذكر الأعلام أن لفاطمة المعصومة عليها السلام عدة أسماء وألقاب غير ما ذكرنا، وردت في عدة من المصادر، وهي:

((١) - الطاهرة، ٢ - الحميدة، ٣ - البرة، ٤ - الرشيدة، ٥ - التقية، ٦ - النقية، ٧ - الرضية، ٨ - المرضية، ٩ - السيدة، ١٠ - أخت الرضا)).

وسواء ثبتت هذه الألقاب والأسماء أو لم تثبت إلا أن من الواضح انطباق ما تضمنته من معان ودلالات على هذه السيدة الجليلة.

في رحاب العلم والمعرفة:

عاشت السيدة فاطمة المعصومة مع أخيها الإمام الرضا عليه السلام أكثر من عشرين عاماً على أقل التقادير، إذا ما استبعدنا أن تكون ولادتها في سنة ١٨٣ هـ، لأنها السنة التي استشهد فيها أبوها الإمام الكاظم عليه السلام في قول أكثر المؤرخين، وإلا فتكون المدة التي عاشتها السيدة فاطمة مع أخيها سبعة عشر عاماً، وذلك

لأن انتقال الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو في خراسان كان سنة ٢٠٠ هـ وكانت ولادته عليه السلام سنة ١٤٨ هـ كما هو المشهور، وقيل في سنة ١٥٣ هـ. فعلى القول بأن ولادتها عليه السلام كانت سنة ١٧٩ هـ يكون عمرها الشريف يوم رحلة أخيها من المدينة واحدا وعشرين عاما، وعلى القول بأن ولادتها كانت سنة ١٧٣ هـ كما رجحه بعضهم يكون عمرها آنذاك سبعة وعشرين عاما.

وعلى أي تقدير فقد عاشت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في كنف أخيها الرضا عليه السلام ورعايته مدة من الزمن تمكنها من تلقي التربية والتعليم اللائقين بمقامها على يد أخ شقيق لم يكن في علمه ومقامه كسائر الناس، فهو الإمام المعصوم وهو المربي والمعلم والكفيل، فأخذت عنه العلم والمعرفة والفضائل والمناقب، حتى غدت ذات شأن عند الله تعالى كما جاء في زيارتها عليها السلام، وأن شفاعتها كفيلة بإدخال الشيعة بأجمعهم إلى الجنة، كما تحدث بذلك جدها الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: ((تدخل بشفاعتها شيعتنا الجنة بأجمعهم))^(١).

ومما يكشف عن بلوغها مرتبة عالية من العلم والمعرفة والمقام قول معلمها ومربيها الإمام الرضا عليه السلام: ((من زار المعصومة بقم كمن زارني))^(٢)، ومما يؤيد ذلك ما نقله العلامة الشيخ علي أكبر مهدي پور حكاية عن أحد الفضلاء عن المرحوم السيد أحمد المستنبط عن كتاب كشف اللئالي لابن العرندس الحلبي، وحاصلها: أن جمعا من الشيعة قصدوا بيت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام للتشرف بلقائه والسلام عليه، فأخبروا أن الإمام عليه السلام خرج في سفر وكانت لديهم عدة مسائل فكتبوها، وأعطوها للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ثم انصرفوا، وفي اليوم التالي - وكانوا قد عزموا على الرحيل إلى وطنهم - مروا ببيت الإمام عليه السلام، ورأوا أن الإمام عليه السلام لم يعد من سفره بعد، ونظرا إلى أنه لا بد لهم أن يسافروا طلبوا مسائلهم على أن يقدموها للإمام عليه السلام في سفر آخر لهم للمدينة،

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠، ص ٢٢٨.

(٢) رياحين الشريعة: ج ٥، ص ٣٥.

فسلمت السيدة فاطمة عليها السلام المسائل إليهم بعد أن كتبت أجوبتها، ولما رأوا ذلك فرحوا وخرجوا من المدينة قاصدين ديارهم، وفي أثناء الطريق التقوا بالإمام الكاظم عليه السلام وهو في طريقه إلى المدينة، فحكوا له ما جرى لهم فطلب إليهم أن يروه تلك المسائل، فلما نظر في المسائل وأجوبتها، قال ثلاثاً: فداها أبوها^(١).

لوعة الوداع:

استقدم المأمون الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى عاصمة الدولة في خراسان سنة ٢٠٠ هـ لجملة من الأهداف منها الخوف من الإمام عليه السلام لشياع أمره في الحرمين، وانتشار ذكره وإقبال الناس عليه، وليكون الإمام عليه السلام تحت رقابة مفروضة صارمة لا يمكنه الإفلات منها، ولتسنى للمأمون أن ينفذ خطته السياسية الميّنة، ولما وصل الامام عليه السلام إلى مرو أكرهه المأمون على قبول ولاية العهد بعد تهديده بالقتل، واكتفى منه بالقبول الصوري.

ولما كان الإمام عليه السلام يعلم بقساوة الأيام التي سيعيشها تحت رقابة المأمون في عاصمة ملكه وبما بيّته له من مكائد، كان خروجه من مدينة جده عليه السلام في حالة من اللوعة والأسى، وقد نعى فيها نفسه، فخرج مقهوراً تاركا عياله وأخواته حتى ابنه الإمام الجواد عليه السلام، الذي كان له من العمر سبع سنوات بل أقل من ذلك كما يستفاد مما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله.

وقد اعتصر قلب السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام من الألم ولوعة الفراق، وعلمت من خلال ما جرى أن أخاها لن يعود، وكانت في جملة الباكين عليه، وقد سمع بكاءها وحسرتها على فراقه، ولعله أسرّ إليها أو علمت من خلال مجرى الأحداث بما سيقدم عليه من آلام ومأسٍ، ولذا لم تكتف بوداعه بل كما قيل إنه لما سار ركب الإمام عليه السلام من المدينة صعدت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام على السطح وبقيت تنظر إلى أخيها وهو يمشي حتى غاب عن عينيها، وإن هذا الموقف يحمل من الدلالات شيئاً كثيراً، ويبين مدى الصلة بين الأخ

وشقيقته، كما يدل على مدى أثر لوعتها بفراقه وحزنها عليه. وليست هذه الصلة الوثيقة بين الشقيقين لمجرد الرابطة النسبية وأنها يلتقيان في أب واحد وأم واحدة، وإنما هي لعلمها ومعرفتها عليها بمقام الإمامة المتمثلة في أخيها الإمام الرضا عليه.

إلى الرضا عليه:

بعد مضي عام على رحيل أخيها عنها هاجت بها لواعج الحنين والشوق إلى أخيها الغريب، وقد علم الإمام عليه بحال أخته، إذ أنها لم تغب عن قلبه، وهو يعلم شدة تعلقها به، فكتب إليها كتابا يطلب منها القدوم عليه، وأعطاه أحد غلمانه، ولما وصل إلى المدينة وسلّم الكتاب إلى فاطمة المعصومة عليها تذكرت ما كان لها مع أخيها من شأن، وكأنه لم يمض عام واحد فحسب، وإنما عشرات الأعوام، ولما قرأت الكتاب أذعنت لما فيه وعزمت على السفر إلى أخيها في طوس، وأعدت للسفر عدته، وتهيأ ركب قوامه اثنان وعشرون شخصا ضم بعض إخوتها، وبعض أبنائهم وغلمانهم، فساروا وهم يقطعون البيد والقفار واتخذوا من الطريق المؤدي إلى قم مسارا لهم إلى طوس.

ولكن الأجل لم يمهلها ومكثت في قم في منزل موسى بن خنرج الأشعري سبعة عشر يوما ثم ماتت وأذنت شمسها بالمغيب.

كرامات السيدة المعصومة عليها:

إن الله تعالى قد أختص بعض عباده بمميزات وقدرات خاصة، ومعاجز وكرامات، هي مظاهر لقدرة الله تعالى، وعلائم على القرب منه، والمنزلة عنده، والوجاهة لديه، ومنهم السيدة فاطمة المعصومة، وما أثبتته الأقلام من كراماتها عليها كثير، نذكر بعضها:

منها: ما نقله الميرزا موسى فراهاني عن مسؤول حراسة حرم السيدة المعصومة عليها أنه في ليلة من ليالي سنة ١٣٠٠هـ، كنت أتولى فيها الحراسة فجيء بامرأة من كاشان مصابة بالشلل للاستشفاء وربطت بالضريح، وفي الساعة المقررة لإغلاق

أبواب الحرم بقيت هذه المرأة في الحرم وأغلقت الأبواب، وكنت خارج الحرم أتولى الحراسة، بعد منتصف الليل سمعت صوت المرأة وهي تقول: لقد شافتنني، فتحت باب الحرم ورأيت تلك المرأة السعيدة وقد شفيت، فسألته عن كيفية شفائها، فقالت: أصابني العطش الشديد وخجلت أن أدق الباب وأطلب منك الماء، ولذا نمت بعطشي، فرأيت في منامي أنها أعطتني قدحا من الماء، وقالت: اشربي هذا الماء وستجدين الشفاء، فشربت الماء وانتبهت من النوم ولا أثر للعطش ولا للمرض^(١).

ومنها: ما نقل متواترا عن المرحوم السيد محمد الرضوي أحد خدام الحرم المطهر، قال: في ليلة رأيت السيدة المعصومة في عالم الرؤيا وهي تقول: قم وأضئ مصابيح المنائر، فانتبهت من نومي، ونظرت إلى الساعة فرأيت أنه بقي أربع ساعات إلى أذان الصبح، فعدت إلى النوم ثانية، فرأيت نفس الرؤيا بعينها، ولكنني عدت إلى النوم، وفي المرة الثالثة رأيت نفس الرؤيا وقالت لي بغضب: ألم أقل لك أن تقوم وتضيء مصابيح المنائر؟ قمت وأضأت المصابيح، وكان الجو شديد البرودة والثلج يتساقط بغزارة وقد غطى الأماكن، وفي اليوم التالي كان الجو صحوا، وكنت واقفا في الصحن المطهر فرأيت جمعا من الزوار يتحدثون وأحدهم يقول للآخر: كم يجب علينا أن نشكر هذه السيدة، ولو تأخرت إضاءة المصابيح دقائق معدودة لهلكنا من شدة البرد. فتبين أن هؤلاء الزوار على أثر تساقط الثلج بغزارة واختفاء معالم البلد قد ضلوا الطريق، وبقوا في وسط الصحراء، ولكن لما أمرتني السيدة بإضاءة المصابيح بانتهت معالم المدينة لهم وأوصلوا أنفسهم إليها، ونجوا من أذى البرد وشدته^(٢).

(١) كريمة أهل البيت عليهم السلام: ص ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٣.

تاريخ الوفاة:

اختلفت الأقوال في تحديد تاريخ وفاتها، ولكن رجّح بعض الباحثين أنها في العاشر من ربيع الثاني سنة ٢٠١ هـ فقد شاءت المقادير الإلهية أن ترحل عن هذه الدنيا في بلدة نائية عن موطن الآباء والأجداد لتكون بابا من أبواب الرحمة إلى العباد، وملاذا يؤمّها ذوي الحاجة والاضطرار، وسببا من أسباب اللطف الإلهي للمؤمنين والأخيار، وأسلمت روحها إلى بارئها راضية مرضية، ولم يتجاوز عمرها الشريف - على أقصى التقادير - الثلاثين ربيعا، وكان ليوم موتها شأن عظيم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



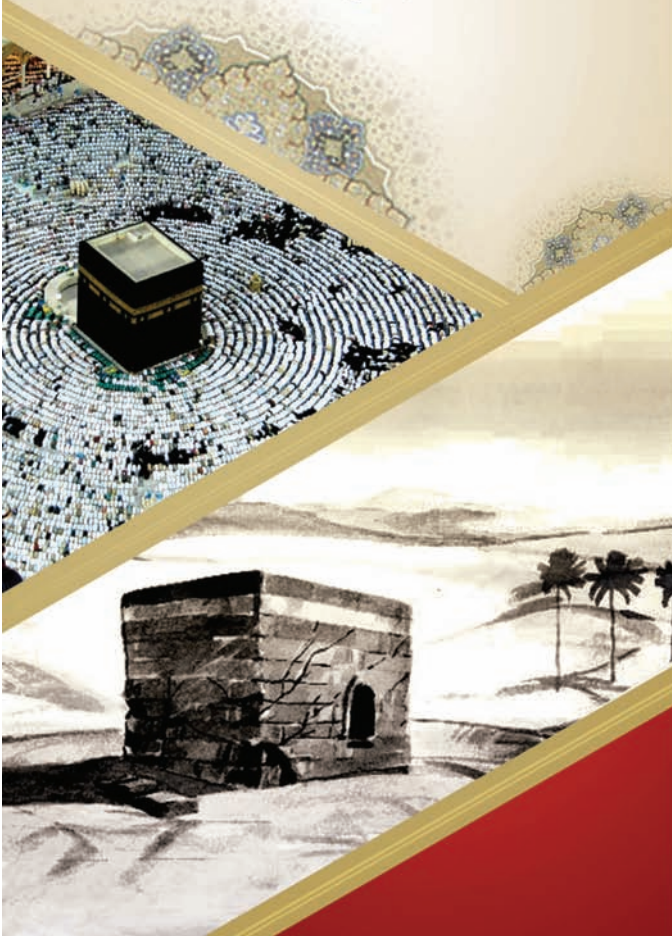
قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(٦)

تجديد بناء

الكعبة

المعظمة على يد ابراهيم الخليل
(عليه السلام) (٥ ذي القعدة)



المناسبات الدينية لشهر ذي القعدة

تجديد بناء الكعبة العظيمة

على يد ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

فضل الكعبة:

شرف الله الكعبة وجعلها مثابة للناس يشربون اليها، ويجمعون حولها، ويجدون عندها الأمن الذي يفتقدونه في حياتهم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(١) وهي بيت الله شرفه الله تعالى وخصه لنفسه، وأمر بتطهيره حيث خاطب خليله ابراهيم عليه السلام: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢) ووصفه الله عز وجل بالبركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) وقد خص الله تعالى الكعبة بفضل عظيم، فهي الموضع الذي اختاره الله تعالى من الارض، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إن الله عز وجل اختار من كل شيء شيئا، اختار من الأرض مكة، واختار من مكة المسجد، واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة...))^(٤). وأيضا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة: ((.. ألا ترون أن الله سبحانه أختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس

(١) سورة البقرة: آية ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة: آية ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران: آية ٩٦ .

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ٣٤٧ .

قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق^(١) الأرض مدرأ^(٢)، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة، ورمال دمثة^(٣)، وعيون وشلة^(٤)، وقرى منقطعة، لا يزكوها خوف، ولا حافر ولا ظلف، ثم أمر آدم وولده أن يشنوا أعطافهم نحوه^(٥)، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية للملقى رحالهم، تهوي إليه ثمار الأفئدة^(٦) من مفاوز^(٧) قفار سحيقة، ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً يهلون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غرباً له، قد نبذوا السراييل وراء ظهورهم، وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاء عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً جعله الله سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنته، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جم الأشجار، داني الثمار، ملتف البناء، متصل القرى، بين برة سمراء^(٨)، وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراض مغدقة، ورياض ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء لخفف ذلك مسارعة الشك في الصدور، ولو وضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج^(٩) الريب من الناس، ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً

(١) جمع نتيقة وهي البقاع المرتفعة، ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان.

(٢) المدر قطع الطين اليابس.

(٣) يصعب السير فيها والاستنبات منها.

(٤) قليلة الماء.

(٥) أي يتوجهوا نحوه.

(٦) أي تسرع إليه أرواحهم.

(٧) جمع مفازة وهي الفلاة التي لا ماء بها.

(٨) البرة: الحنطة، والسمراء: أجودها.

(٩) الاعتلاج: الالتظام، اعتلجت الأمواج التطمت، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس.

للتدلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتُحا إلى فضله [بضميتين أي مفتوحة واسعة]، وأسباباً دُلاً لعفوه...))^(١).

والكعبة من أحب البقاع إلى الله تعالى كما يقول الإمام الباقر عليه السلام: ((ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها، ثم أوماً بيده نحو الكعبة، ولا أكرم على الله عز وجل منها))^(٢).

لذلك جعل الله تعالى النظر إلى الكعبة عبادة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((النظر إلى الكعبة حُباً لها يهدم الخطايا هدماً))^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إذا خرجتم حُجاجاً إلى بيت الله فأكثرُوا النظر إلى بيت الله، فإنَّ لله مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين))^(٤).

تاريخ بناء الكعبة المعظمة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥).

نفهم بوضوح من خلال الآية الكريمة أن بيت الكعبة كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام، وكان قائماً منذ زمن آدم عليه السلام، فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد رفعوا قواعد البيت التي كانت موجودة، والآية ٣٧ من سورة إبراهيم تتحدث عن لسان إبراهيم عليه السلام فتقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ وهذه الآية تدل على أن بيت الكعبة كان له نوع من الوجود حين جاء إبراهيم عليه السلام مع زوجته وابنه الرضيع إلى مكة.

(١) نهج البلاغة: ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٢٤٠.

(٣) المحاسن: ج ١، ص ٦٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة البقرة: آية ١٢٧.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ومن المؤكد أن عبادة الله وإقامة أماكن العبادة لم تبدأ في زمن إبراهيم عليه السلام، بل كانت منذ أن خلق الإنسان على ظهر هذه الأرض.

وقد روي عن الامام الباقر عليه السلام: ((أما بدء هذا البيت فإن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فَرَدَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَتْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢).؟! فَأَعْرَضَ عَنْهَا، فَرَأَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ سَخَطِهِ فَلَاذَتْ بِعَرْشِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ بَيْتًا فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ يُسَمَّى الضُّرَّاحَ^(٣) بِإِزَاءِ عَرْشِهِ، فَصَيَّرَهُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، يَطُوفُ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا يَعُودُونَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ، فَلَمَّا أَنْ هَبَطَ آدَمُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَمَرَهُ بِمَرَمَّةِ هَذَا الْبَيْتِ - وَهُوَ بِإِزَاءِ ذَلِكَ - فَصَيَّرَهُ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَيَّرَ ذَلِكَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ))^(٥).

وعنه عليه السلام: ((أمر الله الملائكة أن تبني في الأرض بيتاً ليطوف به من أصاب ذنباً من ولد آدم عليه السلام كما طافت الملائكة بعرشه؛ فيرضى عنهم كما رضي عن الملائكة، فبنوا مكان البيت بيتاً رفيعاً زمان الطوفان، فهو في السماء الرابعة، يلجئه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، وعلى أساسه وضع إبراهيم عليه السلام البيت))^(٦).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: ((..... ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضراح توبة لمن أذنب من بني آدم وطهورا لهم....))^(٧).

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٣) الضُّرَّاح: بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض، قيل: هو البيت المعمور.

(٤) تاج العروس: ج ٤، ص ٤٣١.

(٥) الكافي: ج ٤، ص ١٨٧.

(٦) دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٩٢.

(٧) الكافي: ج ٤، ص ١٨٧.

وكما تقدم في خطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة، وهي المسماة بالقاصعة، يقول: ((ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار... فجعلها بيته الحرام... ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يشنوا أعطافهم نحوه^(١))).

فالقرائن القرآنية والروائية تؤيد أن الكعبة بُنيت أولاً بيد آدم عليه السلام، ثم انهدمت في طوفان نوح عليه السلام، ثم أعيد بناؤها على يد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

تجديد بناء الكعبة:

وحين الاشتغال بإعادة بناء الكعبة تضرع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى رب العالمين بخمسة طلبات هامة ذكرت في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

وهذه الطلبات المقدسة جامعة ودقيقة بحيث تشمل كل احتياجات الإنسان المادية والمعنوية، وتفصح عن عظمة هذين النبيين الكبارين، قالوا أولاً: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾، ثم أضافا: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وطلبا تفهم طريق العبادة: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، ليعبد الله حق عبادته، ثم طلبا التوبة: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، والطلب الخامس، وهو هداية الذرية ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

وهناك رواية شريفة سلّطت الأضواء على تاريخ بناء الكعبة بالتفصيل فقد روى علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم،

(١) أي أن يطوفوا حوله.

(٢) نهج البلاغة: ج ٣، ص ١٤٨.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٢٨-١٢٩.

(٤) تفسير الامثل: ج ١، ص ٣٨٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((إن إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام، فلما ولد له من هاجر إسماعيل عليه السلام اغتمت سارة من ذلك غماً شديداً، لأنه لم يكن له منها ولد، وكانت تؤذي إبراهيم عليه السلام في هاجر وتغمه، فشكا إبراهيم عليه السلام ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء، إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمتهما كسرتها، ثم أمره أن يخرج إسماعيل عليه السلام وأمه، فقال: يا رب إلى أي مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني، وأول بقعة خلقتها من الأرض، وهي مكة، فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق، فحمل هاجر وإسماعيل وإبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلا وقال: يا جبرئيل، إلى هاهنا، إلى هاهنا، فيقول جبرئيل: لا، أمض، أمض، حتى وافى [أتى] مكة، فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتى يرجع إليها، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها، فاستظلوا تحته، فلما سرحهم - أي أرسلهم - إبراهيم ووضعهم وأراد الانصراف عنهم إلى سارة، قالت له هاجر: يا إبراهيم، أتدعنا [لم تدعنا] في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يوفيكم، ثم انصرف عنهم، فلما بلغ كداء^(١) التفت إليهم إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دَرِّيْتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢) ثم مضى، وبقيت هاجر، فلمّا ارتفع النهار عطش إسماعيل عليه السلام وطلب الماء، فقامت هاجر في الوادي في موضع السعي، ونادت: هل في الوادي من أنيس؟ فغاب عنها إسماعيل عليه السلام فصعدت على الصفا، ولع لها السراب في الوادي، فظنت أنه ماء، فنزلت في بطن الوادي وسعت، فلمّا بلغت المسعى

(١) وهو جبل بذي طوى.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

غاب عنها إسماعيل عليه السلام، ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا، فهبطت إلى الوادي تطلب الماء، فلما غاب عنها إسماعيل عليه السلام عادت حتى بلغت الصفا، فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات، فلما كانت في الشوط السابع وهي على المروة، نظرت إلى إسماعيل عليه السلام وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فعادت حتى جمعت حوله رملا، فإنه كان سائلا، فزمته^(١) بما جعلته حوله، فلذلك سميت زمزم، وكانت جرهم نازلة بذي المجاز^(٢) وعرفات، فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء^(٣).

استيطان القبائل في مكة:

فلما كان كذلك نظرت جرهم إلى تعكف الطير والوحش على ذلك المكان، فأتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي نازلين في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة، وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: من أنت، وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ قالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه، أمره الله أن ينزلنا هاهنا، فقالوا لها: أتأذنين [فقالوا لها: أيها المباركة أفتأذني] لنا أن نكون بالقرب منكما؟ فقالت لهم: حتى يأتي إبراهيم عليه السلام، فلما زارهما إبراهيم عليه السلام في اليوم الثالث، قالت هاجر: يا خليل الله، إن هاهنا قوما من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم، فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم و ضربوا خيامهم، فأنست هاجر وإسماعيل بهم، فلما زارهم إبراهيم عليه السلام في المرة الثانية نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرَّ بذلك سرورا شديدا، فلما ترعرع إسماعيل عليه السلام، وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل عليه السلام كل واحد منهم شاة أو شاتين، فكانت هاجر وإسماعيل يعيشان [بها]، فلما بلغ إسماعيل عليه السلام مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم عليه السلام

(١) زمته أي شدته وحجزته بما جعلت حوله من الرمل.

(٢) موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ٣٧.

أن يبنى البيت، فقال: يارب، في أي بقعة؟ قال: في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم، فلم تنزل القبة التي أنزلها الله على آدم ﷺ قائمة حتى كان أيام الطوفان أيام نوح ﷺ، فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا إلا موضع البيت، فسميت البيت العتيق، لأنه أعتق من الغرق، فلما أمر الله عز وجل إبراهيم ﷺ أن يبنى البيت لم يدر في أي مكان بينيه، فبعث الله عز وجل جبرئيل ﷺ فخط له موضع البيت، فأنزل الله عليه القواعد من الجنة، وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم ﷺ أشد بياضا من الثلج، فلما مسته أيدي الكفار اسود، فبنى إبراهيم ﷺ البيت، ونقل إسماعيل ﷺ الحجر من ذي طوى، وفرعه في السماء تسعة أذرع، ثم دله على موضع الحجر، فاستخرجه إبراهيم ﷺ ووضع في موضعه الذي هو فيه الآن، وجعل له بابين: بابا إلى الشرق، وبابا إلى الغرب والباب الذي إلى الغرب يسمى المستجار، ثم ألقى عليه الشجر والإذخر، وألقت [وعلقت] هاجر على بابه كساء كان معها، وكانوا يكتنون تحته، فلما بناه وفرغ منه حج إبراهيم وإسماعيل ﷺ، ونزل عليهما جبرئيل ﷺ يوم التروية لثمان من ذي الحجة، فقال: يا إبراهيم قم فارتو من الماء، لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء، فسميت التروية لذلك، ثم أخرجته إلى منى فبات بها، ففعل به ما فعل بآدم ﷺ، فقال إبراهيم ﷺ لما فرغ من بناء البيت والحج: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١): قال: من ثمرات القلوب، أي حبيهم إلى الناس ليتتابوا إليهم^(٢) ويعودوا إليهم^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة البقرة: آية ١٢٦.

(٢) انتاب الرجل القوم انتيابا: إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة.

(٣) تفسير البرهان: ج ١، ص ٣٣٠-٣٣٣.



المجلس الشورى الإسلامي
شعبة التبليغ
مجلة إشارات الإنسانية السنوية

(٧)

ولأحقة الإمام

الإمام
المعظم
عليه السلام

(١١١، العدد)



المناسبات الدينية لشهر ذي القعدة

ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير الأنبياء والمرسلين محمد واله الطيبين الطاهرين. اللهم صل على علي بن موسى الرضا المرتضى الإمام التقي النقي وحجتك على من فوق الأرض ومن تحت الثرى الصديق الشهيد صلاة كثيرة تامة زاكية متواصلة متواترة مترادفة كأفضل ما صليت على أحد من أوليائك.

نسبه عليه السلام:

الإمام الرضا عليه السلام، هو ثامن الأئمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله: هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

كنيته:

يكنى: أبا الحسن، والخاص: أبا محمد.

ألقابه: الرضا، والصابر، والوفي، ونور الهدى، وسراج الله، والفاضل، وقرّة عين المؤمنين، ومكيد الملحدين.

الولادة المباركة:

ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ أي: في نفس السنة التي توفي فيها جده الإمام الصادق عليه السلام على قول أكثر العلماء والمؤرخين مثل: المفيد في الإرشاد، والشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف، والكليني في الكافي، والكفعمي في المصباح، والشهيد في الدروس، والطبرسي في أعلام الورى. وقبض عليه السلام بطوس من أرض خراسان في سنة ثلاث ومائتين، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة. وكانت مدة إمامته وقيامه بعد أبيه في خلافته عشرين سنة.

نقش خاتمه: حسبى الله.

اسم أمه:

أما اسم هذه السيدة الزكية فقد اختلفت فيه أقوال الرواة، منها: الخيزران وأروى ونجمة

و أم البنين و تكتم: وذهب كثير من المؤرخين إلى أن اسمها تكتم وهو آخر أساميها، وفي ذلك يقول الشاعر في مدحه للإمام عليه السلام:

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً ورهطاً وأجداداً علي المعظم
اتناب به للعلم والحلم ثامناً إماماً يؤدي حجة الله تكتم^(١)

عبادتها:

وكان من مظاهر عبادتها أنها لما ولدت الإمام الرضا عليه السلام قالت: ((أعينوني بمرضعة، فقبل لها: أنقص الدر؟ قالت: ما أكذب: ما نقص الدر، ولكن علي ورد من صلاتي وتسيحي وقد نقص منذ ولدت))^(٢).

كرامة قبل الولادة:

روي عن أم الرضا عليها السلام أنها تقول: ((لما حملت بابني علي لم اشعر بثقل الحمل وكنت اسمع في منامي تسيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني فيفزعني ويهولني فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً))^(٣).

المولود العظيم:

وأشرفت الأرض بمولد الإمام الرضا عليه السلام، فقد ولد خير أهل الأرض، وأكثرهم عائدة على الإسلام، وسرت موجات من السرور والفرح عند آل النبي صلى الله عليه وآله، قالت أم الإمام الرضا عليها السلام: فلما وضعته وقع على الأرض واضعاً يديه عليها رافعاً رأسه إلى السماء يحرك شفثيه كأنه يتكلم، فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي: ((هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربك))^(٤).

سنة النبي صلى الله عليه وآله:

فناولته إياه في خرقة بيضاء فأذن في إذنه اليمنى وأقام في اليسرى ودعا بهاء الفرات فحنكه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ٢٩.

(٤) المصدر السابق.

به ثم رده إليّ، فقال: ((خذيّه فإنه بقيّة الله تعالى في أرضه))^(١).

اختيار الزوجة:

عن أبي زكريا الواسطي هشام بن أحمد قال: قال أبو الحسن الأول (الكاظم) عليه السلام: ((هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم؟) قلت: لا، فقال عليه السلام: (بلى قد قدم رجل أحمر فانطلق بنا)، فركب وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق فقال له: (أعرض علينا) فعرض علينا تسع جوار كل ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام: لا حاجة لي فيها، ثم قال له: (أعرض علينا)، قال: ما عندي شيء، فقال له: (بلى أعرض علينا)، قال: لا والله ما عندي إلا جارية مريضة، فقال له: (ما عليك أن تعرضها؟) فأبى عليه ثم انصرف، ثم أنه أرسلني من الغد إليه فقال لي: (قل له كم غايتك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا، فقل: قد أخذتها)، فأتيته فقال: ما أريد أن أنقصها من كذا، فقلت: قد أخذتها وهو لك، فقال: هي لك، ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس، فقلت: رجل من بني هاشم، فقال: أي بني هاشم؟ فقلت له: من نقبائهم، فقال: أريد أكثر منه، فقلت: ما عندي أكثر من هذا، فقال: أخبرك عن الوصيفة: إني اشتريتها من أقصى بلاد المغرب فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ فقلت: اشتريتها لنفسى، فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه الوصيفة عند مثلك! إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها، قال: فأتيته بها فلم تلبث عنده قليلاً حتى ولدت له علياً عليه السلام)^(٢).

النص على إمامة الأئمة عليهم السلام:

١- النص عليهم من النبي صلى الله عليه وآله: إن من المسلمات أن نص النبي السابق خير شاهد على نبوة النبي اللاحق له، ومثل هذا يقال مع الإمام، بل هو واضح مع الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ملازم لهم جميعاً، فقد ثبت النص من النبي صلى الله عليه وآله على الإمام والخليفة والوصي من بعده، كما يشير إلى ذلك حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين، روي عن زيد بن أرقم قال: ((لما

(١) كشف الغمة: ج ٣، ص ٨٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٩.

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل بغدير خم ثم أمر بدوحات فقم ما تحتهن، ثم قال: (كأني قد دعيت فأجبت إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنها لن يفرقا حتى يردا علي الحوض)، ثم قال: (إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن)، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: (من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))^(١). ومثله عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهم كثير. كما ورد عن ثابت بن دينار عن سيد العابدين علي بن الحسين عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((قال لي رسول الله ﷺ الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله تبارك وتعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها))^(٢). وكما جاء عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد النبيين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم))^(٣).

٢- النص من الإمام عليه السلام: كما وثبت نص الإمام على الإمام اللاحق، وذلك بالطرق الصحيحة والكثيرة التي كانت سبباً في اطمئنان أتباع أهل البيت وأشياعهم. وهنا ينبغي التنبيه إلى أن هذه النصوص لا بد أن تكون منسجمة مع نصوص النبي ﷺ في موضوع الإمامة، من قبيل: حديث الثقلين، وحديث: الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش. فما جاء مخالفاً لهذا فهو مردود لمخالفته نص النبي ﷺ، ومن هنا صحت النصوص عنهم عليهم السلام، وبطلت عن غيرهم.

الولاية لا تكون إلا بوصية من النبي أو الإمام عليه السلام:

فلا اعتبار لما عرف بولاية العهد التي يعهد بها الخليفة إلى ابنه أو أخيه كما هو شأن الخلفاء الأمويين والعباسيين لمخالفتها لنصوص النبي ﷺ المتقدمة وغيرها، أضف إلى ذلك أن

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٣٤.

(٢) الأمالي: ص ١٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٥٢.

أحداً منهم لم يصل إلى الخلافة بالطريق المشروع الذي يُقرّه الإسلام ليكون من حقه أن يوصي لمن بعده، فولاية العهد تلك إنما هي من قبيل تبادل الشيء المغصوب، فلا أثر لهذا التبادل لرفع الغصبية، بل على العكس، فهو تكريس لها وإصرار عليها. هذه هي أهم الفوارق بين عهود الأئمة عليهم السلام وعهود الملوك، بغض النظر عن كون الأئمة عليهم السلام إنما يعهدون بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله لا من عند أنفسهم^(١).

النص على الإمام الرضا عليه السلام:

فممن روى النص على الرضا علي بن موسى عليه السلام بالإمامة من أبيه والإشارة إليه منه بذلك، من خاصته وثقاته وأهل الورع والعلم والفقهاء من شيعته: داود بن كثير الرقي، ومحمد بن إسحاق بن عمار، وعلي بن يقطين، ونعيم القابوسي، والحسين بن المختار، وزباد بن مروان، والمخزومي، وداود بن سليمان، ونصر بن قابوس، وداود بن زربي، ويزيد بن سليط، ومحمد بن سنان^(٢).. ومنها ما رواه الكليني: عن ابن محبوب عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: ((كُنْتُ أَنَا وَهَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَعَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ بَبْغَدَادَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ كُنْتُ عِنْدَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ جَالِسًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ، فَقَالَ لِي: (يَا عَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ هَذَا عَلِيُّ سَيِّدٌ وَوَلَدِي أَمَا إِنِّي قَدْ نَحَلْتُهُ كُنِّيَّتِي)، فَضَرَبَ هَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ بِرَأْسِهِ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ كَيْفَ قُلْتَ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ: سَمِعْتُ وَاللَّهِ مِنْهُ كَمَا قُلْتُ، فَقَالَ: هَشَامُ أَخْبَرَكَ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ))^(٣).

وذكر الشيخ الصدوق عن داود بن كثير قال: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك وقدمني للموت قبلك، إن كان كون فإلى من؟ قال: (إلى ابني موسى)، فكان ذلك الكون فو الله ما شككت في موسى عليه السلام طرفة عين قط، ثم مكثت نحواً من ثلاثين سنة ثم أتيت أبا الحسن موسى عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إن كان كون فإلى من؟ قال: (علي ابني)، قال: فكان ذلك الكون، فو الله ما شككت في علي عليه السلام طرفة عين قط))^(٤).

(١) دلائل الإمامة: ص ٢٤.

(٢) الإرشاد: ج ٢، ص ٢٤٨.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣١١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٣٢.

قطع حبال الكذب والافتراء:

المعصوم هو حارس الدين وحامي الشريعة، ومحبي معالم الدين وأهله، وهادم أبنية الشرك، وهذا هو نهجهم عليهم السلام، فقد تصدوا لكثير من العقائد الفاسدة والآراء المنحرفة، فمثلا الإمام الكاظم عليه السلام تصدى لما روج له المبطلون من أنه ليس هناك ميزة لولد فاطمة عليها السلام - أعني الأئمة عليهم السلام - عن باقي بني هاشم وبالتحديد عن بني العباس، وفاتهم أن منصب الإمامة منصب إلهي عظيم كمنصب النبوة لا يصلح له إلا ذو نسب وشرف رفيع كالنبي بلا فارق، وهذه مزية أئمة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم، بلا خلاف ولا نزاع، بل لا يدانيهم فيه حتى بني عمومهم. روى الخطيب في تاريخه: ((أن هارون العباسي حج مرة ومعه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وحوله قريش وشيوخ القبائل، فقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي، افتخاراً على من حوله، فدنا الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، فقال: (السلام عليك يا رسول الله يا أبت). فتغير وجه هارون، وقال: هذا الفخر - يا أبا الحسن - حقاً))^(١).

حديث نزول الخالق إلى السماء الدنيا:

ومن جملة القضايا التي أوضحها الإمام الرضا عليه السلام وتصدى لها وكشف عن الزيف الذي وضعه المحرفون والضالون، قضية رؤية الخالق جل وعلا، روى الشيخ الصدوق: عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني رحمته الله عن إبراهيم بن أبي محمود؟ قال: قلت للرضا عليه السلام: ((يا بن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إن الله تبارك ينزل كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا فقال: (لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه والله ما قال رسول الله كذلك إنما قال: إن الله تعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء،

(١) تاريخ بغداد: ج ١٣، ص ٣٢.

حدثني بذلك أبي عن جدي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

حديث خلق آدم:

عن الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: قلت للرضا عليه السلام: ((يا بن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله، قال: إن الله خلق آدم على صورته فقال عليه السلام: (قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله مرّ برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال صلى الله عليه وآله: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته)) (٢).

لماذا عقيدة الجبر:

إن أدنى مراجعة لتاريخ الحكام آنذاك - العباسيين والأمويين على حد سواء - لكفيلة بأن تظهر بجلاء مدى منافاة تصرفات أولئك الحكام، وسلوكهم، وحياتهم لمبادئ الإسلام وتعاليمه. الإسلام، الذي كانوا يستطيّلون على الناس به، ويحكمون الأمة - حسب ما يدعون - باسمه، وفي ظله. حتى لقد أصبح الناس، والناس على دين ملوكهم، يتأثرون بذلك، ويفهمون خطأ: أن الإسلام لا يتعد كثيراً عما يرون، ويشاهدون، مما كان من نتائجه شيوع الانحراف عن الخط الإسلامي القويم. بنحو واسع النطاق، ليس من السهل بعد السيطرة عليه، أو الوقوف في وجهه. ولقد ساعد على ذلك، وزاد الطين بلة، فريق من أولئك الذين اشترت ضمائرهم، ممن يتسمون، أو بالأحرى ساهم الحكام بـ (العلماء) حيث إنهم قاموا يتلاعبون بمفاهيم الإسلام، وتعاليمه، لتوافق هوى، وتخدم مصالح، أولئك الحكام المنحرفين، الذين أغدقوا عليهم المال، وغمروهم بالنعمة. حتى إن أولئك المأجورين قد جعلوا عقيدة الجبر - الواضح لكل أحد زيفها وسخفها - من العقائد الدينية الإسلامية، من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، ولكي يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك، التي يندى لها جبين الإنسان الحر المأخوفاً، إذ أنهم يكونون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من الله وقدره، ولذا فليس لأحد الحق في

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٠.

أن ينكر عليهم أي تصرف من تصرفاتهم، أو أي جناية من جناياتهم. وكان قد مضى على ترويجهم هذه العقيدة المبتدعة - حتى زمان المأمون - أكثر من قرن ونصف، أي من أول خلافة معاوية، بل وحتى قبل ذلك أيضاً^(١).

الإمام يمحق الباطل:

عن عمير بن معاوية الشامي قال: ((دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له: يا بن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه؟ قال: (مَنْ زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومَنْ زعم أن الله عز وجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليه السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك). فقلت له: يا بن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ فقال: (وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه). فقلت له: فهل لله عز وجل مشية وإرادة في ذلك؟ فقال: (فأما الطاعات لإرادة الله ومشيته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها)، قلت: فهل لله فيها القضاء؟ قال: (نعم ما من فعل يفعل العباد من خير أو شر إلا والله فيه قضاء). قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: (الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة)^(٢).

كما روى الشيخ الصدوق عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: ((ذُكر عنده الجبر والتفويض، فقال: (ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه)، قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: (إن الله عز وجل لم يُطع بأكراه، ولم يُعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدروا عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادراً ولا منها مانعاً وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام للسيد جعفر مرتضى العاملي: ص ٣١٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١١٤.

فيه)، ثم قال عليه السلام: (من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه))^(١).

الإمام عليه السلام والولاية: سفينة النجاة:

أخرج الصدوق في الإكمال بسنده إلى الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: ... عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أحب أن يتمسك بدينني، ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتد بعلي بن أبي طالب، وليعاد عدوه وليوال وليه، فإنه وصيي، وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعدي))، ثم قال عليه السلام: (الحسن والحسين إماما أمتي بعد أبيهما، وسيدا شباب أهل الجنة، وأمهما سيدة نساء العالمين، وأبوهما سيد الوصيين. ومن ولد الحسين تسعة أئمة، تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم، والمضيعين لحرمتهم بعدي))^(٢).

علي عليه السلام أبو هذه الأمة:

أخرج الصدوق أيضا: عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((... أنا وعلي أبوا هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل، ومن علي سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومن ولد الحسين تسعة طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، تاسعهم قائمهم ومهديهم))^(٣).

حديث السلسلة الذهبية:

عن إسحاق بن راهويه، قال: ((لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام بنيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيدة منك؟ وكان قد قعد في العمارة، فأطلع رأسه وقال: (سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي

(١) التوحيد: ص ٣٦١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦١.

يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب يقول:
سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت
جبرئيل يقول: سمعت الله جل جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل أمن من
عذابي). قال: فلما مرت الراحلة نادانا: (بشروطها وأنا من شروطها))^(١).
فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(٨)

يوم فتحوا الأرض

الحامس والعشرون من ذي القعدة



المناسبات الدينية لشهر ذي القعدة

يوم دحو الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ذُكِرَ دحو الأرض في القرآن مرتين في سورة النازعات حيث يصوّر لنا البارئ عز وجل المشهد لعملية الخلق والدحو في قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لِبَنَاهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾^(١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾^(٢).

وطبقاً لترتيب القرآن الكريم في آياته فإن أول الخلق المادي هو بناء السماء ثم رفعها الله تعالى وسوّاها، وبعدها أوجد الزمان بإيجاد الليل والضّحى، ثم دحى الأرض، فتحدد المكان، ثم أرساها بالجبال. والآن.. نقف قليلاً مع هذا العنوان القرآنيّ (دحو الأرض) من خلال أربع نوافذ:

النافذة الأولى: تُطلّ على حقل اللغة، نقرأ في هذا الحقل: دَحَوْتُ الشَّيْءَ دَحْوًا: بَسَطْتُهُ.

أمّا طحا فبمعنى: بسط فوسع، والطحا: المنبسط من الأرض، والطاحي الممتدّ، وقيل أيضاً: الطّحو كالذّحو، وهو بسط الشيء والذّهاب به.

وعليه يكون معنى (دحا الأرض): أي بسطها، ومدّها، وأوسّعها، وجعلها صالحة للسكن، حيث إنها كانت في البداية مغطاة بمياه الأمطار الغزيرة التي انهمرت عليها من مدة طويلة، ثم استقرت تلك المياه تدريجياً في منخفضات الأرض،

(١) سورة النازعات: الآيات ٢٧-٣٣.

(٢) سورة الشمس: آية ٦.

فشكلت البحار والمحيطات، فيما علت اليابسة على أطرافها، وتوسعت تدريجياً، حتى وصلت لما هي عليه الآن من شكل، وحدث ذلك بعد خلق السماء والأرض. النافذة الثانية: تُشرف على آفاق التفسير، يقول المفسرون: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي بَسَطَهَا وَمَدَّهَا بعد ما بنى السماء ورفع سَمَكهَا وَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لِيَلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وذكر بعضهم أن الدحو بمعنى الدَّحْرَجَة.

أمَّا الطَّحُو في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ فهو الدَّحُو، وهو البَسَط، «وما» في وما بناها وما طحاها موصولة، والمعنى هو: الذي بناها وطحاها هو الله تعالى وقد استخدمت الآيتان و«ما» في «وما بناها» و«وما طحاها» بدل «من» لإيثار الابهام المفيد للتفخيم والتعجيب فيكون المعنى: وأقسم بالسماء والشئ القوي العجيب الذي بناها، وأقسم بالأرض والشئ القوي العجيب الذي بَسَطَهَا.

النافذة الثالثة: نتعرّف من خلالها على المناسبات والأحداث التي وقعت في يوم دحو الأرض:

١- أول رحمة وضعت على الأرض: قال رسول الله ﷺ: ((وأنزل الله الرحمة لخمس ليال بقين من ذي القعدة))^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((أول رحمة نزلت من السماء إلى الأرض في خمسة وعشرين من ذي القعدة))^(٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: ((في خمسة وعشرين من ذي القعدة وضع البيت وهو أول رحمة وضعت على وجه الأرض))^(٣).

٢- هبوط آدم إلى الأرض: عن الإمام الرضا عليه السلام: ((... وهبط فيه آدم))^(٤).

٣- ولادة نبي الله إبراهيم الخليل وعيسى ابن مريم: روى الحسن بن علي الوشاء

(١) وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٤٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكافي: ج ٤، ص ١٤٩.

(٤) المصدر السابق: ج ٤، ص ١٥٠.

قال: ((كنت مع أبي وأنا غلام فتعشينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال له: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم...))^(١).

الكعبة ودحو الأرض:

كل ما ذُكِرَ من شرف وقدر للكعبة يضاف إليها أن بداية الأرض كانت من تحتها، فإن أول بقعة خلقت هي البقعة التي وضعت عليها الكعبة الشريفة ثم دحيت الأرض من تحتها حتى صارت على الهيئة التي عليها الآن، ويدل عليه ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: (لما أراد الله عز وجل أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن وجه الماء حتى صار موجا ثم أزيد فصار زبدا واحدا فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلا من زيد ثم دحى الأرض من تحته وهو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٢)، فأول بقعة خلقت من الأرض الكعبة ثم مُدَّت الأرض منها.

وأما الفارق الزمني بين خلق الكعبة ودحو الأرض فهو ألفا عام، ويدل على ذلك ما رواه الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام: ((وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إثباته، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه، وقبلة للمصلين إليه، فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام))^(٣).

النافذة الرابعة: تُفتح على آفاق من العمل الصالح، نقرأ منها:

١ - الصوم: هو أحد الأيام الأربعة التي يُؤكَّد فيها استحباب الصوم كما في الرواية عن الإمام الهادي عليه السلام قال: ((الأيام التي يصام فيهن أربعة - إلى أن

(١) وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٤٤٩.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ١٩٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٤، ص ١٩٨.

قال- ويوم الخامس والعشرين من ذي القعدة فيه دحيت الأرض))^(١).
وإن للصائم في هذا اليوم أجرا عظيما، قال رسول الله ﷺ: ((... من صام ذلك
اليوم، كان له كصوم سبعين سنة))^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((... من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة فله عبادة
مائة سنة، صام نهارها وقام ليلها، وأيما جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذكر
رهم عز وجل، لم يفرقوا حتى يعطوا سؤالهم، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف
رحمة يضع منها تسعة وتسعين في حلق الذاكرين، والصائمين في ذلك اليوم،
والقائمين في تلك الليلة))^(٣).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: ((... من صام ذلك اليوم كان كفارة سبعين سنة))^(٤).
وعن الإمام الرضا عليه السلام: ((... من صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين
شهراً))^(٥).

٢- الدعاء والإكثار من ذكر الله: يستحب في هذا اليوم الإكثار من ذكر الله والاهتمام
بالدعاء فيه لمولانا صاحب الزمان ومسألة تعجيل فرجه من الخالق المنان.
ومن أهم الأدعية في هذا اليوم ما ذكره الشيخ الكفعمي «رحمه الله» في مصباحه
وهو: (اللَّهُمَّ دَاحِيَ الكَعْبَةِ وَفَالِقَ الحَبَّةِ وَصَارِفَ اللِّزْبَةِ وَكَاشِفَ كُلِّ كُرْبَةٍ،
أَسْأَلُكَ فِي هَذَا اليَوْمِ مِنْ أَيَّامِكَ الَّتِي أَعْظَمْتَ حَقَّهَا وَأَقْدَمْتَ سَبْقَهَا وَجَعَلْتَهَا
عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَدِيْعَةً وَإِلَيْكَ ذَرِيْعَةٌ وَبِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ ان تُصَلِّيَ عَلَي مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
الْمُنْتَجِبِ فِي المِيثَاقِ القَرِيبِ يَوْمَ التَّلَاقِ فَاتِقِ كُلَّ رَتْقٍ وَدَاعِ إِلَى كُلِّ حَقٍّ وَعَلَى أَهْلِ
بَيْتِهِ الأَطْهَارِ الهُدَاةِ المَنَارِ دَعَائِمِ الجَبَّارِ وَوَلَاةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَعْطِنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا
مِنْ عَطَائِكَ المَخْزُونِ غَيْرِ مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ، تَجْمَعُ لَنَا بِهِ التَّوْبَةُ وَحُسْنُ الأَوْبَةِ،

(١) وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٤٥٦.

(٢) إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٤٥٠.

(٥) المصدر السابق.

يَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مَرْجُوءٍ يَا كَفِيَّ يَا وَفِيَّ، يَا مَنْ لَطْفُهُ خَفِيُّ الطُّفْلِ لِي بِلُطْفِكَ
وَأَسْعِدُنِي بِعَفْوِكَ وَيَا أَيَّدُنِي بِنَصْرِكَ وَلَا تُنْسِنِي كَرِيمَ ذِكْرِكَ بِوَلَاةِ أَمْرِكَ وَحَفْظَةِ
سِرِّكَ، وَاحْفَظْنِي مِنْ شَوَائِبِ الدَّهْرِ إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَأَشْهَدُنِي أَوْلِيَاءَكَ
عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِي وَحُلُولِ رَمْسِي وَأَنْقِطَاعِ عَمَلِي وَأَنْقِضَاءِ أَجَلِي اللَّهُمَّ وَادْكُرْنِي
عَلَى طُولِ الْبَلَى إِذَا حَلَلْتُ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَنَسِيْتِي النَّاسُونَ مِنَ الْوَرَى
وَاحْلِلْنِي دَارَ الْمُقَامَةِ وَبَوِّئْنِي مَنْزِلَ الْكِرَامَةِ وَاجْعَلْنِي مِنْ مُرَافِقِي أَوْلِيَاءِكَ وَأَهْلِ
اجْتِبَائِكَ وَاصْطِفَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي لِقَائِكَ وَارْزُقْنِي حُسْنَ الْعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ
الْأَجَلِ بَرِيئاً مِنَ الزَّلَلِ وَسُوءِ الْخَطَلِ، اللَّهُمَّ وَأَوْرِدْنِي حَوْضَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْقِنِي مِنْهُ مَشْرَباً رَوِيّاً سَائِغاً هَيْئاً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهُ وَلَا أَحْلَا وَرَدَهُ
وَلَا عَنْهُ أُدَادُ، وَاجْعَلْهُ لِي خَيْرَ زَادٍ وَأَوْفَى مِعَادٍ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.

اللَّهُمَّ وَالْعَن جَبَابِرَةَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَبِحُفُوقِ أَوْلِيَاءِكَ الْمُسْتَأْتِرِينَ، اللَّهُمَّ
وَاقْصِمْ دَعَائِمَهُمْ وَاهْلِكْ أَشْيَاعَهُمْ وَعَامِلَهُمْ وَعَجِّلْ مَهَالِكَهُمْ وَاسْلُبْهُمْ مَمَالِكَهُمْ
وَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ مَسَالِكَهُمْ وَالْعَن مُسَاهِمَهُمْ وَمُشَارِكَهُمْ، اللَّهُمَّ وَعَجِّلْ فَرَجَ
أَوْلِيَاءِكَ وَارْزُدْ عَلَيْهِمْ مَظَالِمَهُمْ وَأَطْهَرْ بِالْحَقِّ قَائِمَهُمْ وَاجْعَلْهُ لِدِينِكَ مُتَّصِراً
وَبِأَمْرِكَ فِي أَعْدَائِكَ مُؤْتِماً، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ بِمَلَائِكَةِ النَّصْرِ وَبِمَا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مِنَ
الْأَمْرِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُتَّقِماً لَكَ حَتَّى تَرْضَى وَيَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ جَدِيداً
غَضّاً وَيَمْحَضُ الْحَقَّ مَحْضاً وَيَرْفُضُ الْبَاطِلَ رَفْضاً، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى
جَمِيعِ آبَائِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ صَحْبِهِ وَأُسْرَتِهِ وَابْعَثْنَا فِي كَرَّتِهِ حَتَّى نَكُونَ فِي زَمَانِهِ
مِنْ أَعْوَانِهِ، اللَّهُمَّ أَدْرِكْ بِنَا قِيَامَهُ وَأَشْهَدْنَا أَيَّامَهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَارْزُدْ إِلَيْنَا سَلَامَهُ،
وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

٣- الصلاة: يستحب في هذا اليوم صلاة ركعتين تُصَلَّى عند الضحى، بالحمد
مرّة، والشمس خمس مرّات، وتقول بعد التسليم: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ)، ثمّ تدعو وتقول: (يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ أَقْلِنِي عَثْرَتِي، يَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ اجِبْ دَعْوَتِي، يَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ اسْمَعْ صَوْتِي، وَارْحَمْنِي وَتَجَاوَزْ

عَنْ سَيِّئَاتِي، وَمَا عِنْدِي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
(٧)

خروج

الإمام الرضا

من الرينة إلى خراسان
في ٢٥ ذي القعدة / ٢٠٠ هـ



المناسبات الدينية لشهر ذي القعدة

خروج الامام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

قد يتوهم البعض بأن الإمام الرضا عليه السلام عاش حياة مستقرة آمنة، ولا سيما أنه أمضى السنوات الأخيرة من عمره في البلاط العباسي، فكان في مأمن من ملاحقة السلطة، بل في موقع الزعامة حيث بويغ بولاية العهد، فكان الرجل الثاني في دولة واسعة مترامية الأطراف، ولم يكن هناك ما يخشاه.

ولكن الحقيقة أمر آخر غير هذا الظاهر، فإن أقسى السنوات التي مرت عليه هي السنوات الأخيرة من عمره الشريف، حيث عاش حصاراً قد فرض عليه لم يستطع الخلاص منه، حتى قيل إن الإمام الرضا عليه السلام كان أكثر الأئمة عليه السلام عملاً بالنقمة، لشدة ما عاناه من سلطة بني العباس.

وتؤكد الدلائل والشواهد التاريخية على أن السياسة العباسية جعلت من الإمام وسيلة لتحقيق أهدافها، حتى إذا بلغت ما أرادته نكبت به، كما نكبت بأبائه من قبله، وبأبنائه من بعده.

إن ما فعله هارون الرشيد وأسلافه من قبله بالعلويين من القهر والبطش والإبادة والتشريد، وما تمخض عن ذلك من الثورات العلوية في أطراف البلاد، ومن النقمة العامة على الحكم العباسي حتى قال أحد الشعراء:

يا ليت ظلم بني مروان دام لنا * * * وكان عدل بني العباس في النار

كما أن الصراع الدامي بين المأمون وأخيه الأمين الذي أسفر عن مقتل الأخير، وانتقال إدارة الحكم من بغداد العاصمة العباسية إلى منطقة أخرى، واعتماد المأمون على الفرس دون العرب في إدارة شؤون الحكم، الذي أثار نقمة العباسيين وغضبهم عليه، مضافاً إلى شعوره بالنقص لكونه ابن أمة فارسية

وغير ذلك من الأمور^(١)، جعلت من المأمون بن الرشيد الذي كان ذا نباهة وفضيلة وحنكة ودهاء أن يتنبه ويتخذ سياسة جديدة تحالف في ظاهرها سياسة سلفه، يُحمد بها غضب الناقلين، ويحتوي تلك الحركات المناوئة، ويحقق لحكومته استقرارا سياسيا، ويضمن لسلطته قوة تحميه من العباسيين، فيما لو فكروا في مناهضته كما يحقق أغراضا أخرى، ل يتمتع بسلطة لا يشعر معها بالضراب، كما كان آباؤه يشعرون بذلك.

وكان الموقف يتطلب منه جرأة في اتخاذ القرار، وحزما في تنفيذه، ومضيا في عزمه، وأول إجراء اتخذه بعد أن قضى على أخيه الأمين أنه أظهر ميله للعلويين، وكانت هذه البادرة غريبة لم تعهد من حاكم عباسي، الأمر الذي أثار التوجس عند سائر بني العباس، ودفعهم إلى الاعتراض بل إعلانه، ولم يدركوا أن المأمون يسعى بذلك لتوطيد الحكم وتثبيتته عن طريق هذا الإجراء، كما أن فيه توجيه تحذير خفي إلى العباسيين، مضمونه: أن هناك من يُعتمد عليهم ويُستند إليهم، فيما إذا تحلَّوا عنه، أو فكَّروا في القيام بعمل مضاد.

ثم أعقب المأمون ذلك برغبته في استقدام الإمام عليه السلام من المدينة إلى عاصمة الدولة، وقد بعث إليه رجاء بن أبي الضحاك لحمل الإمام عليه السلام وحدد له طريق المسير بأن يكون على طريق البصرة والأهواز وفارس ولا يمر به بالكوفة، وفي ذلك غرض أخفاه المأمون ولم يُفصح عنه، على ما كشفت عنه الأبحاث التاريخية التحليلية وأشارت إلى الأسباب والأهداف من وراء استقدام الإمام عليه السلام من المدينة إلى مرو، ومنها الخوف من الرضا عليه السلام لشياع أمره في الحرمين، وانتشار ذكره وإقبال الناس عليه، وغيرها من الأمور التي جعلت المأمون يتخذ قرارا حاسما في الحد من هذا الانتشار، وليكون الإمام عليه السلام تحت رقابة مفروضة صارمة لا يمكنه الإفلات منها، وليتسنى للمأمون أن يُنفذ خطته السياسية المبيتة.

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام: ص ١٤٩.

شهر ذي القعدة: خروج الامام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان ٣٩٩

ولما كان الإمام عليه السلام يعلم بقساوة الأيام التي سيعيشها تحت رقابة المأمون في عاصمة ملكه وبما بيته له من مكائد، كان خروجه من مدينة جده صلى الله عليه وآله في حالة من اللوعة والأسى، وقد نعى فيها نفسه.

روى الصدوق بسنده عن مخول السجستاني، قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان، كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودع رسول الله صلى الله عليه وآله، فودعه مرارا كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد السلام وهنأته، فقال: ((زرني، فإني أخرج من جوار جدي صلى الله عليه وآله فأموت في غربة وأدفن في جنب هارون))^(١) ..

وما أقسى أن يخرج الإنسان عن موطنه ويبعد عن أهله وذويه من دون أن يكون له خيار في ذلك، وما أشبه ذلك بالإلقاء في السجن حيث يفرض عليه نمط معين من الحياة، ويرى نفسه مقيداً بالالتزام به، وهو يخالف طبعه وما نشأ عليه.

وإذا كانت السنوات الأخيرة من حياة الإمام الكاظم عليه السلام قد مضت وهو ينقل من سجن إلى سجن، ويعاني من ثقل الحديد، فإن السنوات الأخيرة من حياة ابنه الرضا عليه السلام وإن لم تُكبّل فيها يده ورجلاه بالأغلال إلا أنه كُبّل بقيود من نوع آخر، كان يعاني من ثقلها، وليس القصر الذي سجن فيه الرضا عليه السلام بأحسن حالا من السجن الذي أودع فيه الإمام الكاظم عليه السلام.

ثم إن الإمام الرضا عليه السلام لما أراد الخروج من المدينة نظر إلى ولده الإمام الجواد عليه السلام وأقبل به إلى قبر جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله كما يحدث بذلك عليه السلام، فيقول: ((ثم أخذت أبا جعفر - ولم يكن له ولد غيره في أشهر الأقوال وله من العمر سبع سنوات^(٢) - فأدخلته المسجد ووضعت يده على حافة القبر وألصقته به، واستحفظته رسول الله صلى الله عليه وآله، فالتفت إليّ أبو جعفر عليه السلام فقال لي: بأبي أنت،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٤٥١.

والله تذهب إلى الله، وأمرت جميع وكلائي وحشمي له بالسمع والطاعة، وترك مخالفته، وعرفتهم أنه القيم مقامي^(١) ومما يثير الاستغراب أن الإمام الرضا عليه السلام قد أقام العزاء على نفسه قبل مغادرته المدينة، فقد روى الصدوق بسنده عن الحسن بن علي الوشاء، قال: قال لي الرضا عليه السلام: ((إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا علي حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبدا))^(٢).

ووجه الغرابة أن العادة جرت على أن إقامة العزاء والبكاء إنها هي بعد الموت، فما معنى أن يأمر الإمام الرضا عليه السلام عياله بالبكاء عليه لسمع بكاءهم؟! مع أنهم علموا بشهادته في يوم وقوعها، فقد روى محمد بن أحمد بن يحيى بسنده عن أمية بن علي قال: كنت بالمدينة، وكنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام، وأبو الحسن عليه السلام بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلمون عليه، فدعا يوما الجارية فقال: قولي لهم يتهيؤون للمأتم، فلما تفرقوا قالوا: ألا سألناه مأتم من؟ فلما كان من الغد فعل مثل ذلك، فقالوا مأتم من؟ قال: مأتم خير من علي ظهرها، فأتانا خبر أبي الحسن بعد ذلك بأيام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم^(٣)، فهل كان أمر الإمام الرضا عليه السلام عياله بالبكاء عليه لأنه يموت في الغربة بعيدا عن الأهل والوطن؟ أو لأنه كان يريد إشعارهم بأنه لن يعود فلا يأملون في لقائه؟ أو لأنه اعتبر نفسه ميتا فأمرهم بالبكاء لشدة ما سيلاقي من المحن والمآسي؟

وعلى أي حال فقد كان أمرا غريبا لم يعهد من أحد من الأئمة عليهم السلام.

(١) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٤٥٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) إعلام الوری بأعلام الهدى: ج ٢، ص ١٠٠.

وصول الإمام الرضا عليه السلام إلى نيسابور:

لما دخل علي بن موسى الرضا عليه السلام نيسابور كان في مهد على بغلة شهباء عليها مركب من فضة خالصة، فعرض له في السوق الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي وهما من أجلاء علماء أهل السنة ورواتهم ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم وأهل الحديث، فقالا: أيها السيد ابن السادة، أيها الإمام ابن الأئمة أيها السلالة الطاهرة الرضية أيها الخلاصة الزاكية النبوية، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين، إلا ما أريتنا وجهك المبارك الميمون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك نذكرك به فاستوقف البغلة، ورفع المظلة، وأقر عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة، فكانت ذؤابتاه كذؤابتي رسول الله ﷺ، والناس على طبقاتهم قيام كلهم، وكانوا بين صارخ وبكاء، وممزق ثوبه، ومتمرغ في التراب، ومقبّل حزام بغلته، ومطوّل عنقه إلى مظلة المهدي، إلى أن انتصف النهار، وجرت الدموع كالأنهار وسكنت الأصوات، وصاحت الأئمة والقضاة: معاشر الناس اسمعوا وعوا ولا تؤذوا رسول الله ﷺ في عترته وأنصتوا.

فقال عليه السلام: ((سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي))، فلما مرّت الراحلة نادى: ((بشروطها وأنا من شروطها))^(١) وقد كتب هذا الحديث من أهل الدوي والمحابر ما يزيد على عشرين ألفا وفي رواية عد من المحابر أربعة وعشرون ألفا سوى الدوي، والمحبرة هي الدواة الكبيرة وصاحبها لا يكون إلا عالما كبيرا، والدوي جمع دواة وصاحبها أقل درجة من صاحب المحبرة.

وصول الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون:

ولما وصل الإمام عليه السلام إلى مرو عاصمة المأمون أظهر الأخير العناية والاحتفاء به وبعد أن استقرّ المقام بالإمام عليه السلام عرض المأمون على الإمام عليه السلام أمر الخلافة، فأبأها الإمام عليه السلام أشد الإباء، وكان الإمام عليه السلام على بصيرة بما يخطط له المأمون، وإذا كان الإمام عليه السلام قد أبى الخلافة فإنه لم يكن له بد من قبول ولاية العهد، وقد كشف الإمام عليه السلام سر قبوله لها في حديثه مع الريان بن الصلت الذي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، فقال عليه السلام: ((قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل))^(١).

ومما يدل على علم الإمام عليه السلام بالأعيب المأمون ومخططاته أنه عليه السلام واجه المأمون ببعض الحقيقة حين قال له: ((وإني لأعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد؟ قال: الأمان على الصدق، قال: لك الأمان، قال: تُريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى الرضا لم يزهّد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا في الخلافة، فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقاني أبدا بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله تعالى أن ألقى بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أي لا أوتّي أحدا، ولا أعزل أحدا، ولا أنقض رسما ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيد مشيرا، فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهده على كراهية منه عليه السلام بذلك))^(٢).

إن هذا الموقف من الإمام عليه السلام يدلنا على أنه عالم بأن المأمون يريد أن يحقق

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٤.

شهر ذي القعدة: خروج الامام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان ٤٠٣

أغراضه السياسية، وأهمها إثباته للعباسيين أن بإمكانه أن يعتمد على خصومهم فضلا عن غيرهم.

ومما يدلنا على سوء نوايا المأمون وعدم إخلاصه في هذه القضية إكراه الإمام عليه السلام على القبول وتهديده بالقتل، واكتفائه منه بالقبول الصوري، والتشديد على الإمام عليه السلام، ورصد جميع تحركاته عليه السلام ومحاسبته عليها، مضافا إلى ما سبق هذه القضية وما لحقها من أحداث مما يدل دلالة قاطعة على أن المأمون إنما أراد من هذا الإجراء تحقيق طموحاته السياسية التي لا تتحقق إلا بهذا النحو من التدبير، ولسنا في مقام دراسة هذا الموضوع، ونكتفي بهذه الإشارة التي تدل على أن الإمام عليه السلام عاش ظروفًا قاسية وأيامًا صعبة عانى منها الآلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

١٠

السلام عليكم
جوارك اللهم



المناسبات الدينية لشهر ذي القعدة

شهادة الإمام الجواد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

مُجَلِّي حَقَائِقِ الْإِمَامَةِ:

امتاز الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام عن بقية أئمة أهل البيت عليه السلام بميزة حملته لتكاليف الإمامة وهو بعد لم يبلغ الخُلُم، وقد كان لهذه الحادثة في تلك المرحلة الحساسة من تاريخ المسلمين دور كبير في بلورة حقيقة مقام الإمامة في عقيدة أتباع أهل البيت عليه السلام، حيث برهن الإمام الجواد عليه السلام عمليا على أن فرع الإمامة المقدس ما هو إلا امتداد لشجرة النبوة التي لا يشترط في أهلها قيود متعارفة بين الناس كصغر السن أو ما شابه.

ولد عليه السلام في العاشر من شهر رجب سنة ١٩٥ هـ وقيل: في السابع عشر من شهر رمضان المبارك أو في النصف منه، تولى الإمامة في سن سبع سنين تقريبا، وكانت مدة إمامته سبع عشرة سنة عاصر فيها من ملوك بني العباس: المأمون والمعتصم، وفي أول ملك المعتصم استشهد عن عمر بلغ خمسا وعشرين سنة وثمانية عشر يوما.

أبوه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، الإمام الهمام غريب طوس وسليل الدوحة العلوية المباركة، الذي اشتهر فضله وذاع صيته بين المحبين والمبغضين على حد سواء، أما أمه فهي أم ولد يقال لها: (سبيكة) أو (درة)، وقيل: إن الرضا عليه السلام سماها (خيزران)، وكانت نوبية^(١) وروي أنها كانت من بيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، ويكفي في بيان ما لها من الفضل ما جاء عن رسول الله ﷺ قوله مبشرا بالإمام الجواد عليه السلام: ((يأتي بن خيرة الإمام بن النوبية

(١) النوب: بلاد في السودان، ويقال: إنه اسم جبل فيها.

الطاهرة الطيبة الفم المتجبة الرحم...))^(١).

خصائصه ومناقبه عليه السلام:

إن الإمام الجواد عليه السلام له الكثير من الفضائل العظيمة والمناقب الكريمة التي تعتبر من مختصاته المشهودة، وقد ورد الكثير من الأحاديث الشريفة التي تشهد على هذه الحقيقة، روي عن رسول الله ﷺ قوله: ((.. من أحب أن يلقى الله عز وجل وقد رفعت درجاته وبدلت سيئاته حسنات فليتوال محمد بن علي الجواد...))^(٢).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: ((والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ذكرا يفرق به بين الحق والباطل))^(٣)، وعنه عليه السلام في الجواد عليه السلام أيضا: ((هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه))^(٤)، ولعل الكثير من هذه الأحاديث جاءت للدلالة على إمامة الجواد عليه السلام، لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يعلمون تماما ما سيُمتحن به الناس في إمامته عليه السلام بالنظر إلى صغر سنه، روي عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: ((قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاما، فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك فإن كان كون فيلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟! فقال: وما يضره من ذلك فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين))^(٥).

وروي أن رجلا قال للإمام الرضا عليه السلام: ((يا سيدي إن كان كون فيلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام، فقال الرضا ابو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولا نبيا، صاحب

(١) الوافي: ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ١٠٨.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣٢٠.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ٣٠٩.

(٥) المصدر السابق: ج ١، ص ٣٢١.

شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام^(١).

من كراماته الباهرة:

مضافا إلى ما ورد في منزلة الإمام الجواد عليه السلام من أحاديث شريفة، فقد أجرى الله تعالى على يديه عليه السلام الكثير من الآيات الباهرات التي يُعد كل واحد منها دليلا وافية على ولايته وعلى ارتباطه المباشر بعالم الغيب المقدس، من ذلك ما روي عن عمارة ابن زيد انه قال: ((رأيت محمد بن علي عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله ما علامة الإمام؟ قال: (إذا فعل هكذا) فوضع يده على صخرة فبانّت أصابعه فيها، ورأيته يمد الحديد بغير نار ويطبع الحجارة بخاتمه))^(٢)، وروي عن إبراهيم بن سعد أنه قال: ((رأيت محمد بن علي عليه السلام يضرب بيده إلى ورق الزيتون فيصير في كفه ورقا- أي نقودا- فأخذت منه كثيرا وأنفقتُه في الأسواق فلم يتغير))^(٣)، وروي عن محمد بن يحيى قال: ((لقيت محمد بن علي الرضا عليه السلام على وسط دجلة فالتقى له طرفاه حتى عبر، ورأيته بالأنبار على الفرات فعل مثل ذلك))^(٤) وعن أمية بن علي قال: ((كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام، وأبو الحسن عليه السلام بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلمون عليه، فدعا يوما الجارية فقال: قولي لهم يتهياؤن للمأتم، فلما تفرقوا قالوا: ألا سألناه مأتم من؟ فلما كان من الغد، فعل مثل ذلك فقالوا: مأتم من؟ قال: مأتم خير من علي ظهرها، فأتانا خبر أبي الحسن بعد ذلك بأيام فإذا هو قد مات في ذلك اليوم))^(٥).

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٢٢.

(٢) دلائل الامامة: ص ٣٩٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٣١٠.

شهادته عليه السلام:

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ((يقتل ابني محمد عليه السلام غصبا، فتبكي عليه أهل السماء والأرض، ويغضب الله عز وجل على عدوه وظالميه، ولم يلبث إلا سنة حتى يحل الله به عذابه الأليم وعقابه الشديد الجسيم))^(١).

ورد في التاريخ أن سبب شهادته عليه السلام أن أم الفضل بنت المأمون - لما تسرى ورزقه الله الولد من غيرها - انحرفت عنه، وسمته في عنب، وكان تسعة عشر عنبه، وكان يحب العنب، فلما أكله بكت، فقال لها: مم بكائك، والله ليضربنك الله بفقر لا يجبر، وببلاء لا ينستر^(٢). فبليت بعده بمرض في أغمض المواضع من بدنها، وأنفقت عليه ملكها حتى احتاجت إلى رفد الناس، فلم ينفعها شيء حتى ماتت.

ثم أن الإمام عليه السلام مكث والسم يجري في مفاصله حتى قبضه الله تعالى إليه مظلوما مهضوما في آخر شهر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ، وقد روي أن ابنه الإمام الهادي عليه السلام وقف على قبره وقال: ((واأبتاه وا محمداه.. آه وا وحدتاه، وا قلة ناصراه، وا انقطاع ظهره، ليتني كنت لك الفدا يا أبتاه من بعدك، وا وحشتاه، فراقك قد أعمى عيني وهيج حزني وقطع نياط قلبي، يا أبتاه أقرئ آباءك عني السلام وأخبرهم بما نحن فيه من الهوان، يا أبتاه مضيت عنا ولم يطل لك العمر وتبلغ الكهولة في الحياة يا أبتاه))^(٣).

من غرر كلامه عليه السلام:

روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: ((من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده))^(٤).

وقال عليه السلام: ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن

(١) الثاقب في المناقب: ص ٢٠٧.

(٢) دلائل الامامة: ص ٣٩٥.

(٣) المطالب المهمة: ص ٣١-٣٣.

(٤) تحف العقول: ص ٤٧٩.

الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان))^(١).

وقال عليه السلام: ((تأخير التوبة اغترار، وطول التسوية حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون))^(٢).

وقال عليه السلام: ((لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد))^(٣).

وقال عليه السلام: ((المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه))^(٤).

زيارة الإمام الجواد عليه السلام:

إذا أردت زيارته عليه السلام فقف على قبره وقبله وقُل:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ الْبَرِّ النَّفِيِّ الْإِمَامِ الْوَفِيِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَيُّهَا الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَجِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا سَفِيرَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سِرَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ضِيَاءَ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا سَنَاءَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا كَلِمَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَحْمَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا النُّورُ السَّاطِعُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبَدْرُ الطَّالِعُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الطَّيِّبُ مِنَ الطَّيِّبِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الطَّاهِرُ مِنَ الْمُطَهَّرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَيُّهَا الْآيَةُ الْعُظْمَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْحُجَّةُ الْكُبْرَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُطَهَّرُ
مِنَ الزَّلَّاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُنَزَّهَ عَنِ الْمُعْضَلَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ
عَنْ نَقْصِ الْأَوْصَافِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّضِيُّ عِنْدَ الْأَشْرَافِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا عَمُودَ الدِّينِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ وَوَلِيُّ اللَّهِ وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ وَأَنَّكَ جَنْبُ اللَّهِ وَخَيْرُهُ اللَّهُ
وَمُسْتَوْدَعُ عِلْمِ اللَّهِ وَعِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَرُكْنُ الْإِيمَانِ وَتَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ

(١) الكافي: ج ٦، ص ٤٣٤.

(٢) الإرشاد: ج ٢، ص ٢٠٥.

(٣) مشكاة الانوار: ص ٧١.

(٤) تحف العقول: ص ٤٥٧.

اتَّبَعَكَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَأَنَّ مَنْ أَنْكَرَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْعَدَاوَةَ عَلَى الضَّلَالَةِ
وَالرَّدى، أَبْرءُ إِلَى اللَّهِ وَالْيَك مِنْهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مَا بَقِيَتْ
وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



مناسبات الشهر

شهر ذي الحجة



١هـ تزويج أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء عليها السلام

٧هـ شهادة الإمام الباقر عليه السلام

٩هـ يوم عرفة

١٩هـ بيعة المسلمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة

٢٨هـ وقعة الحرة



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(٥)

تزويج

أمير المؤمنين من
فاكلمة الزهراء

((عليهما السلام))

فاكلمة الزهراء



المناسبات الدينية لشهر ذي الحجة

تزويج أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

بعد ما استقرت قدم علي عليه السلام بالمدينة ونزل مع النبي صلى الله عليه وآله في دار أبي أيوب الأنصاري كان من اللازم أن يقترن بزوجة، وكان على النبي صلى الله عليه وآله أن يزوجه، فهو شاب قد بلغ العشرين أو تجاوزها، والزواج من السنة ومن أحق من النبي وعلي (صلوات الله عليهما) باتباع السنة، ولكن من هي هذه الزوجة التي يخطبها علي عليه السلام ويقترن بها، ومن هي هذه الزوجة التي يختارها له النبي صلى الله عليه وآله ويقضي بذلك حقه وحق أبيه أبي طالب؟ ليست إلا ابنة عمه فاطمة عليها السلام، فلا أكمل ولا أفضل منها في النساء، ولا أكمل ولا أفضل من علي عليه السلام في الرجال، إذا فتحتهم على علي عليه السلام أن يختارها زوجة وعلى الرسول صلى الله عليه وآله أن يختارها له، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: ((لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ))، ومن قبلها اختار الله تعالى تزويجها حيث يروى عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: ((بيننا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً، في كل رأس ألف لسان، يسبح الله ويقده بلغة لا تشبه الأخرى، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبي صلى الله عليه وآله أنه جبرائيل، فقال: يا جبرئيل! لم تأتني في مثل هذه الصورة قط، قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرائيل، بعثني الله إليك لتزوج النور من النور، فقال النبي صلى الله عليه وآله من ممن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب، فزوج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرائيل وميكائيل وصرائيل.

قال: فنظر النبي صلى الله عليه وآله فإذا بين كتفي صرائيل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب مقيم الحجّة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا صرائيل! منذ كم هذا كتب بين كتفيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة ^(١).

وعندما دخل النبي صلى الله عليه وآله المدينة نزل في دار أبي أيوب الأنصاري وكان علي عليه السلام معه فيها،

ولم يكن قد بنى لنفسه بيتا ولا لعلي ولذلك لم يزوج عليا أول وروده المدينة وانتظر بناء بيت له، ومع ذلك ففي بعض الروايات أنه زوجه بفاطمة عليها السلام بعد مقدمه المدينة بخمسة أشهر، وبعد رجوعه من بدر، فيكون قد عقد له عليها وهو في دار أبي أيوب، وتم هذا الزواج المبارك بعد خروجه من دار أبي أيوب بشهرين.

هذا وقد خطبها أبو بكر ثم عمر إلى النبي صلى الله عليه وآله مرة بعد أخرى فردهما، فمرة يقول إنها صغيرة، ومرة يقول أنتظر بها القضاء، فقال نفر من الأنصار لعلي عندك فاطمة فأتى النبي صلى الله عليه وآله فسلم عليه فقال ما حاجتك قال ذكرت فاطمة، قال: (مرحبا واهلا) فأخبر نفر بذلك قالوا يكفيك أحدهما أعطاك الأهل أعطاك المرحب.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: ((إن عليا يذكرك وهو ممن عرفت قرابته وفضله في الإسلام وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه، فسكتت فقال الله أكبر سكوتها إقرارها))^(١).

وكيف لا تسكت فاطمة عليها السلام ولا ترضى وهي قد عرفت عليا عليها السلام في صغره وشبابه ودرست أخلاقه وأحواله دراسة كافية، فإنه تربي معها وفي بيت أبيها، ورأت بعينها شجاعته الخارقة عند هجرتها من مكة إلى المدينة حين لحقه الفوارس الثانية، وكيف قتل جناحهم ففده من كتفه إلى قربوس فرسه وهرب أصحابه أذلاء صاغرين، وعرفت كيف كانت محافظته عليها وعلى رفيقاتها الفواطم الهاشميات في ذلك السفر وحنوه عليها وعليهن ورفقه بها وبهن، فهل يمكن أن تتردد في الرضا بأن يكون لها بعلا وتكون له زوجة، وتحقق بذلك صدق أبيها في أنه لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ على وجه الأرض، وإنما أراد الرسول صلى الله عليه وآله باستشارتها الجري على السنة وتعليم أمته أن تستأمر المرأة عند إرادة تزويجها، لما في ذلك من إظهار لكرامتها، وأن لا يستبدوا بها حتى لو كان أبوها سيد الأنبياء، وخاطبها علي بن أبي طالب سيد الأمة بعد أبيها^(٢).

(١) أعيان الشيعة: ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٣٧٧.

قدر مهر الزهراء عليها السلام: والروايات مختلفة في قدر مهر الزهراء عليها السلام، والصواب أنه كان خمسمائة درهم، لكثرة الروايات المحددة له بذلك، كما ثبت من طريق أهل البيت عليهم السلام، وتدل عليه روايات كثيرة من طريق الجمهور كما رواه ابن سعد في الطبقات، هذه فاطمة وهذا علي عليهما السلام لا تزيدهما كثرة المال شرفا ولا تنقص قلته من شرفهما، هي سيدة النساء وهو سيد العرب، فما يصنعان بالمال وما يصنع لهما.

جهاز الزهراء عليها السلام عند تزويجها: جاء علي عليه السلام بالدرهم فصبها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر صلى الله عليه وآله أن يجعل ثلثها في الطيب - اهتماما بأمر الطيب - وثلثها في الثياب، وقبض قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين لمتاع البيت، ودفع الباقي إلى أم سلمة فقال أبقيه عندك، فكان مما اشتروه: قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيرية - وهي دثار له خمل - وسرير من جريد النخل مشبك بخوص النخل المفتول، وفرشان من خيش مصر - وهو مشاققة الكتان - حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من صوف الغنم، وأربع متكئات من الجلود محشوة بالإذخر - نبات طيب الرائحة - وستر رقيق من صوف، وحصير هجري معمول بهجر - قرية بالبحرين - ورحى لتطحن بها سيدة النساء لقوتها وقوت علي عليه السلام، وإناء نحاس لتغسل فيه الثياب وربما عجننت فيه، وقربة صغيرة وأخرى كبيرة لتستقي بها، وقربة صغيرة عتيقة لتبريد الماء، وقدر من خشب، ووعاء مصنوع من ورق النخل مزفت تغسل به يديها ويدي ابن عمها وجرة خضراء، وكيزان - جمع كوز - خزف، وبساط من جلد، وعباءة قطوانية - بالتحريك وهي عباءة بيضاء قصيرة الخمل نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة -.

فلما وضع ذلك كله بين يدي النبي صلى الله عليه وآله جعل يقلبه بيده ويقول: (اللهم بارك لأهل البيت)، وفي رواية أنه بكى وقال: (اللهم بارك لقوم جُلّ آنتهم الخزف). ولم يكن بكاؤه أسفا على ما فاتهم من زخارف الدنيا الفانية ولكنها رقة طبيعية تعرض للوالد في مثل هذه الحال. وكان من تجهيز علي عليه السلام داره: نشر رملٍ لين، ونصبُ خشبة على الحائط لتعليق الثياب عليها، وبسط جلد كبش ومخدة ليف وقربة ومنخل لتنخل به الزهراء عليها السلام الدقيق الذي تطحنه ومنشفة وقدر. هكذا كان جهاز سيدة النساء وجهاز بيت سيد الأوصياء، وهو

مما يدلنا على هوان الدنيا على الله، وما ضرَّ عليا وفاطمة ولا أنقص من عزهما أن لا يكون في جهاز عرس فاطمة عليها السلام أساور ولا أقراط من ذهب ولا فضة ولا عقود من جواهر أو لؤلؤ بل تزينت بحلي مستعار^(١).

زفاف الزهراء إلى علي عليهما السلام: فلما كان بعد نحو شهر قال جعفر وعقيل لأخيها علي عليه السلام، أو عقيل وحده، ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل عليك أهلك؟ قال عليه السلام: الحياء يمنعي، فاقسم عليه أن يقوم معه فقاما وأعلما أم أيمن، فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها وأعلمت نساء النبي صلى الله عليه وآله، فاجتمعن عنده وقلن: ((.... يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يُحبُّ أن تُدخل عليه زوجته، قال صلى الله عليه وآله: حبا وكرامة، فدعا بعلي فدخل وهو مطرق حياءً وقُمنَ أزواجه فدخلن البيت فقال: أتحبُّ أن أدخل عليك زوجتك؟ فقال عليه السلام وهو مطرق: أجل فداك أبي وأمي، فقال صلى الله عليه وآله: أدخلها عليك إن شاء الله، ثم التفت إلى النساء وأمرهن أن يُزينَ فاطمة عليها السلام ويُطينَها ويُصلِحنَ من شأنها في حجرة أم سلمة وان يفرشنَ لها بيتا كان قد هياه علي عليه السلام بالأجرة، وكان بعيدا عن بيت النبي صلى الله عليه وآله قليلا فلما تزوج بها حوَّله إلى بيت قريب منه، ففعلن النسوة ما أمرهن وعلقن عليها من حليهن وطيبينها^(٢).

كيفية الزفاف: فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلة الشهباء أو بناقته وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة عليها السلام: اركبي، فأركبها وأمر سلمان أن يقود بها، ومشى صلى الله عليه وآله خلفها ومعه حمزة وعقيل وبنو هاشم مشهرين سيوفهم، ونساء النبي صلى الله عليه وآله قدَّامها يرجِزنَ، وأمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليها السلام وأن يفرحنَ ويرجِزنَ ويكبِرنَ ويحمدنَ ولا يقلنَ ما لا يرضي الله.

ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فدعاه واخذ بيد فاطمة عليها السلام فوضعها في يده وروي أنه قال: (اللهم إنها أحبُّ إليَّ فأحبها وبارك في ذريتها واجعل عليها منك حافظا، وإني أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم) ودعا لفاطمة عليها السلام فقال:

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الامين: ج ١، ص ٣٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيرا)، وروي أنه قال: (مرحبا ببحرين يلتقيان ونجمين يقتربان) وفي رواية أنه قال: (اللهم هذه ابنتي وأحب الخلق إليّ اللهم وهذا أخي وأحب الخلق إليّ اجعله لك وليا وبك حفيا وبارك له في أهله)، ثم قال: (يا علي ادخل باهلك بارك الله تعالى لك ورحمة الله وبركاته عليكم إنه حميد مجيد)، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: (طهركم الله وطهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم أستودعكم الله وأستخلفه عليكم)، ثم أغلق عليها الباب بيده. هكذا كان زفاف فاطمة إلى علي عليه السلام فهنيئا لك يا أبا الحسن ويا سيدة النساء بهذا العرس الذي تجلت فيه العزة والعظمة والهيبة والجلالة.

الحقوق الزوجية: بهذه المناسبة السعيدة لا بأس أن نذكر جملة من الحقوق الزوجية، فقد وضع الإسلام حقوقا وواجبات على جميع أفراد الأسرة، وأمر بمراعاتها من أجل إشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، وتعميق الأواصر وتمتين العلاقات بين أفرادها، وإزالة كل أنواع المشاحنات والخلافات المحتملة.

حقوق الزوجة: المرأة شريكة الحياة، ولها ما للرجال من الحقوق، وعلى الزوج أن يراعي حقوقها، حتى تستحکم أواصر العلاقات الزوجية، وفي حق الزوجة يقول الإمام السجاد عليه السلام: ((وأما حق الزوجة: فأن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك وتطعمها وتسقيها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها))^(١). فما أروع هذه الأصول والقواعد الأولية في الحياة الزوجية. وللزوجة على الزوج جملة من الحقوق منها:

١ - العفو والتسامح و تحمّل الأذى: قال إسحاق بن عمار: ((كان لأبي عبد الله عليه السلام امرأة وكانت تؤذيه فكان يغفر لها))^(٢).

٢- الإنفاق والسعة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((ما من عبد يكسب، ثم ينفق على عياله، إلاّ

(١) الخصال: ص ٧٦٥.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٤١.

- أعطاه الله بكلّ درهم ينفقه على عياله سبعمئة ضعف))^(١).
- ٣- الحنان وعدم الظلم: قال رسول الله ﷺ: ((خير الرجال من أمتي الذين لا يتناولون على أهلهم ويحتنون عليهم، ولا يظلمونهم...))^(٢).
- ٤- عدم الضرب المبرح: قال النبي ﷺ: ((من رفع يده على زوجته، مدّت له يد في النار))^(٣).
- ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا قد عجزت عن نفسي كلّفت أهلي، فقال رسول الله ﷺ: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك))^(٤).
- ٦- رعايتها والحفاظة عليها: قال رسول الله ﷺ: ((إنما المرأة لعبة من اتخذها فلا يضيّعها))^(٥).
- ٧- الإحسان: عن رسول الله ﷺ، قال: ((عيال الرجل أسراؤه، وأحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه))^(٦).
- ٨- المداراة المطلقة: عن الصادق عليه السلام، قال: ((أتقوا الله في الضعيفين)) يعني المملوك والمرأة، والضعيف يحتاج دائماً إلى مداراة^(٧).
- ٩- التزين وحسن المظهر: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ((النساء يحببن أن يرين الرجل في مثل ما يحبّ الرجل أن يرى فيه النساء من الزينة))^(٨).

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢١٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة (السيد عادل العلوي): باب حقوق الزوجين المشتركة.

(٤) جواهر البحار: ج ٩٧، ص ٩٢.

(٥) الكافي: ج ٥، ص ٥١٠.

(٦) الوافي: ج ١٢، ص ١١٧.

(٧) تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة (السيد عادل العلوي): باب حقوق الزوجين المشتركة.

(٨) مكارم الأخلاق: ص ٨٠.

حقوق الزوج: للزوج على زوجته جملة من الحقوق منها:

١- الإطاعة الخالصة: قال صلى الله عليه وآله: ((حقّ الزوج على الزوجة: ... أن تطيعه ولا تعصيه...))^(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لو كنت أمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))^(٢).

٢- الإذن في التصرف وفي الأعمال: ((يروى أنّ رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في بعض حوائجه وعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم، قال: وإن أباه مرض، فبعثت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: إن زوجي خرج وعهد إليّ أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم، وإنّ أبي مرض، أفتأمرني أن أعوده؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فمات، فبعثت إليه فقالت: يا رسول الله، إنّ أبي قد مات فتأمرني أن أحضره؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فدفن الرجل فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك))^(٣).

ونهى النبي صلى الله عليه وآله أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها، فإن خرجت لعنها كلّ ملك في السماء وكلّ شيء تمرّ عليه من الجنّ والإنس حتى ترجع إلى بيتها، ونهى أن تتزيّن لغير زوجها، فإن فعلت كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يحرقها بالنار. ٣- الرفق بالزوج: على المرأة أن تتعامل مع زوجها برفق فلا تحمله ما لا يقدر عليه، وأكثر من طاقته، قال النبي صلى الله عليه وآله: ((أيّ امرأة لم ترفق بزوجها وحملت على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق، لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله وهو عليها غضبان))^(٤).

٤ - الاهتمام بداخل الدار ولوازم البيت: عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: ((حقّ الرجل على المرأة إنارة السراج وإصلاح الطعام، وأن تستقبله عند باب بيتها فترحبّ به، وأن تقدّم إليه الطشت والمنديل - كما كان من وسائل الزمان القديم، ولكلّ زمان وسائله وآلاته وأدبه الخاصّ كما هو واضح، فإنّ المقصود بيان بعض الأمثلة في الروايات الشريفة لا خصوص

(١) الكافي: ج ٥، ص ٥٠٧.

(٢) المصدر السابق: ج ٥، ص ٥٠٧.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٢١٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٢٤٤.

المورد - وأن توضع، أي تغسل يده، فإن الوضوء لغةً بمعنى الغسل، وأن لا تمنعه نفسها إلا من علة^(١).

٥ - الاهتمام بأداء الحقوق: قال النبي ﷺ: ((لا تؤذي المرأة حق الله عز وجل حتى تؤذي حق زوجها))^(٢).

٦ - حق الفراش: قال النبي ﷺ: ((لا يحل لامرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها، تخلع ثيابها، وتدخل معه في لحافه فتلذق جلدتها بجلده، فإذا فعلت ذلك فقد عرضت نفسها))^(٣).

عن الصادق عليه السلام، قال: ((إن امرأة أتت رسول الله ﷺ لبعض الحاجة، فقال لها: لعلك من المسوفات، وكأن النبي ﷺ هو يتعرض لها ليعلمها ما يجب عليها، فقالت: يا رسول الله، وما المسوفات؟ فقال: المرأة يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوفه (أي تأخره) حتى تنقضي حاجة زوجها فينام، فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها))^(٤).

٧ - التزيين: من حق الزوج على الزوجة أن تتزين له، فعلى المرأة أن تتزين لزوجها. عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ((لitzين أحدكم لأخيه إذا أتاه كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة))^(٥). بطريق أولى يتزين الزوج لزوجته، وأولى من هذا أن تتزين المرأة لزوجها.

٨ - عفة الكلام: قال رسول الله ﷺ: ((أيها امرأة أذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه، وإن صامت نهارها وقامت ليلها واعتقت الرقاب وحملت على جياذ الخيل في سبيل الله، وكانت أول من يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً))^(٦).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٢١٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٩٨.

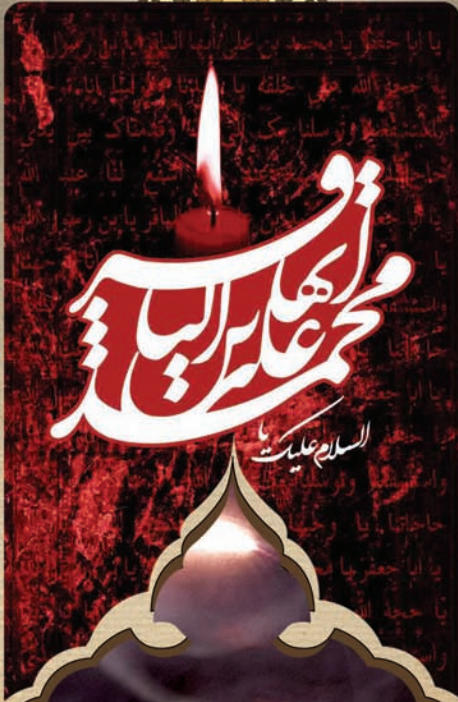
(٦) المصدر السابق: ص ٢١٤.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

١٢

شهادة
الإمام الباقر
عليه السلام



المناسبات الدينية لشهر ذي الحجة

شهادة الإمام الباقر عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

الإمام في ظل جده وأبيه عليه السلام:

بدأ السنوات الأولى من حياته عليه السلام في كنف جده الحسين عليه السلام، الذي عني بتربيته وترعرع بين يديه، حيث أفاض عليه نورا من روحه المقدسة وغذاه بالمثل الكريمة وهدى الرسالة، وخلق السماء.

وهكذا بقى عليه السلام في حجر سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي زال يوسعه لثما وتقبيلا، ويوليه عناية خاصة؛ ليشعر الأمة بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ينتظر منه القيام بدوره القيادي، بأن يفجر في ربوع أمته ينابيع الحكمة، ويذيع فيها العلم، ويهديها إلى سواء السبيل.

ولم تسمح الظروف لهذا الصبي المبارك أن يرى جده أكثر من أعوامه الأربعة الأولى، التي عاشها في ظله الشريف، فيحمل أبي الضيم الحسين بن علي عليه السلام حفيده معه إلى كربلاء مع من حمل؛ ليعطيه دروسا بليغة حية في الصلابة والثبات في مقارعة الظلم والظالمين فظلت أحداث كربلاء، وما تلاها من مأس وآلام راسخة في ذهنه، حيث روى عليه السلام الكثير من فصول الواقعة، وما كان سمعه من أبيه السجاد عليه السلام، وهو أكبر هاشمي من الرجال بقي على قيد الحياة ممن أتى مع ركب الحسين عليه السلام.

عاش الإمام عليه السلام في ظل جده الحسين عليه السلام حوالي أربع سنين وشاهد ما جرى في واقعة الطف من الرزايا التي جرت على عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من القتل والترويع والسبي وغير ذلك من الكوارث التي تذوب من هولها القلوب.

قال عليه السلام: قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله وما نالنا في

ذلك الوقت^(١).

وكذلك شاهد عليّ العديد من الرزايا والمصائب بعد وقعة الطف - من تقتيل وتشريد - التي توالى على أبيه وأهل بيته من أولئك الحكام الطغاة العتاة الذين انغمسوا في الجرائم، وتنكروا للقيم والأخلاق وجميع المبادئ التي جاء بها الإسلام. وبعد كربلاء تولى الإمام زين العابدين عليّ تنشئته وإعداده لتسلم منصب الإمامة ونشر فقه الرسالة المحمدية التي كاد نجمها يؤول إلى الأفول، لولا أن الله سبحانه تعاهد رسالته الخاتمة بحفظها على يد الصفوة المختارة من آل النبي محمد ﷺ.

تسميته ولقبه:

كانت تسميته عليّ من جده رسول الله ﷺ، وهذا ما ورد في الرواية عن جابر بن عبد الله الانصاري رضوان الله عليه، فقد ورد عن محمد بن مسلم المكي أنه قال: ((كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي، فقال لابنه: قبل رأس عمك، فدنا محمد بن علي من جابر فقبل رأسه، فقال جابر: من هذا؟ وكان قد كف بصره، فقال له علي: هذا ابني محمد، فضمّه جابر إليه وقال: يا محمد! محمد رسول الله يقرأ عليك السلام، فقالوا لجابر: كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال: كنت مع رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلاعبه، فقال: يا جابر يولد لابني الحسين ابنٌ يقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي ابنٌ يقال له محمد، يا جابر إن رأيت فاقراه مني السلام، واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسير))^(٢).

فلم يعيش جابر بعد ذلك إلا قليلا - قيل ثلاثة أيام - ومات.

هيبته ووقاره ﷺ:

وقد بدت على ملامح الإمام عليّ الهيبة والوقار، فما جلس عنده أحد إلا هابه

(١) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٢٧.

وأكبره، وقد تشرف «قتادة بن دعامة البصري - وهو فقيه أهل البصرة - بمقابلته فاضطرب قلبه من هيئته، وروى الشيخ الكليني في كتاب الأطمعة من الكافي عن أبي حمزة الثمالي قال: ((كنت جالسا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إذ أقبل رجل فسلم، فقلت: من أنت يا عبد الله؟ فقال: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام؟، فقلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته، قال أبو حمزة، فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال: نعم، فقلت له: فما حاجتك إليه، إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل؟ فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون، إذا رأيت أبا جعفر فأخبرني، فما انقطع كلامي معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريبا منه، قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام وحوله عالم من الناس، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفت إلى الرجل، فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله جل وعز خلق خلقا من خلقه، فجعلهم حججا على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه.

قال: فسكت قتادة طويلا، ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك، قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك تدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثم ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك والله ما هي بيوت

حجارة ولا طين، قال قتادة: فأخبرني عن الجبن، فتبسم أبو جعفر عليه السلام، ثم قال: رجعت مسألك إلى هذا؟ قال: ضلت علي فقال: لا بأس به))^(١).

فقد كان الإمام عليه السلام حجة الله في أرضه، فقد تجلت في شخصيته سمات أولياء الله وأحبائه الذين أضفى عليهم الهيبة والوقار.

ومن غمرتهم هيبة الإمام عليه السلام الشاعر المغربي، فوصفه بقوله:

يا بن الذي بلسانه وبيانه * هدي الأنام فنزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت * بقدمه التوراة والإنجيل
هو مثله في الفضل إلا أنه * لم يأتيه برسالة جبريل

لقد ابتعد الإمام عليه السلام عن كل ما ينافي الوقار وسمو الشخصية، ولم ير ضاحكا، وإذا ضحك يقول: اللهم لا تمقتني.

روي عن أبي حمزة الثمالي: ((لما كانت السنة التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام ولقيه هشام بن عبد الملك أقبل الناس ينثالون عليه، فقال عكرمة: من هذا الذي عليه سياء زهرة العلم لأجربنه، فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه وأسقط في يده، وقال: يا بن رسول الله، لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره فما أدركني ما أدركني أنفا، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويلك يا عبيد أهل الشام إنك بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه))^(٢).

أقواله وحكمه عليه السلام:

ورد عنه عليه السلام: ((والله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلا وفيها إمام يُهتدى به إلى الله تعالى، وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة الله على عباده))^(٣).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أتاني جبرئيل بين الصفا والمروة، فقال: يا محمد صلى الله عليه وآله طوبى لمن قال من أمتك: لا إله إلا الله وحده وحده))^(٤).

(١) الكافي: ج ٦، ص ٢٥٧.

(٢) أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٥٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٢.

(٤) التوحيد: ص ٢١.

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف))^(١).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الرفق لم يُوضع على شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه))^(٢).

وعنه عليه السلام، أنه قال: ((يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم فطوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الله جلّ وعز، عبادي آمنتُم بسرّي وصدقتم بغيبتي فأبشروا بحسن الثواب مني فأنتم عبادي وأمنائي حقاً، منكم أتقبّل وعنكم أعفو ولكم أغفر، بكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي، قال جابر: قلت: يا بن رسول الله: فما أفضل ما يستعمله المؤمنون في ذلك الزمان؟ قال: حفظ اللسان ولزوم البيت))^(٣).

وعنه عليه السلام: ((أيما عبد من عباد الله سنّ سنّة هدى كان له أجر مثل من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء))^(٤).

شهادته عليه السلام:

عاش الإمام الباقر عليه السلام مع أبيه السجاد عليه السلام نحواً من ثمان وثلاثين سنة، وصاحبه طيلة مدة حياته فلم يفارقه حتى لبي نداء ربه والتحق بالرفيق الأعلى، فشهد ما عاناه أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام من جور وعسف حكّام الضلال الظالمين، كما مرّت على الإمام الباقر عليه السلام نفسه فترة العهود المظلمة من حكم بني أمية وعاصر الإمام الباقر عليه السلام هشام بن عبد الملك الذي كان أكثرهم شراً وأعتاهم على أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وورث هشام بن عبد الملك حقد أسلافه على النبي ﷺ وآله الأطهار، إذ ما فتئ

(١) الكافي: ج ٢، ص ١١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٧١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤٥.

(٤) ثواب الأعمال: ص ١٣٢.

يتربص بالإمام الدوائر ويتحين الفرص لأذاه والنيل منه، والبطش به، حتى دس للإمام عليه السلام السم المثل فقتله.

وقضى الامام الباقر عليه السلام نجه شهيدا مظلوما يشكو إلى ربه ظلم وتعسف الحكام المجرمين من آل أبي سفیان وآل مروان، ومن سار على طريقتهم.

زيارة الإمام محمد الباقر عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبَاقِرُ لِعِلْمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَاحِصُ عَنْ دِينِ اللَّهِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُبِينُ لِحُكْمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَائِمُ بِقِسْطِ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاصِحُ لِعِبَادِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَيُّهَا الدَّلِيلُ إِلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَضْلُ الْمُبِينُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النُّورُ
السَّاطِعُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبَدْرُ اللَّامِعُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْحَقُّ الْأَبْلَجُ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا السَّرَاجُ الْأَسْرَجُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّجْمُ الْأَزْهَرُ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا الْكَوْكَبُ الْأَبْهَرُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُنَزَّهُ عَنِ الْمُعْضَلَاتِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَعْصُومُ مِنَ الزَّلَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الزَّكِيُّ فِي الْحَسَبِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّفِيعُ فِي النَّسَبِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ الشَّفِيقُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الْقَضْرُ الْمَشِيدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، أَشْهَدُ يَا مَوْلَايَ
أَنَّكَ قَدْ صَدَعْتَ الْحَقَّ صَدْعًا، وَبَقَوْتَ الْعِلْمَ بَقْرًا، وَنَثَرْتَهُ نَثْرًا، لَمْ تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَكُنْتَ لِدِينِ اللَّهِ مُكَاتِمًا، وَقَضَيْتَ مَا كَانَ عَلَيْكَ، وَأَخْرَجْتَ أَوْلِيَاءَكَ
مِنْ وِلَايَةِ غَيْرِ اللَّهِ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ، وَأَمَرْتَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَنَهَيْتَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، حَتَّى
قَبَضَكَ اللَّهُ إِلَى رِضْوَانِهِ، وَذَهَبَ بِكَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، وَإِلَى مَسَاكِينِ أَصْفِيَاءِهِ، وَمُجَاوِرَةِ
أَوْلِيَائِهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة الصلح
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(١٥)

يوم

كرب

فضله وأعماله



المناسبات الدينية لشهر ذي الحجة

يوم عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
عرفة لغة واصطلاحاً: ورد في كتاب المنجد: (عَرَفَة وهو جبل يقع بالقرب من مكة المكرمة).

ويوم عَرَفَة: هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة.

وجاء في القاموس المحيط: وعرفات: (موقف الحاج على اثني عشر ميلاً من مكة المكرمة).

عن معاوية بن عمّار قال: ((سألت الإمام الصادق عليه السلام عن عرفات لم سمّيت عرفات؟ فقال: إنّ جبرائيل عليه السلام خرج بإبراهيم صلوات الله عليه يوم عرفة، فلما زالت الشمس قال له جبرائيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسمّيت عرفات لقول جبرائيل عليه السلام اعترف فاعترف))^(١).

فضل يوم عرفة: إعلم أن يوم عرفة عيد من الأعياد العظيمة، وإن لم يعرف بأنه يوم عيد، فقد ظهر أنه يوم فرح وسرور، حيث دعا الله فيه عباده إلى طاعته وعبادته، وفتح له أبواب سماواته، ليتلذذ المؤمنون فيه بلذيق مناجاته، وكفى بذلك مورداً للسرور المؤمنين وفرحهم بالقرب من الجليل، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، وكذلك بسط لهم موائد إحسانه وجوده، ووعدهم فيه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكرب، وأذن للمقبل عليه والمعرض عنه في الطلب منه، والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أي وقت سواه.

وإن كل وقت اختاره الله جل جلاله لمناجاته وبث شكواه وأحزانه، فينبغي أن يعرف جليل قدره، ويقام لله جلّ جلاله بما يقدر العبد عليه من حمده وشكره، وهذا اليوم كالمتمتع للحاج إلى الله تعالى بقصد بيته الحرام، وإن كان فضله يشمل غيرهم أيضاً، لا سيما المتشرفين بالحضور في مرقد أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما

(١) بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٠٩.

سيأتي الإشارة إلى ذلك.

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((ولله رحمة على أهل عرفات ينزلها على أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد الله ملائكته بعثت أهل عرفات من النار، وأوجب الله عز وجل لهم الجنة، ونادى منادٍ: انصرفوا مغفورين، فقد أرضيتموني ورضيت عنكم))^(١). وروي أن الإمام زين العابدين عليه السلام سمع في يوم عرفة سائلاً يسأل الناس فقال له: ((ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم؟ إنه ليرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً))^(٢).

أعمال ليلة عرفة:

الأول: أن يدعو في ليلة عرفة بدعاء: (اللَّهُمَّ يَا شَاهِدَ كُلِّ نَجْوَى، وَمَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى، وَعَالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ...) الذي روي أن من دعا به في ليلة عرفة أو ليالي الجمع غفر الله له^(٣).

الثاني: أن يسبح في ليلة عرفة ألف مرة بالتسيحات العشر التي رواها السيد ابن طاووس: (سُبْحَانَ اللَّهِ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بَعْدَ كُلِّ أَحَدٍ...)^(٤).
الثالث: أن يدعو في ليلة عرفة بدعاء: (اللَّهُمَّ مَنْ تَعَبَّأً وَتَهَيَّأً...) المسنون قراءته في يوم عرفة وليلة الجمعة ونهارها^(٥).

الرابع: أن يزور الحسين عليه السلام وأرض كربلاء، وأن يقيم في أرض كربلاء حتى يعيد، ليقبه الله شرّ سنته.

أعمال يوم عرفة:

الأول: الغسل.

الثاني: الصوم لمن لا يضعف عن أداء أعمال هذا اليوم المبارك.

الثالث: زيارة الحسين صلوات الله عليه فإنها تعدل ألف حجة وألف عمرة وألف جهاد بل تفوقها، والأحاديث في كثرة فضل زيارته عليه السلام في هذا اليوم

(١) الأمالي: ص ٢٦١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٣، ص ٥٥٥.

(٣) مفاتيح الجنان: أعمال ليلة عرفة.

(٤) المصدر السابق: أعمال اليوم التاسع من عرفة.

(٥) المصدر السابق: أعمال ليلة الجمعة.

متواترة، ومن وفق فيه لزيارته عليه السلام والحضور تحت قبته المقدسة فهو لا يقل أجراً عما من حضر عرفات بل يفوقه، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((من زار قبر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عرفة في سنة واحدة، كتب الله له ألف حجة مبرورة، وألف عمرة متقبله، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة))^(١). وعنه عليه السلام: ((من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة، كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم عليه السلام، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعتق ألف نسمة، وحمّلان ألف فرس في سبيل الله، وسماه الله عز وجل: عبدي الصديق آمن بوعدي، وقالت الملائكة: فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه، وسمي في الأرض كروياً))^(٢). وعنه عليه السلام: ((إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفعهم في مسائلهم، ثم يثني بأهل عرفة فيفعل بهم ذلك))^(٣). وعنه عليه السلام أنه قال: ((إن الله تعالى يوم عرفة ينظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام فيغفر لهم ذنوبهم ويقضي لهم حوائجهم قبل أن ينظر إلى أهل الموقف بعرفة، فقال له بعض أصحابه: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟ فقال: لأن أولئك فيهم أولاد زنا، وزوار الحسين عليه السلام ليس فيهم أولاد زنا))^(٤).

الرابع: أن يصلي بعد فريضة العصر - قبل أن يبدأ في دعوات عرفة - ركعتين تحت السماء ويقر الله تعالى بذنوبه، ليفوز بثواب عرفات ويغفر ذنوبه، يستحب قراءة (الحمد) و(التوحيد) في الأولى، و(الحمد) و(قل يا أيها الكافرون) في الثانية، ثم يشرع في أعمال عرفة ودعوته الماثورة عن الحجج الطاهرة صلوات الله عليهم، وهي أكثر من أن تذكر في هذه الوجيزة ونحن نقتصر بالإشارة إلى بعضها. الخامس: أن تصلي بعد ذلك أربع ركعات بتسليمين، في كل ركعة الحمد والتوحيد خمسين مرة، وهي صلاة أمير المؤمنين عليه السلام.

السادس: أن يدعو بما ذكره بن طاووس في كتاب الإقبال مروياً عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٦.

(٢) المصدر السابق: ج ١٤، ص ٤٦٠.

(٣) المصدر السابق: ج ١٤، ص ٤٦٥.

(٤) عوالي اللئالي: ج ٤، ص ٨٣.

وهو: (سُبْحَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، سُبْحَانَ الَّذِي فِي الْأَرْضِ حُكْمُهُ...) (١).
 السابع: أن يدعو بهذه الصلوات التي روي عن الإمام الصادق عليه السلام: أن من أراد أن يسرَّ محمدًا وآل محمد عليه السلام فليقل في صلاته عليهم: (اللَّهُمَّ يَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى، وَيَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، وَيَا أَرْحَمَ مَنْ اسْتُرْجِمَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الْأَوَّلِينَ...) (٢).

الثامن: أن يدعو بدعاء أم داود المذكور في أعمال رجب، ثم يسبح بهذا التسيح وثوابه لا يحصى كثرة تركناه اختصاراً وهو: (سُبْحَانَ اللَّهِ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بَعْدَ كُلِّ أَحَدٍ...) (٣).

التاسع: قراءة دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.
 وعلى أي حال فقد وردت أدعية وأعمال كثيرة في هذا اليوم لمن وُفق فيه لحضور عرفات، وأفضل أعمال هذا اليوم الشريف الدعاء، وهو يوم قد امتاز بالدعاء امتيازاً، وينبغي الإكثار فيه من الدعاء للإخوان المؤمنين أحياءً وأمواتاً، فقد روي عن يونس بن عبد الرحمن قال: ((رأيت أنا عبد الله بن جندب وقد أفاض من عرفات وكان عبد الله أحد المجتهدين، قال يونس: فقلت له: قد رأى الله اجتهادك منذ اليوم فقال لي عبد الله: والله الذي لا إله إلا هو لقد وقفت موقفى هذا وأفضت ما سمعني الله دعوت لنفسي بحرف واحد لأنى سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (الداعي لأخيه المؤمن بظهر الغيب ينادى من أعنان السماء: لك بكل واحدة مائة ألف) فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري أجابُ إليها أم لا)) (٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) مفاتيح الجنان: أعمال اليوم التاسع من عرفة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠، هامش ص ٢٣٤.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية



بيعة أمير المؤمنين بالخلافة



المناسبات الدينية لشهر ذي الحجة

بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
ذكرت النصوص الكثيرة: أن الناس بعد قتل عثمان تهافتت على أمير المؤمنين عليه السلام يطلبون مبايعته، فامتنع، حتى اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً عليه السلام فقالوا له: لا بد للناس من إمام قال: لا حاجة لي في أمركم... فقالوا: ما نختار غيرك وترددوا إليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحدا أحق به منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله، فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبأيعك^(١).

وقد صرح عليه السلام مرارا وتكرارا بكراهته لهذا الأمر وفي رواية أنهم لما أتوا أمير المؤمنين عليه السلام ليبايعوه قال: ((دعوني والتمسوا غيري، فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب...))^(٢).

وفي نص آخر: ((إني قد كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم))^(٣). وقال عليه السلام في جواب طلحة والزبير: ((والله، ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة (حاجة). ولكنكم دعوتوني إليها، وحملتوني عليها))^(٤)، ولكن بعد إصرارهم على مبايعته عليه السلام قال لهم: ((ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً،

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٧.

(٢) نهج البلاغة: ج ١، ص ١٨١.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٥١.

(٤) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٨٤.

ولا تكون إلا عن رضا المسلمين))^(١)، فتمت البيعة في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة يوم الجمعة لخمسة بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة. وروي أنه عندما بويع أمير المؤمنين عليه السلام على منبر رسول الله ﷺ، قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر^(٢):

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا * أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس انه * أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشاً لا تشق غباره * إذا ما جرى يوماً على ضمير البدن
ففيه الذي فيهم من الخير كله * وما فيهم مثل الذي فيه من حسن
وصي رسول الله من دون أهله * وفارسه قد كان في سالف الزمن

أعمال الإمام عليه السلام الإصلاحية:

استلم الإمام علي عليه السلام الخلافة بعد مقتل عثمان بسبعة أيام، فوجد الأوضاع متردبة بشكل عام، وعلى أثر ذلك وضع خطة إصلاحية شاملة، ركز فيها على شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم، نذكر منها ما يلي:

الأول: تطهير جهاز الدولة:

أول عمل قام به الإمام عليه السلام فور توليه الحكم هو عزل ولاية عثمان الذين سخرُوا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصة، وأثروا ثراءً فاحشاً مما اختلسوه من بيوت المال، ومنهم معاوية بن أبي سفيان.

يقول المؤرخون: إنه أشار عليه جماعة من المخلصين بإبقاء معاوية في منصبه ريثما تستقر الأوضاع السياسية ثم يعزله، فأبى الإمام عليه السلام، وأعلن أن ذلك من المداينة في دينه، وهو مما لا يُقرّه ضميره الحي، الذي لا يسلك أي طريق يبعده عن الحق، ولو أبقاه ساعة لكان ذلك تزكية له وإقراراً ببعده وصلاحيته للحكم.

(١) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٥٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٧٦.

الثاني: تأميم الأموال المختلصة:

أصدر الإمام عليه السلام قراره الحاسم بتأميم الأموال المختلصة التي نهبها الحكم المباد. فبادرت السلطة التنفيذية بوضع اليد على القطاعات التي أقطعها عثمان لذوي قُرباه، والأموال التي استأثر بها عثمان، وقد صودرت أمواله حتى سيفه ودرعه، وأضافها الإمام عليه السلام إلى بيت المال.

وقد فزع بنو أمية وعشائر قريش كأشد ما يكون الفزع، وأصابهم الذهول، فقد أيقنوا أنّ الإمام سيصادر الأموال التي منحها لهم عثمان بغير حق. فكتب عمرو بن العاص رسالة إلى معاوية جاء فيها: ((ما كنت صانعا فاصنع إذ قسرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها))^(١).

الثالث: امتحان الإمام عليه السلام:

امْتَحِنَ الإمام عليه السلام امتحاناً عسيراً من الأُسْر القرشية، وعانى منها أشد ألوان المحن والخطوب في جميع أدوار حياته، فيقول عليه السلام بهذا الشأن: ((لقد أخافتني قُريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله، فكانت الطامة الكبرى، والله المُستعان على ما تصفون))^(٢).

ولم يُعرهم الإمام عليه السلام اهتماماً، وانطلق يؤسس معالم سياسته العادلة ويحقق للأمة ما تصبوا إليه من العدالة الاجتماعية.

وقد أجمع رأيه عليه السلام على أن يقابل قريش بالمثل، ويسدّد لهم الضربات القاصمة إن خلعوا الطاعة، وأظهروا البغي، فيقول عليه السلام: ((مالي ولقُريش، والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنهم مفتونين... والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من حاصرتِه، فقلّ لقريش فلتضجّ صجيجها))^(٣).

(١) الغدير: ج ٨، ص ٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٩، ص ٦٢٥.

(٣) أعيان الشيعة: ج ١، ص ٤٥١.

الرابع: سياسة الإمام عليه السلام الإصلاحية:

فيما يلي عرضاً موجزاً للسياسة الإصلاحية التي اتبعها الإمام عليه السلام لإدارة الدولة الإسلامية وهي كما يلي:

أولاً: السياسة الداخلية:

كانت السياسة الداخلية التي انتهجها الإمام عليه السلام امتداداً لسياسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي عنى بتطوير الحياة الاقتصادية وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد، وإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط، وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته، من الأمن والرخاء والاستقرار، بحيث لا يبقى فقير أو بئس أو محتاج، وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعاً عادلاً على الجميع، ومن مظاهر هذه السياسة:

١- المساواة: وتجسدت في:

أ- المساواة في الحقوق والواجبات: نهج المساواة في الحقوق، فلا يميز بين حر وعبد، وبين أسود وأبيض، وبين عربي وأعجمي، كان الجميع أمامه سواسية كأسنان المشط، وكان يقول عليه السلام: ((الدليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه))^(١).

وفي قول آخر: ((إن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى عن بعضها ببعض))^(٢).

فقد كان عليه السلام يؤكد على أن الحياة لا تستقيم وتطيب إلا بالعدالة، وهي المساواة في جميع الحقوق والواجبات بين الجميع، فإذا اختل ميزانها ساد الظلم، وفسدت الأوضاع.

ب- المساواة في العطاء: فليس لأحدٍ على أحد فضل أو امتياز، وإنما الجميع على حدٍ سواء، فلا فضل للمهاجرين على الأنصار، ولا لأسرة النبي صلى الله عليه وآله وأزواجه على غيرهم، ولا للعربي على الأعجمي.

وقد أثارَت هذه العدالة في التوزيع غضب الرأسماليين من قريش وغيرها،

(١) نهج البلاغة: ج ١، ص ٨٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٣، ص ٨٩.

فأعلنوا سخطهم على الإمام عليه السلام، فخفت إليه جموع من أصحابه تطالبه بالعدول عن سياسته، فأجابهم الإمام عليه السلام: ((لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله، ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تذيير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله))^(١). فكان الإمام عليه السلام يهدف في سياسته المالية إلى إيجاد مجتمع لا تظغى فيه الرأسمالية، ولا تحدث فيه الأزمات الاقتصادية، ولا يواجه المجتمع أي حرمان أو ضيق في حياته المعاشية.

ج- المساواة أمام القانون: قد ألزم الإمام عليه السلام عماله وولاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم، فيقول عليه السلام في بعض رسائله إلى عماله: ((واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جنابك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك))^(٢).

٢- الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية: من خلال إنشاء المشاريع الزراعية، والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور.

وقد أكد الإمام عليه السلام في عهده لملك الأشتر على رعاية إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها بقوله له: ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً))^(٣)، لقد كان أهم ما يعنى به الإمام عليه السلام لزوم الإنفاق على تطوير الاقتصاد العام، حتى لا يبقى أي شبح للفقر والحرمان في البلاد.

٣- عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة: فقد تحرّج الإمام عليه السلام فيها

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٧.

(٢) المصدر السابق: ج ٣، ص ٧٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٣، ص ٩٦.

كأشدّ ما يكون التحرّج، وقد أثبتت المصادر الإسلامية قصصاً كثيرة عن احتياطه الشديد، فقد وفد عليه أخوه عقيل طالباً منه أن يمنحه الصلة ويُرفّه عليه حياته المعاشية، فأخبره الإمام عليه السلام أنّ ما في بيت المال للمسلمين، وليس له أن يأخذ منه قليلاً ولا كثيراً، وإذا منحه شيئاً فإنّه يكون مختلساً.

وعلى أيّ حال فإنّ السياسة الاقتصادية التي تبناها الإمام عليه السلام قد ثقلت على القوى المنحرفة عن الإسلام، فانصرفوا عن الإمام وأهل بيته عليهم السلام، والتحقوا بالمعسكر الأموي الذي يضمن لهم الاستغلال والنهب وسلب قوت الشعب والتلاعب باقتصاد البلاد.

٤ - الحرّية: أمّا الحرّية عند الإمام عليه السلام فهي من الحقوق الذاتية لكلّ إنسان، ويجب أن تتوفّر للجميع، شريطة أن لا تستغلّ في الاعتداء والإضرار بالناس، وكان من أبرز معالمها هي الحرّية السياسية، فكان عليه السلام يرى أنّ الناس أحرار، ويجب على الدولة أن توفّر لهم حرّيتهم ما دام لم يخلّوا بالأمن، ولم يعلنوا التمرد والخروج على الحكم القائم.

وقد منح عليه السلام الحرّية للخوارج، ولم يجرمهم عطاءهم مع العلم أنّهم كانوا يشكّلون أقوى حزب معارض لحكومته، فلمّا سعوا في الأرض فساداً وأذاعوا الذعر والخوف بين الناس، انبرى إلى قتالهم حفظاً على النظام العام، وحفظاً على سلامة الشعب.

ثانياً: الدعوة إلى وحدة الأمة:

جهد الإمام كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها، واعتبر الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة، فيقول عليه السلام: ((فإنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلّها، ويأوون إلى كنفها، بنعمةٍ لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة؛ لأنّها أرجح من كلّ

ثُمَّن، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ))^(١).

فقد عُني الإمام عليه السلام بوحدة الأمة، وتبني جميع الأسباب التي تؤدّي إلى تماسكها واجتماع كلمتها، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته، فقد ترك عليه السلام حقّه وسالم الخلفاء صيانةً للأمة من الفرقة والاختلاف.

ثالثاً: تربية الأمة:

لم يعهد عن أحد من الخلفاء أنّه عُني بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم كالإمام عليه السلام، وإنّما عنوا بالشؤون العسكرية وعمليات الحروب، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية وبسط نفوذها على أنحاء العالم.

فقد أولى أمير المؤمنين عليه السلام المزيد من اهتمامه بهذه الناحية، فاتّخذ جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاضراته الدينية والتوجيهية.

وكان عليه السلام يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله وإظهار فلسفة التوحيد، وبثّ الآداب والأخلاق الإسلامية، مستهدفاً من ذلك نشر الوعي الديني، وخلق جيل يؤمن بالله إباناً عقائدياً لا تقليدياً.

بهذه السياسة الربانية أصبح عصر الإمام عليه السلام عصراً ذهبياً في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية.

ولكن مع الأسف الشديد هذه السياسة المشرقة المستمدّة من واقع الإسلام وهديه لم تُرقّ إلى بعض النفوس الضعيفة، مما أدى إلى إجماع القوى الباغية على الإسلام لأن تعمل جاهدة على إشاعة الفوضى والاضطراب في البلاد، مستهدفة بذلك الإطاحة بحكومة الإمام عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



قسم الشؤون الدينية
شعبة التليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

(1)

واقعة الحرّة



المناسبات الدينية لشهر ذي الحجة

واقعة الحرّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

مقدمة:

لقد حكم يزيد بن معاوية ثلاث سنين، وخلال هذه المدّة إرتكب الكثير من الجرائم، ففي السنة الأولى قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وفي السنة الثانية أباح المدينة المنوّرة لجيش مسلم بن عقبة، حيث قتل فيها أولاد المهاجرين والأنصار، وأكثر فيها السفك والهتك، وفي السنة الثالثة أمر برمي الكعبة المشرفة بالمنجنيق حتّى احترقت أستار الكعبة.

فبعد معركة الطف الأليمة والصدمة الدموية التي صدمت بها الأمة الإسلامية بفقد سيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وصحبه وسبي نسائه، بدأ الشعور بالذنب يتنامى بين الناس، فكان الندم حليفهم حتى تُرجم ذلك الإحساس بتنظيمات معارضة ضد حكومة يزيد والقيام بكثير من الثورات والحركات، منها ثورة أهل المدينة التي عرفت فيما بعد بواقعة الحرّة وقد حدثت بعد واقعة الطف، أي في سنة ٦٣ هـ. وهي حدث مريع ومحزن للغاية، وأمر ثقيل جداً وتعد حقيقة من فجاجع التاريخ، وواحدة من أشجع الحوادث في عهد بني أمية، كتب عنها بن مسكويه قائلاً: «واقعه الحرّة من أشد وأصعب الحوادث عنفاً».

وكان سبب ثورة أهل المدينة هو ذهاب عدة منهم إلى الشام بقيادة عبد الله بن حنظلة الأنصاري - الذي يُعرف أبوه بغسيل الملائكة - على أثر الأخبار التي وردت إلى المدينة المنوّرة والتي تتحدّث عن استهانة يزيد بالإسلام والمسلمين، فذهبوا إلى مقرّ الحكومة في الشام، واطّلعوا على أعمال يزيد عن قرب، ورأوا بأعينهم ما يقوم به من هتك حرمة الإسلام والمسلمين، وشربه الخمر ولعبه القمار وملاعبته للكلاب والقردة.

ولمّا عادوا إلى المدينة نقلوا لأهلها ما شاهدوه في الشام وحدّثوا أهلها بفساد البلاط الأموي، وأخذوا يحثّون الناس على الثورة والتمرد على يزيد، فوقف

عبد الله بن حنظلة أمام أهل المدينة وخاطبهم: ((فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن تُرمى بالحجارة من السماء، إنَّه رجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة))^(١)، وكان عبد الله بن حنظلة شريفاً فاضلاً عابداً استفاد من موقعه الاجتماعي بين الناس في دعوتهم للالتحاق به والالتحام معه لمحاربة يزيد وبني أمية، وانتخبه أهل المدينة المنورة حاكماً عليهم، وبايعوه في اليوم الأول من شهر محرم الحرام عام ٦٣ هـ، وطردها عثمان بن محمد بن أبي سفيان، حاكم المدينة المنورة وعامل يزيد فيها، ثم ألقى القبض على بني أمية والقريشيين المتفقين مع بني أمية، وأعدادهم تصل إلى الألف، فحبسوا في بيت مروان بن الحكم، ثم أرسل حاكم المدينة المنورة قميصه الممزق قطعة قطعة إلى يزيد، وبعث له برسالة كتب فيها: (واغوثة إن أهل المدينة اخرجوا قومنا من المدينة))^(٢).

لما وصل هذا الخبر إلى يزيد، أرسل إلى المدينة المنورة رجلاً يدعى مسلم بن عقبة يقود جيشاً جرّاراً، وقد كان متعطشاً للدماء لا يرحم، وأمره بقمع الاضطرابات في المدينة المنورة، وعلى رغم أنه كان طاعناً في السن، قد ناهز عمره التسعين عاماً، إلا أنه قبل هذه المهمة، وأمرت الحكومة أن ينادى: «تعبأوا أيها الناس لقتال أهل الحجاز وخذوا عطاءكم، فكان كل من يتعبأ ويستعد، يعطى له مائة دينار في نفس الوقت، فلم تمض إلا فترة قصيرة حتى اجتمع حوالي اثني عشر ألف رجل، وفي رواية أخرى: أنه قاد (٢٠) ألفاً فارساً وسبعة آلاف راجلاً، وأعطى يزيد جائزة مائة دينار لكل فارس ومائة دينار لكل راجل، وأمرهم أن يلتحقوا بمسلم بن عقبة، وسائر يزيد مسلم بن عقبة وجيشه حوالي فرسخاً ونصفاً، ثم رجع، وكان بين الجيش من المسيحيين الشاميين أيضاً، كانوا قد استعدوا لحرب أهل المدينة المنورة، وأوصى يزيد مسلم بن عقبة في ما يخص أهل المدينة المنورة فقال: ادع القوم ثلاثاً، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٧، ص ٤٢٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٧.

عليهم، فأبْح المدينة ثلاثاً، ثم أكفف عن الناس، وخذ البيعة من الناس، أن يكونوا عبيداً قناً ليزيد، ومتى ما خرجت من المدينة المنورة فاتجه نحو مكة. فقَدِم المدينة ونزل (حرة واقم) - إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية سميت باسم رجل من العماليق اسمه (واقم) نزلها في الدهر الأول، والمدينة تقع بين حرتين، (حرة واقم) و(حرة ليل) -، و«الحرّة» في اللغة: الأرض المحصبة وذات التضاريس الصخرية الغير متكافئة، وتحتوي على صخور سوداء وكأثما محروقة، واجتيازها صعب للغاية، فأخذت الواقعه اسمها من هذه المنطقة، حيث هاجم الجيش الشامي الذي يمثل حكومة يزيد، المدينة المنورة من الضلع الشرقي لها، يعني من الجهة المحصبة المليئة بالتضاريس والصخور. وكان من غير المحتمل أن يشن جيش الشام هجومه من الجهة الوعرة والصخرية التي تقع في الضلع الشرقي من المدينة المنورة، أو يحققوا شيئاً إن شنوا هجومهم من تلك الجهة، لكن غزو الجيش بدأ من تلك المنطقة على أهل المدينة المنورة، وأخيراً، مُني أهل المدينة المنورة بالهزيمة، وانتصر جيش مسلم بن عقبة، فدخل جيشه إلى المدينة المنورة، وأعملوا فيهم السيف، ثم قاموا بجرائم بشعة يندى منها الجبين، من اغتصاب للنساء وقتل للأطفال والشيوخ وبقر لبطون الحوامل.

وفعل مسلم بن عقبة (كما أمره يزيد بن معاوية)، فبعد أن دخل جيش الشام إلى المدينة المنورة قال: لكم أن تفعلوا ما تشاءون، فأغاروا على المدينة ثلاثة أيام وأبيحت المدينة المنورة بهذا النحو ثلاثة أيام لجيش الشام، وتعرضوا للسلب والنهب والاستغلال من جميع الأطراف، ولم يكن الرجل والمرأة في مأمن من الأذى والضرر.

فكان الناس يقتلون وتنهب وتُصادر أموالهم وممتلكاتهم. والأشد والأنكى من قتل ونهب أهل المدينة المنورة التي فيها الجيل المتبقي من صحابة النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، هي أن هذا العسكر الجشع واللامبالي قام باغتصاب النساء، فهتَكَ النواميس وأعراض أهل المدينة المنورة، فعند هجوم جيش أهل الشام على بيوت مدينة النبي ﷺ، هتكوا حرمة الآلاف من النساء، فولدن

الآلاف من الأطفال لآباء غير معروفين، ولهذا أطلق على ذريتهم تسميتهم (بأبناء الحرّة).

وهكذا امتلئت شوارع المدينة بجثث القتلى التي وصلت دماؤها إلى مسجد النبي ﷺ وحكم على الأطفال الذين في أحضان أمهاتهم بالموت، وتعرض صحابة النبي ﷺ للتعذيب وسوء المعاملة، وهتكت حرمتهم، وقد بلغ التدمير وشدة التجاوزات في قتل مسلم بن عقبة أنهم أسموه بعد ذلك (بمسرف بن عقبة)، وارتدوا على قتلاهم ثياب السواد، وكان يسمع من داخل منازلهم صوت النياحة والبكاء لعام كامل، حزناً على قتلاهم، لم يقطع أبداً. قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نساء من نساء الأنصار ومعها صبي، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً، فقال: والله لتخرجن إليّ شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا.

فقال له: ويحك إنه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ، ولقد بايعت رسول الله ﷺ معه يوم بيعة الشجرة على أن لا أزي ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه، فما أتيت شيئاً، فاتق الله، ثم قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شيء لافتديتك به.

قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه، فجذبه من حجرها فضرب به الحائط، فانثر دماغه في الأرض، قال: ولم يخرج من البيت حتى أسود وجهه، وصار مثلاً^(١).

ونقل: ((قتل من أصحاب رسول الله ﷺ ثمانون صحابياً ولم يبق بدري بعد ذلك، وقتل من قريش والأنصار سبع مئة، ومن التابعين والعرب والموالي عشرة آلاف، وأبيحت المدينة ثلاثة أيام وانتهكت الأعراض حتى ولدت الأبقار لا يعرف من أولدهن!))^(٢)، وأغاروا على المدينة، وافتضوا ألف بكر، (فإنّا لله وإنّا إليه راجعون).

حتى قال ابن الطقطقي في تاريخه المعروف بالفخري ما هذا نصه: ((فقيل أن

(١) الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨٤.

(٢) أنظر تفاصيل وقعة الحرّة في تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٩٥.

الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول لعلها افتضت في وقعة الحرّة))^(١).

وقال الشبراوي في كتابه الاتحاف: ((وافترض فيها نحو ألف بكر وحمل فيها من النساء اللاتي لا أزواج لهن نحو من ألف امرأة))^(٢).

ويذكر أيضاً: ((قتل جمع من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين بما بلغ عددهم سبعمائة. قتل من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة عشرة آلاف! وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله ﷺ وامتلاّت الروضة والمسجد))^(٣).

وكانت هذه الواقعة المعروفة بواقعة الحرّة قبل هلاك يزيد الفاسق بشهرين ونصف.

أسباب الثورة وعلاقة ذلك بأهل البيت عليهم السلام:

من الغريب أن الأنصار مع احترامهم الكبير لأهل البيت عليهم السلام واستشهاد بعضهم مع الإمام الحسين عليه السلام واستنكارهم قتله وإقامتهم العزاء عليه، واستقبالهم المؤثر للإمام زين العابدين عليه السلام والسبايا.. لكنهم لم يستشيروا الإمام السجاد عليه السلام في خلع يزيد، ولا جعلوا ثورتهم بسبب قتل الحسين وآل الرسول عليهم السلام، مع أن ابن الزبير الموصوف بعدائه لعلي عليه السلام دعا الناس إلى نفسه وأظهر الطلب بدم الحسين عليه السلام^(٤).

فكان الأحرى بالأنصار أن ينهضوا ثاراً لأهل بيته عليهم السلام لأنه ثارٌ للنبي ﷺ يجب على المسلمين كافة القيام به، ويجب عليهم خاصة لتحالفهم مع النبي ﷺ وبيعتهم له قبل هجرته، على حمايته مما يحمون منه أنفسهم وحماية أهل بيته وذريته عليهم السلام مما يحمون منه ذراريهم!^(٥)، لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل جعلوا سبب ثورتهم فساد يزيد وفقده الشرعية لأنه فاسقٌ فاجر، وكان أباه

(١) الفخري: ص ١٠٧.

(٢) الاتحاف: ص ٦٦.

(٣) منهاج الكرامة: ص ٨٣.

(٤) الأخذ بالثار للسيد الأمين: ص ١٠.

(٥) المعجم الأوسط: ج ٢، ص ٧٠٢.

معاوية كانت له شرعية ولم يكن فاسقاً فاجراً!

خطر جيش يزيد على حياة الإمام عليه السلام:

استمرت مفاوضات جيش يزيد وأهل المدينة أياماً من أواخر ذي الحجة سنة ٦٣ هـ^(١) وفي هذه المدة غادر كثير من أهل المدينة، وبعضهم خرجوا منها قبل وصول الجيش الأموي، وأرسل الإمام زين العابدين عليه السلام عياله ومن حماهم في تلك الفترة إلى ينبع^(٢)، وبقي بعض عياله في المدينة.

وروت المصادر أن الإمام عليه السلام كان يتخوف من وحشية جيش يزيد أن تصل إليه، وهذا طبيعي حتى وإن كان الإمام عليه السلام يعرف أنه سينجو من القتل لأنه قد يلاقي غير القتل. وحتى لو بلغه عليه السلام أن يزيداً أوصى قائده بعدم التعرض له، فإن بن عقبة طاغية سفاكٌ للدماء، مبغض لأهل البيت عليه السلام، ولا يحترم مروان بن الحكم ولا غيره سوى شخص يزيد! فمن الممكن أن يرتكب أي حماقة ثم يغفر له يزيد لتاريخه في خدمة بني أمية!

فلذلك أن خطر إقدامه على قتل الإمام عليه السلام كان قائماً حتى مع وصية يزيد!

وتفاوتت الروايات في مجيء الإمام عليه السلام إلى الطاغية بن عقبة، فأشار بعضها إلى أن الإمام عليه السلام كان غائباً عن المدينة، وأنه أخرج مجيئه حتى كان الطاغية بن عقبة يسأل عنه ويتهدده ويتوعده.

لذلك نرى أن رواية المسعودي التالية أقرب إلى الصحة، قال في مروج الذهب: ((ونظر الناس إلى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به إلى الطاغية (مسرف) وهو مغتاض عليه، فتهرب منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعدته إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قُدم إلى السيف إلا شفعه فيه ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره وأدرك بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٧٣.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٩٢.

وتكفيني شره.

وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته!
فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئ قلبي منه رعباً^(١).

وأصرح منها رواية المناقب: ((سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن إتهاب
المدينة؟ قال: نعم شدوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله ورأيت الخيل
حول القبر واتتهب المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي ﷺ
فيتكلم علي بن الحسين بكلام لم أقف عليه فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلي،
ونرى القوم وهم لا يروننا!))^(٢).

وفي رواية بن البطريق في العمدة: ((لم يبق بها دارٌ إلا انتهت سوى دار علي
بن الحسين فإنه حماها رجلٌ من أهل الشام تلك الثلاثة الأيام، فلما كان بعد
الثلاثة الأيام أخرج له علي بن الحسين مائة قد جمع بها حلياً وثياباً من
نسائه وقال له: خذ هذا من بنات رسول الله ﷺ، فقال له: لم أفعل ذلك
لسبب بل أرجو الجنة، فقال: خذه ولك ما طلبت))^(٣).

وهذه الروايات تدل على أن الإمام علياً كان في تلك الأيام في المدينة مع بعض
عياله، ومضمونها متناسب مع شخصية الإمام علياً وما ثبت عنه من تصرفاته
في لقاءاته مع طغاة بني أمية، كيزيد ومروان عبد الملك، وفيها دلالات مهمة،
منها أن الإمام علياً كان حريصاً في ذلك الظرف الخطر على زيارة قبر النبي ﷺ
والصلاة والدعاء في مسجده، بعد أن أهان حرمة المسجد والقبر الشريف
وحوش أهل الشام، وربطوا خيولهم في أعمدته!

وتدل على أنه يوجد في جيش الشام أفراد شيعية يعرفون مقام أهل البيت عليهم السلام
كالذي حمى بيت الإمام علياً من النهب والعدوان، ولا بد أن يكون معه آخر
أو آخرون، لهم نفوذٌ ما في جيش يزيد!

(١) مروج الذهب: ج ٣، ص ٥٧، الروض المعطار: ص ٣٩١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٨٤.

(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار: ص ٣٢١.

كما أنها تكشف الموقف الحقيقي لمروان بن الحكم، فعندما أحضر بن عقبة الإمام عليه السلام وأخذ يشتم العترة النبوية عليهم السلام أخذ مروان يؤمّن على شتمه ويحرّضه على قتله، حتى إذا دخل عليه الإمام عليه السلام وألقى الله على الطاغية هيئته والرعب منه، غيّر مروان كلامه فأخذ يمدح الإمام عليه السلام!

رغم حماية الإمام عليه السلام لعائلة مروان عندما طردهم أهل المدينة والتي شرحها الطبري بقوله: ((لما أخرج أهل المدينة واليهما عثمان بن محمد كلّم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى بن عمر أن يفعل! وكلّم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك؟ فقال: أفعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج بحرمه وحرّم مروان حتى وضعهم بينع))^(١).

مخالفة وصية النبي صلى الله عليه وآله بأهل المدينة:

خرج جيش مسلم بن عقبة من المدينة المنورة محمّلاً بالغنائم بعد أن اعتدى على أعراض النساء، متّجهاً نحو مكّة، ضارباً عرض الجدار وصية النبي صلى الله عليه وآله بمدينةته الحبيبة، حيث قال صلى الله عليه وآله: ((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٧٢.

(٢) مسند أحمد: ج ٤، ص ٥٥، المعجم الكبير: ج ٧، ص ١٤٣.

المصادر

١. الشاربخ فف علم التاريخ للسفوطف
٢. الخصال
٣. الأملف
٤. بحار الأنوار
٥. مجمع الزوائد
٦. المعجم الأوسط للطبراف
٧. سنن الترمذف
٨. نهج البلاغة
٩. سنن الترمذف
١٠. مناقب آل أبف طالب
١١. المعجم الكبفر:
١٢. ذخائر العقبف
١٣. فضائل الخمسة من الصحاح الستة
١٤. مناقب آل أبف طالب: ج ٣، ص ١٨٢.
١٥. أعلام الدفن للدفلمف
١٦. عوالف اللئالف
١٧. الخرائج والجرائح للراوندف
١٨. الكافف
١٩. عفون أخبار الرضا
٢٠. تاريخ الطبرف
٢١. السفرة النبوة لابن هشام
٢٢. شرح نهج البلاغة لابن أبف الحدفد
٢٣. تفسير البفان للطبرف
٢٤. الفصول المختارة
٢٥. مستدرك سففنة البحار
٢٦. تاريخ العقبوف
٢٧. فروع الكافف
٢٨. مسارّ الشفعة للشفخ المففد
٢٩. من لا فحضره الفقفه
٣٠. مناقب آل أبف طالب لابن شهر آشوب
٣١. علل الشرائع
٣٢. ومعافف الأخبار
٣٣. عمدة القارف
٣٤. مجمع البفان
٣٥. وسائل الشفعة
٣٦. المزار
٣٧. كامل الزفارات
٣٨. الاحتجاج
٣٩. كشف الغمة
٤٠. الاختصاص
٤١. تحف العقول
٤٢. مستدرك الوسائل
٤٣. الأمثل
٤٤. الإرشاد للشفخ المففد
٤٥. كنز العمال
٤٦. تفسير القمف:
٤٧. الخصال للشفخ الصدوق
٤٨. البخارف
٤٩. مسند أحمد
٥٠. روضة الواعظفن للنفسابورف
٥١. الصدوق: معافف الأخبار
٥٢. حفاة الإمام موسى بن جعفر
٥٣. تاريخ قم
٥٤. الحفاة السفاسفة للإمام الرضا
٥٥. كرفمة أهل البفب

٥٦. ذوب النضار
 ٥٧. تأريخ الذهبي
 ٥٨. سفينة البحار
 ٥٩. راجع الطبقات الكبرى
 ٦٠. زينب الكبرى للنقدي
 ٦١. ترجمة الإمام الحسن
 ٦٢. كتاب الفتوح
 ٦٣. تاج العروس
 ٦٤. الصحيح من سيرة الامام علي
 ٦٥. الصحيح من السيرة
 ٦٦. كنز العمال للمتقي الهندي
 ٦٧. كتاب الاستيعاب
 ٦٨. كتاب الإمامة والسياسة
 ٦٩. كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي
 ٧٠. الطبقات لابن سعد
 ٧١. راجع الأخبار الطوال
 ٧٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير
 ٧٣. ميزان الاعتدال للذهبي
 ٧٤. الغيبة للشيخ الطوسي
 ٧٥. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق
 ٧٦. نهج البلاغة، تحقيق صالح
 ٧٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب
 ٧٨. الكامل في التاريخ
 ٧٩. جواهر التاريخ للشيخ الكوراني العاملي
 ٨٠. كتاب إعلام الوری بأعلام الهدى
 ٨١. دلائل الإمامة
 ٨٢. تحف العقول
 ٨٣. شرح شافية أبي فراس الحمداني
٨٤. المناقب للخوارزمي
 ٨٥. كتاب الأربعين
 ٨٦. المعجم الكبير
 ٨٧. كشف الغطاء
 ٨٨. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي
 ٨٩. ينابيع المودة للقندوزي
 ٩٠. معجم البلدان
 ٩١. جواهر التاريخ
 ٩٢. السيرة الحلبية
 ٩٣. آبادي في عون المعبود
 ٩٤. رسائل المرتضى
 ٩٥. تفسير الميزان للطباطبائي
 ٩٦. الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ السيد جعفر مرتضى العاملي
 ٩٧. كتاب نهاية الارب للنويري
 ٩٨. الصراط المستقيم
 ٩٩. رجال أبي داود
 ١٠٠. الغيبة للطوسي
 ١٠١. سفينة البحار للشيخ عباس القمي
 ٢٥:٤
 ١٠٢. دلائل الإمامة
 ١٠٣. أعيان الشيعة
 ١٠٤. عمدة القاري
 ١٠٥. لسان العرب لابن منظور
 ١٠٦. المغازي
 ١٠٧. موسوعة تاريخ الإسلام
 ١٠٨. تفسير القمي
 ١٠٩. تفسير الميزان
 ١١٠. تفسير البرهان
 ١١١. صحيح مسلم

- ١١٢ . والمحلّي لابن حزم
 ١١٣ . والمستدرک للحاکم
 ١١٤ . الکشاف
 ١١٥ . القاضی النعمان، شرح الأخبار
 ١١٦ . ابن حجر، الإصابة
 ١١٧ . سیرة ابن هشام
 ١١٨ . وكفاية الطالب
 ١١٩ . تاریخ ابن الجوزي
 ١٢٠ . شجرة طوبى
 ١٢١ . كتاب مناسك الحج .
 ١٢٢ . ذخائر العقبى
 ١٢٣ . الملل والنحل
 ١٢٤ . دلائل الإمامة للطبري
 ١٢٥ . تاريخ مدينة دمشق
 ١٢٦ . تهذيب الكمال
 ١٢٧ . وفيات الأعيان لابن خلكان
 ١٢٨ . صلح الحسن - للسيد عبد الحسين
 شرف الدين
 ١٢٩ . ابن الأثير
 ١٣٠ . الدينوري
 ١٣١ . المعجم الكبير: ج ٣ ص ٦٨ .
 ١٣٢ . الاستيعاب لابن عبد البر
 ١٣٣ . الواقدي، المتوفى ٢٠٧ .
 ١٣٤ . المغازي
 ١٣٥ . راجع الذهبي، المتوفى ٧٤٨ ،
 ١٣٦ . راجع مغازي الواقدي ج ١ ص ٧٧
 ١٣٧ . عوالي اللئالي: ج ١، ص ١٧٧ .
 ١٣٨ . تفسير مجمع البيان
 ١٣٩ . تفسير الامثل للشيرازي
 ١٤٠ . النهاية
 ١٤١ . معجم البلدان
 ١٤٢ . من لا يحضره الفقيه
 ١٤٣ . تحف العقول
 ١٤٤ . أعلام النساء
 ١٤٥ . مستدرک سفينة البحار
 ١٤٦ . رياحين الشريعة
 ١٤٧ . مستدرک الوسائل
 ١٤٨ . المحاسن
 ١٤٩ . تاج العروس
 ١٥٠ . دعائم الإسلام
 ١٥١ . إقبال الأعمال
 ١٥٢ . عيون أخبار الرضا
 ١٥٣ . منتهى الآمال
 ١٥٤ . الثاقب في المناقب
 ١٥٥ . دلائل الامامة
 ١٥٦ . مشكاة الانوار
 ١٥٧ . أعيان الشيعة للسيد محسن الامين
 ١٥٨ . التوحيد للشيخ الصدوق
 ١٥٩ . ثواب الأعمال:
 ١٦٠ . مفاتيح الجنان .
 ١٦١ . الغدير:
 ١٦٢ . لإمامة والسياسة
 ١٦٣ . الأخذ بالثار للسيد الأمين
 ١٦٤ . الطبراني الأوسط:
 ١٦٥ . مروج الذهب
 ١٦٦ . الروض المعطار
 ١٦٧ . العمدة

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الصفحة	رقمها	الآية
٦٩	٢٠٧	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾
٢١٩ ٣٧١	١٢٩ - ١٢٨	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٣٦٧	١٢٥	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرُوا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
٣٦٩	١٢٧	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٣٧٠	٣٠	﴿أَجْعَلْ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾

سورة آل عمران

الصفحة	رقمها	الآية
٢٦٢	٩	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيْعَادَ﴾
٣٦٧	٩٦	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

سورة النساء

الصفحة	رقمها	الآية
١٨٤	٩٣	﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾

سورة المائدة

الصفحة	رقمها	الآية
١٤	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
٣١٢	٢٤	﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾

سورة الأنفال

الصفحة	رقمها	الآية
٦٨ ٦٩	٣٠	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾
٣١١	٦-٥	﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾
٣١٢	٦١	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٣١٤	٤٢	﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾
٣١٥	١٠-٩	﴿إِذْ تَسْتَعْثِنُونَ رَبَّكُمْ فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
٣١٥	٤١	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ﴾

سورة النوبة

الصفحة	رقمها	الآية
٢٥٢	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

سورة يوسف

الصفحة	رقمها	الآية
٢٧٧ ٢٧٩	١١١	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

سورة إبراهيم

الصفحة	رقمها	الآية
٢١٩	٣٥	﴿وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾
٢١٩	٤٠	﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾
٣٧٢	٣٧	﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

سورة النحل

الصفحة	رقمها	الآية
٢٨٧	٩٧	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة الإسراء

الصفحة	رقمها	الآية
١٤١	٨٨	﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
٢٧٧	٧٠	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

سورة الأنبياء

الصفحة	رقمها	الآية
٢٩	٢٨	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾
٩٣	١٠٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
٢٦١	١٠٥	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

سورة المؤمنون

الصفحة	رقمها	الآية
٢٩	١٠١	﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾
١٣٩	١١٥	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

سورة القصص

الصفحة	رقمها	الآية
٢٥٩ ٢٦٢	٥	﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

سورة الروم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	٦	٢٦٢

سورة الأحزاب

الآية	رقمها	الصفحة
﴿سَلِّقُوا كُم بِاللِّسِنَةِ حِدَادٍ﴾	١٩	٢٧٢
﴿النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	٦	٢٨٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾	٣٦	٣١٤

سورة غافر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	٥١	٢٦١

سورة الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾	٢٨	٢١٩

سورة الفتح

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١٠	٥٤
﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ﴾	٢٠	٢٤٦

سورة الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾	٦	٢٨١

سورة الواقعة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾	٧٤	٣٣٩

سورة الحشر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِمَّا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾	٥	١١٦
﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	٨ - ٩	١٢١

سورة الصف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾	٩	٢٦١

سورة المنافقون

الصفحة	رقمها	الآية
٢٧٦	٨	﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٢٧٦	١	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾
٢٧٧	٤-١	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾
٢٧٧	٨-٥	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصَدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة النازعات

الصفحة	رقمها	الآية
٣٨٩	٣٣ - ٢٧	﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

سورة الشمس

الصفحة	رقمها	الآية
٣٨٩	٦	﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾

الفهرس الموضوعي

الولادات

- ٩٣ ولادة النبي الأكرم ﷺ
- ١٠٣ ولادة الإمام الصادق عليه السلام
- ١٣٧ ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
- ١٦٩ ولادة عقيلة الطالبين.. زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٢٥ الإمام الهادي عليه السلام من الولادة إلى الشهادة
- ٢٣٥ ولادة الإمام علي عليه السلام
- ٢٩٥ ولادة الإمام الحسن الزكي عليه السلام
- ٣٥٥ ولادة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام
- ٣٧٧ ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الوفيات

- ٢٧ شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام
- ٤٩ شهادة كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام
- ٥٧ شهادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام
- ٧٥ شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
- ١٢٧ شهادة الزهراء عليها السلام
- ١٤٧ وفاة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام
- ١٩٣ وفاة السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه)
- ٢٠٣ وفاة أم البنين عليها السلام

٤٧٢ المناسبات الدينية
٢٨٧ وفاة السيِّدة خديجة <small>عليها السلام</small>
٣٤٥ شهادة الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤٠٧ شهادة الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>
٤٢٧ شهادة الإمام الباقر <small>عليه السلام</small>

واقعة - معركة - غزوة

١٩ واقعة الطف
٣٧ واقعة صفين
١١٣ غزوة بني النضير
١٥٧ المختار الثقفي وثورته الخالدة
١٧٩ معركة الجمل
٢٤٥ غزوة خيبر
٢٧١ غزوة بني المطلق
٣٠٧ غزوة بدر الكبرى
٣٢٧ غزوة أحد
٣٣٧ رد الشمس
٤٥١ واقعة الحرّة

مناسبات متفرقة

١١ بداية السنة الهجرية
٦٧ مبيت أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> في فراش الرسول <small>صلى الله عليه وآله</small> عند هجرته
٨٣ تزويج الرسول الأكرم <small>صلى الله عليه وآله</small> من خديجة الكبرى <small>عليها السلام</small>

٤٧٣	الفهرس العام.....
٢١٣	تزويج عبد الله من آمنة <small>عليها السلام</small>
٢٥٩	الغيبة الصغرى ودور السفراء.....
٣٢١	أحكام زكاة الفطرة.....
٣٦٧	تجديد بناء الكعبة المعظمة على يد ابراهيم الخليل وإسماعيل <small>عليهما السلام</small>
٣٨٩	يوم دحو الأرض.....
٣٩٧	خروج الامام الرضا <small>عليه السلام</small> من المدينة إلى خراسان.....
٤١٧	تزويج أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small>
٤٣٥	يوم عرفة.....
٤٤١	بيعة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> بالخلافة.....

الفهرس العام

شهر محرم الحرام

- ١١ بداية السنة الهجرية
- ١٩ واقعة الطف
- ٢٧ شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام

شهر صفر

- ٣٧ واقعة صفين
- ٤٩ شهادة كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام
- ٥٧ شهادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

شهر ربيع الأول

- ٦٧ مبيت أمير المؤمنين عليه السلام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله عند هجرته
- ٧٥ شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
- ٨٣ تزويج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من خديجة الكبرى عليها السلام
- ٩٣ ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله
- ١٠٣ ولادة الإمام الصادق عليه السلام
- ١١٣ غزوة بني النضير

شهر ربيع الثاني

- ١٢٧ شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام
- ١٣٧ ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
- ١٤٧ وفاة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام
- ١٥٧ المختار الثقفي وثورته الخالدة

شهر جمادى الأولى

- ١٦٩ ولادة عقيلة الطالبين.. زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام
- ١٧٩ معركة الجمل
- ١٩٣ السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه)

شهر جمادى الثانية

- ٢٠٣ وفاة أم البنين عليها السلام
- ٢١٣ تزويج عبد الله من آمنه عليها السلام

شهر رجب

- ٢٢٥ الإمام الهادي عليه السلام من الولادة إلى الشهادة
- ٢٣٥ ولادة الإمام علي عليه السلام
- ٢٤٥ غزوة خيبر

الفهرس العام..... ٤٧٧

شهر شعبان

الغية الصغرى ودور السفراء ٢٥٩

غزوة بني المصطلق..... ٢٧١

شهر رمضان

وفاة السيدة خديجة عليها السلام ٢٨٧

ولادة الإمام الحسن الزكي عليه السلام ٢٩٥

غزوة بدر الكبرى..... ٣٠٧

شهر شوال

أحكام زكاة الفطرة ٣٢١

غزوة أحد..... ٣٢٧

رد الشمس ٣٣٧

شهادة الإمام الصادق عليه السلام ٣٤٥

شهر ذي القعدة

ولادة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ٣٥٥

تجديد بناء الكعبة المعظمة ٣٦٧

ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ٣٧٧

يوم دحو الأرض ٣٨٩

٤٧٨ المناسبات الدينية

٣٩٧ خروج الامام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان

٤٠٧ شهادة الإمام الجواد عليه السلام

شهر ذي الحجة

٤١٧ تزويج أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء عليها السلام

٤٢٧ شهادة الإمام الباقر عليه السلام

٤٣٥ يوم عرفة

٤٤١ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة

٤٥١ وقعة الحرة

٤٥٩ المصادر

٤٦٣ فهرس الايات القرآنية

٤٧١ الفهرس الموضوعي

٤٧٥ الفهرس العام

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله